

الطاعون

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

اسم العمل :	الطاعون
اسم المؤلف :	أسيل حلمي
التدقيق اللغوي :	حنان الألفي
تصميم الغلاف :	محمد علي
رسوم الغلاف :	م. مريم سامي
الإخراج الداخلي :	عمر أسامة
رقم الإيداع :	٢٠٢٤ / ٢٧٤٢٠
الترقيم الدولي :	٩٧٨-٩٧٧-٨٩٩٩-٨٩-١



شارع ونس - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية - مصر



01020439639



massar.pub1@gmail.com

مَسَار
للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، ورقياً أو إلكترونياً، سواء بشكل كامل أو جزئي أو عرضه مجاناً عبر أي وسيلة وبأي شكل من الأشكال من دون الحصول على تصريح خطي من دار مسار للنشر.

الطاعون

أسيل حلمي

مَسَا
للنشر والتوزيع

إهداء

إلى الحبيبة أُمِّي وأول من آمن وأحب كلماتي وما أسرد... عبارات الشكر كلها لا تكفي، وإن تواجد ما هو أعمق من الشكر وأحب من الحب فلن أثني نفسي أبدًا عن تقديمه لك. أتمنى أن تشعري بالفخر حين تلمسين كتابي الأول لأول مرة.

وإلى الحبيب أبي، داعمي الأول لأصل إلى ما أنا عليه اليوم، أتمنى لو تشعروا بالسعادة حين ترى كتابي الأول وتشعر بنتاج لتضحياتك الكثيرة، دومًا ما أراك قويًا.. ومنك أستمد قوتي.

وإلى حبيبتي رؤى، أختي الغالية التي كرس من وقتها وقدمت المساعدة لتكتمل الرواية بهذه الحلقة وهذا الشكل، شكرًا من كل قلبي على اهتمامك الذي أحبيته، وتمنيك لي بالتوفيق الذي كنت أسمع خلسة من بين أدعيتك، ولأجل كل ذلك حملت بداخلي قدرًا من الامتنان لك.

وإلى صديقة الروح سارة، التي كان حبها الاستثنائي ودعمها لهذه القصة دافعًا قويًا لأصنعها وأقدمها.. ما زلت لا أنسى حين كدت أفقد النسخ الأولى منها، وفوجئت حين أرسلتها لي صورًا التقطتها بهاتفك حين كنت أطلب منك قراءتها وإبداء رأيك.

وأخيرًا.. إلى جميع القراء، هذه هي روايتي الأولى وأتمنى أن تعيشوا لحظاتها بكل دقة وإحساس.

مع خالص شكري..



رسالة:

من عاشقة للفن وقارئة نهمة لتاريخ الفنون والحضارات، ومن بين أكثر الحضارات التي أحببتها أقدم رواية من نسج الخيال والفن عن فترة حقيقية واقعية.. مع لمسة بسيطة من المعمار، التصوير، والنحت القوطي المتأثر بالحضارة اليونانية أولاً وما تلاها من حضارات، وانغماس عميق في المشاعر والعاطفة.

أوصل بحروفي ما يخالج الفؤاد ويعجز اللسان عن وصفه، وأخيض من يقرأ تجربة استحضار كل شخصية، وأحكي عما يعنيه الطاعون بوجهيه كمرض يسلب أرواح البشر، وكاستعارة لدمار العلاقات والروابط بين من لا زالوا أحياء، وكيف يكون للماضي المجهول يد ممدودة تملك الحكم والمصير.

فأنت بصدد السقوط في بحر من الأمواج العاتية، تسحبك لحيث ذلك العصر، فترى ما أحكي بعينيك..

تمهيد..

١٣٤٩

في الفترة المتأخرة من العصور الوسطى وبداية عصر النهضة، في محاولات للانسلال من أواخر خيوط العصر المظلم.

تفش هائل هو كان لوباء مبهم.. لم يعلم سببه أبداً، رغم جهود أطباء ذلك العصر لذلك، ومن جانب آخر؛ لا علاج له.

من يصاب به فنهايته محتومة، وما أن يدخل لمنزل فأهله محرومون من الخروج حتى موتهم خشية نشرهم للعدوى.

علامة خطأ على باب أحد المنازل كانت كفييلة بإخبار البقية بأن أصحاب هذا المنزل هالكون لا محالة.

له عدة أسماء ظاهرها كان الطاعون.. (الموت الأسود).



الفصل الأول

حَارِبٌ لَتَعِيشَ | إِفْنَاءُ كَانَتِ الْبِدَايَةُ.



في أوائل أكتوبر عام ألف وثلاثمائة وتسع وأربعين..

تحديداً في قرية إيرينيا والتي كانت أجمل القرى تلك الفترة، ورغم حسناتها وجمالها كل من فيها كانوا مزارعين بسيطين. وفي هذه القرية بالتحديد لم تكن الأوراق النقدية هي ما تحدد الأغنى.. بل الأراضي الزراعية ومحاصيلها هي ما كانت تملك الحكم، وكانت القرية بأكملها تعرف بعضها بعضاً.. كانوا مقربين وعزيزين على بعضهم.. والاحتفالات التي يقيمونها على كل خبر سار يدخل منزل أحدهم كانت خير دليل على ذلك، وكانت معروفة بنسبة كبيرة من باقي القرى بسبب امتلاكها لمعلم أثرية تحمل أساطيراً غريبة، وبالتأكيد كانت تمتلك عددًا لا بأس به من الزوار آنذاك، ولذا فقد حوت سوراً يحيطها وبوابة للدخول والخروج دوناً عن باقي القرى..

كان حنطي البشرة المائلة للبياض يسير في سوق القرية ناظرًا بعينيه الخضراوين لغمار المكان، يدعى ألكسندر، وهو ذات الفتى الذي احتفل بمولده سكان القرية قبل ستة عشر عامًا؛ كونه ابن طبيب القرية الأول. يتسم مبادلاً من يتسم له ويلوح كذلك.

الليلة ستكون استثنائية، أهالي القرية سيقومون احتفالاً ووليمة عشاء ستضم الجميع؛ لذا لن يبق أحد في منزله. وهذا هو سبب ازدحام السوق هذا اليوم، وهو لطالما أحب هذه المناسبات التي تشعره بالدفء.

وجد والدته وأخيراً وكان بالأصل يبحث عنها، اقترب منها في الحال وحمل عنها ما شرته لتتفاجأ هي من ظهوره، وسأل هو ناظرًا لوالدته التي ابتسمت له:

- طاب مساؤك.. كيف كان يومك؟

ردت تقصد إخجاله:

- ظهورك أمامي يجعل اليوم جميلاً كسابقه.

وقد نجحت بالفعل، كانت بارعة بالغزل كما كانت تستحقه.. وسألت محاولة تغيير جوه الذي اختلقته تو:

- أين كنت منذ الصباح ألكسندر؟

أجاب ألكسندر فوراً:

- ذهبتُ للمزرعة، في الحقيقة أنا حالياً أقوم بزراعة نوع من الورود يحتاج للعناية الشديدة؛ لذا.. أعتذر لتفويتي وجبة الإفطار.

اختتم كلامه بنبرة معتذرة.. ابتسامتها زادت. ربت على شعره بلطف ليتسم هو بحرج منخفضاً رأسه متحدثاً:

- هيا أمي.. نحن في الشارع.

وضحكت على حرجه اللطيف.

في القصر الملكي

في غرفة واسعة للغاية ومليئة بالشموع المستخدمة للإنارة، عند بقعة معينة حيث كان أحد الأمراء جالساً على الأريكة، ناظرًا لمذكرته وللورقة الكبيرة التي فردها على الطاولة القصيرة العريض سطحها أمامه.. ترك مذكرته المفتوحة بجانب الورقة وشابك أصابعه خلف عنقه يحاطه بكفيه مفكراً، يربط الأحداث سوياً أمام شجرة عائلته المرسومة على الورقة.

نظر للباب الذي طرق وفتح ليرحب بمن دخل متحدثاً:

- أهلاً إيلاريون.. جلالتك أيضاً! ما الذي أتى بك؟ عليك الارتياح كما أخبرتك.

صوته قد بدا خائفاً في النهاية يحدث جدته التي قدمت رفقة إيلاريون، بينما تراءى له مظهرها المتعب، وتحدث إيلاريون:

- لقد أصرت عليّ آرسن.. أخبرتني بأنها ستمتنع عن محادثتي لو لم آت بها لك.

كان إيلاريون هو الآخر من الأمراء، والفرق أنه كان ابن الملك الأكبر وولي العهد، وكان الرابط بينه وبين آرسن أنها أبناء عم، وكان طويل القامة عريض المنكبين ببنية قوية رغم جسده الأقرب للنحول.. يمتلك عينين زرقاوين وشعر أكحل وبشرة حنطية بسبب الشمس وفي الأصل بيضاء.

وقف آرسن فوراً ليسند جדתه من الجهة الأخرى يساعد إيلاريون حتى جلست بتعب، ونظرت للورقة الكبيرة وتحدثت بصوت متعب:

- كنت متأكدة بأن الأمر لا زال يشغلك.. لذا جئت إليك.

تحدث آرسن من فوره:

- كل ما عليك فعله هو الارتياح وحسب جلالتك، وحين تتحسن حالك متأكد بأنك ستخبريني بكل شيء!

وردت جדתه:

- أنا بخير آرسن! لقد كان مجرد إرهاق طفيف، أنت تعرف كم أن جدتك قوية!

ابتسم آرسن يحاول الاطمئنان وانتبه لها حين أكملت نظرة للورقة:

- الأمير الثاني.. لوريس.. تحاول بكل جهدك كشف حقيقة موته الغريبة؟

نظر لها آرسن بهدوء متحدثاً:

- لقد أخبرتني الكثير من الأشياء عنه.. أمتلك فضولاً كبيراً حول وفاته.. خصوصاً وأن جثته مفقودة!

في قرية إيرينيا

تم تجهيز كل شيء.. الشمس أوشكت على المغيب، ونساء القرية جميعهن قد اجتمعن لطبخ الوليمة ببعض من مساعدة أزواجهن، مزاح هنا وهناك وضحكات تملأ الأرجاء.. كل ذلك كان يبعث الراحة والرضا في نفوس الجميع.

المكان مكتظ بالناس، وما أن انتهى الجميع من تناول طعامه حتى بدأوا بالترويج لمبيعاتهم والتي كانت تشبه إلى حد كبير مبيعات المهرجانات السنوية، وكان ألكسندر يسير باحثاً عن والديه ليرافقهما، اشترى طوقاً من ورود الياسمين أراد من والدته ارتدائه وبشدة.

الليلة كانت لطيفة، السماء سمراء معتمة بشكل يسمح للنجوم بالتألق بشكل جذاب، ونيران القرية التي استعملت للإنارة لم تكن لتحجب أبداً لمعان تلك النجوم.

ابتسم ألكسندر بينما أخفض ناظريه عن السماء.. لحظات حتى اختفت ابتسامته برؤيته للذي بدا أنه كان يحدق فيه منذ فترة، ابتسم له ألكسندر.. لكن الآخر أخفض رأسه بسرعة ليستغرب ألكسندر وكاد يتقدم منه، لكن نداء والده الذي اخترق مسامعه عليه وأخيراً أجبره على الذهاب له حتى لا يضيع أثره مجدداً.. وظل ذات الفتى ينظر لألكسندر من بعيد.

وانتهت الأمسية بوقت متأخر من الليل، وها هو ألكسندر يستيقظ في اليوم التالي متأخراً على غير عادته، يتسلل من خارج غرفته صوت والدته الغناء التي تغني لتسلي نفسها بأغنية خاصة ألفتها وحفظها هو ووالده لكثرة ما تغنيها.

"في الغابة قرب نهر ياناروم.

رأيت عينيك اللامعة، تبدو مليئة بالنجوم.

أنتظر، لتخبرني أين ترسو وأين تكون.

فتخبرني بسكوت عالٍ، وقلقي مرسوم.

عن غد لامع وكم سيدوم.

وعن سماء وما تحمل من غيوم"..

نهض خارجاً من غرفته ليجد والدته جالسة على كرسي قرب النافذة بالبهو تحيك وشاحاً من الصوف. ونظرت له تقطع أغنيتها متحدثه بابتسامة ونبرة حانية:

- صباح الخير أليكس.

ابتسم ألكسندر ورد:

- صباح الخير.

سار بعينه في البهو وسأل:

- أين والدي؟

وردت والدته تشير بعينيها تجاه غرفة قريبة:

- بمعمله.

أخذ ألكسندر خطواته ناحية المعمل وبمسامعه صوت والدته التي أكملت أغنيته، ودخل المعمل ليرى والده واقفاً وسط طاولاته التي وضع عليها أدواته الطبية، وقنائن تحوي الأكاسير، وأمامه تواجد موقد صغير ذو شعلة ضعيفة وضع أعلاه قدر دائري صغير يحوي سائلاً يغلي يجهله ألكسندر، لكنه ظل يراقب والده وهو يأخذ قطرات من تلك الأكاسير ويضيفها لذلك القدر، وكان جل تركيز والده على ما يصنع حتى استمع لألكسندر الذي تحدث:

- صباح الخير أبي.

ناظره والده ورد:

- صباح الخير أيها الأمير، وروذك لم تسقَ اليوم.

تحدث ألكسندر وكأنه تذكر للتو:

- صحيح! سأذهب بسرعة وأعود.

والنف ينوي الخروج، إلا أن صوت والده أوقفه متحدثاً:

- لا داعي، قمت بسقايتهم اليوم بدلاً عنك.

عاد ألكسندر لينظر له لبيتسم والده متحدثاً:

- لكن لا تعتد على ذلك!

ابتسم ألكسندر وعاد يقترب متحدثاً بامتنان شابكاً أصابع كفيه بدرامية:

- أشكرك.. أشكرك.. أشكرك!

ضحك والده ليعيد ألكسندر أنظاره لما يصنع سائلاً:

- ماذا تصنع؟

ورد والده:

- أحاول إيجاد علاجًا للوباء.

ولف له مفكرته وتحدث:

- هنا المكونات، ونظرًا لأعراض المرض فلا بد من أن يجدي ما أصنع نفعًا، أتمنى..

تنهد ألكسندر وتحدث مبتسمًا:

- ستفعل، أنت طبيب عظيم!

ابتسم والده بالمقابل وأردف ألكسندر:

- سأخرج قليلًا.. ولن أتأخر.

وها هو بالفعل قد خرج، ترك والده ما يصنع مطفئًا الشعلة وخرج ناظرًا لزوجته وتحدث:

- فيوليت، سأخرج لأرى لأين وصل الأمر، لو سأل ألكسندر عني أخبريه بأني في المزرعة.

باتت نظراتها قلقة وردت بعد لحظات بهدوء قلق:

- لتتبه على نفسك.

ورد هو مبتسمًا يطمئنها:

- سأفعل.

وقبل رأسها، ولا زالت نظراتها قلقة، وخرج بعدها لتتنهد بعدم راحة.

بينما هو ألكسندر بطريقه، ذلك الفتى من الأمس أثار فضوله، وذهب لساحة القرية حيث رآه لعله يراه مجددًا لكنه لم يجده، وعوضًا عن ذلك سقط بشجار عنيف في الساحة مع أحد الفتيان بسنّه بعدما اشتد بينهما الحديث واصلاً إلى العراق، وانتهى الأمر بألكسندر الذي قام بضرب الفتى على رأسه بالعصا مدافعاً عن نفسه حين كاد يضربه بعصا هو الآخر، وقد تصلب الدم في عروقه فور رؤيته للآخر الذي خر ساقطاً على الأرض من دون حراك.

الخبر انتشر.. وأهالي القرية تجمعوا.. وقدم والد ألكسندر مسرعاً وعلى وجهه أمارات

الغضب، ناظره ألكسندر باستنجد، وعالج والد ألكسندر الفتى وانتهى الأمر بتوبيخه الشديد لألكسندر أمام الجميع، وكم كان ألكسندر مصدومًا من صراخ والده عليه؛ فلم يسبق وأن أدبه والده أمام أي شخص مطلقًا، ودومًا ما كان يحاسبه بالمنزل. وشعر ألكسندر بالحرج حين رأى الأنظار كلها عليه، فمشى غاضبًا من والده ولم يعد للمنزل إلا بعد غروب الشمس.

- "لقد عدت".

قالها ألكسندر فور دخوله مغلقًا الباب الخشبي خلفه بنبرة هادئة تظهر ضيقه مما حدث اليوم، وخلع قبعته البسيطة ولم يمتلك أدنى فكرة عما سيدور بينه وبين والده الآن.

لربما سيتم عقابه بسبب ما حدث.. أو يتحدث معه بهدوء فقد غضب عليه بما فيه الكفاية.. لا يعلم؛ فلم يقع بمثل هذا الموقف من قبل.

كان والده جالسًا على طاولة الطعام الموجودة في بهو المنزل يناظره، سأل:

- أين كنت حتى الآن ألكسندر؟

خرجت والدته من المطبخ تضع طبقي الطعام على الطاولة متحدثة:

- لقد غربت الشمس عزيزي.. قلقنا عليك.

خيرهما ألكسندر بينما نظر للأرض:

- الحقيقة أم الكذب؟

سأل والده مجددًا:

- على ماذا عودتك أنا؟

رد ألكسندر:

- كنت قلقًا بعد ما جرى اليوم.. ولذلك..

سكت قليلًا، يعلم بأن والده غاضب عليه، لكن في الحقيقة لم يكن الخطأ خطأه بمفرده..

سألت والدته بعدما جلست:

- وما رأيك فيما جرى اليوم؟

تحدث ألكسندر مدافعاً:

- لمتى سأخبر بأني لست من بدأ الشجار؟!

رد والده غاضباً:

- لست من بدأ لا نكر ذلك.. لكنك أصبت الفتى إصابةً بليغة ألكسندر! ضربته بالعصا على رأسه!! أين كان عقلك؟! أتدرك كم عمرك؟! لم تعد طفلاً!

كان صوته يعلو بالتدريج، وربت والدته على كتفه تحاول تهدئته وتحدث تقصد ألكسندر:

- تعال لتتناول طعامك، وتحدثا فيما بعد.

لكن ألكسندر سأل:

- لماذا لا تقف في صفي؟! لو لم أضربه لكان سبقني ولربما قتلني.. رغم هذا أنت تقف في صفه.. رغم هذا قمت بتوبيخي أمام الجميع.. كدت تضربني أمامهم وأنت الذي كنت تجربني بأن المشاكل لا تحل بالضرب، وبأننا نستطيع التفاهم في المنزل!

نبرته في النهاية ارتفعت مع اهتزاز واضح أخبرهما بأنه سييكي لا محالة، وتحدث والده بنبرة شديدة:

- لا تبك كالأطفال! امسح دموعك وتحدث إلي كرجل.. أصبحت كبيراً الآن!

سأل ألكسندر بذات النبرة بينما تساقطت دموعه فعلاً:

- ألسْتُ خائفاً عليّ حتى؟! أكل ما يهيك هو أنني أبكي؟!

ولم ينتظر.. فتح الباب مجدداً وخرج راکضاً، لم يلحق به والده لأنه يعلم إلى أين سيذهب كعادته.. يتشاجر معه ومن ثم يذهب لمزرعتهم ويبقى فيها حتى اليوم التالي، ومن ثم يعود ليتصلحاً.. كان ذلك لطيفاً من ناحية ألكسندر؛ كونه ينتظر حتى يهدأ، ومن ثم يعيد التفكير ويهتدي للعودة للمنزل في النهاية.

ألكسندر يدرك بأنه قد أخطأ، وبأن والده على حق، لكنه فقط كان غاضباً لأن اهتمام والده لم يكن مصوباً نحوه كما اعتاد، وبسبب ما حدث! لذا قرر البقاء هناك حتى يبدأ كلباً ويعود ليعتذر رغم كراهية عقله لهذا الآن؛ كونه غاضباً، إلا أنه كان متأكداً بأنه حالما يبدأ.. عقله هو من سيقوده ليعتذر.

وبالفعل ألكسندر قد أخذ شعلة نار من أمام منزلهم، وركض منيراً لنفسه الطريق المظلم، حتى وصل بعد مدة، وذهب للغرفة الخشبية التي بناها مع والده بجانب أراضيهم الكبيرة، وأضاء الشعل الموجودة فيها، وجلس على السرير هناك.. نظر للأوراق الطويلة المعلقة على الجدران.. هو يقضي معظم وقته بالمزرعة لمساعدة والده.. وفي وقت الراحة هما يجلسان هنا، والده يأخذ قبيلته بينما هو يرسم ما يخطر على باله.

تذكر بأن والدته حبلت.. وبأنه سيحصل على شقيق أو شقيقة قريباً وأيا كان.. هو سعيد جداً لذلك لدرجة أنه قد نسي شجاره مع والده للتو، وقد مرت تلك الليلة على خير.. وفي اليوم التالي استغرب ألكسندر بأن والده لم يأت للمزرعة، تساءل إن كان قد أزعجه بحديثه لتلك الدرجة.. وهذا أكثر ما أزعجه، لا يريد من خصامه مع والده أن يطول! ورغم كثرة تفكيره القلق حول والده بقي في الغرفة طوال اليوم باستثناء الأوقات التي خرج فيها ليرعى المواشي ويتأكد من الزرع، كان ينتظر ظهور والده ليعيده وقد تساءل: ماذا لو لم يعد هو بعدها بيوم كما اعتاد والده؟ ألن يأتي هو ليتفاهما ومن ثم يعودان للمنزل سوياً؟!

ظن بأن والده أراد ترك مساحة له ولذا لم يأت.. وألكسندر بظنه قد شعر بالسوء تجاه والده، أعني، ألكسندر يحب والده كثيراً كما والده يفعل.. لماذا سيترك له هذه المساحة وهو يعلم بأن ابتسامته منه كفيلة بمد جسور الاطمئنان لقلبه؟!

بشعوره الذي أحزنه قضى ليلة أخرى منتظراً أحد والديه لكن ذلك لم يحدث.. ورغم انعدام الأهالي الذين جاءوا لرؤية مزارعهم لم ينتبه بأن هناك خطب ما، ولم يأت أحد من الأهالي على الأقل لألكسندر.

ونام بعدما فكر حول هذا الأمر الذي لم يلفت انتباهه سوى الآن.. واستيقظ في اليوم التالي مبكراً للغاية بسبب القلق الذي راود قلبه غير سامح له بالنوم براحة، اتخذ خطواته عائداً لمنزله..

ولحظة دخوله لمنازل القرية شعر بشيء غريب.. بدا الجو كثيفاً وزيادة عليه هذا الضباب وضوء شمس الفجر الضعيف.. لا يبدو أن الأهالي سعداء ككل يوم.. عوضاً عن استيقاظهم وقت الفجر وخرجهم ليبدأوا يومهم، كانوا يتهايمسون بحسرة.. وقد رأى إحدى السيدات وهي تبكي.

وما علمه من الأحاديث التي استمع إليها مصادفة فترة سيره هو أن الوباء أصاب القرية، وبشكل سريع استنتج بأنه ذات الوباء المنتشر هذه الفترة.

شعر بالرية، قيل بأن هناك من جاء من خارج القرية وكان مصاباً به ومن هنا بدأت العدوى، وقد كان ذلك مقصوداً، بدأت الجرذان كذلك بالظهور!

لذا هو أسرع ناوياً العودة لمنزله ليطمئن على والديه، وجل ما أسقط قلبه للأرض هي العلامة التي رآها على باب منزلهم من الخارج فور عودته.

إنها نفسها التي أخبره عنها والده، الخطأ.. أهذا يعني بأن المرض وصل لمنزله بعدما خرج هو؟؟ اقترَب بخطوات ضعيفة ودفع الباب ليدخل وعلى غير العادة كان مغلقاً مما أخافه أكثر.. لم يجتمل وصرخ منادياً:

- أبي.. أمي.. افتحا الباب!

رأى أحد سكان القرية ألكسندر فاقترَب سائلاً:

- ألكسندر؟ أين كنت؟!

رد ألكسندر:

- كنت في مزرعتنا..

وأردف سائلاً بنبرة قلقة:

- ما الذي يحدث يا عم؟

أجاب القروي بنبرة يائسة:

- المرض اقتحم قريتنا.

ولم يشعر ألكسندر إلا بعينيه اللتين شوشتا بدموعه وسأل:

- ماذا عن والديّ؟

ورد الآخر:

- لا تحاول الدخول للمنزل..

كاد ألكسندر يسأله سؤالاً آخر، كاد يجزّره بأنه يقبل بالموت لو كان مع والديه! لكن وفجأة ظهر كلب ضال كان حبله مفلوّثاً، ويبدو كما لو أنه مسعور، جذب انتباههما بتقدمه من الرجل الذي سرعان ما أمسك بعصا خشبية ناوياً دفعه.. كاد ألكسندر يقترب للمساعدة لكن الآخر صرخ عليه بأن يبقى بعيداً وأن يذهب لمكان آمن.. حينها نفى ألكسندر برأسه بعدم تصديق وضرب باب منزله بقبضته وصرخ:

- افتح.. أرجوك أبي افتح هذا الباب حالاً! أسمعني؟!

نطق آخر كلمة بصراخ أكبر بينما تساقطت دموعه، واستمع لصوت والده القادم من الداخل وقد بدا متعباً مهزوّراً يقول:

- أرحل ألكسندر، كان المرض مقصوداً.. أخبر الجميع بذلك، أخبرهم بأعلى صوت تمتلكه، وعش لأجلي ولأجل والدتك.. انج من هذا الوباء.. وإياك والاستسلام.. أسمع؟! لا تسمح لأحد بالتحكم فيك كيفما يشاء!

ورد ألكسندر بنبرة باكية بالكامل:

- لن أرحل! من لي سواكم؟!

أخذ نفسه وأردف:

- أبي، أأستصنع علاجاً؟! أأستفعل؟! قم بتجربته.. سينجح أكيد سينجح!

وعاد يبيكي نهاية حديثه طارقاً الباب، وصرخ ذلك الرجل بينما دفع الكلب بقوة محدثاً ألكسندر:

- اذهب لمكان آمن ألكسندر.. ألا تسمع؟! سنهلك جميعاً لا محالة!

همس ألكسندر:

- لكن....

"قلت ارحل.."

استمع ألكسندر لذات الكلمة بصوت الرجل وصوت والده في نفس الوقت، شعر بالرعب من الذي يحدث، غاب فقط ليوم وليلة.. وعاد ليرى القرية على هذه الحال! عقله لا يستطيع استيعاب ما يحدث..

تراجع ببطء ماسحاً دموعه بأكمام قميصه الواسع الأزرق، يوزع أنظاره على منزله، ونظر للنافذة التي كانت مفتوحة قليلاً ورأى والدته تقف خلفها تنظر له، استطاع رؤية دموعها وملامح وجهها المتعبة.. وفور ملاحظتها لرؤيته لها أغلقت النافذة وشعر هو بروحه الضائعة وقلبه المتخبط الذي أربك مشاعره خشية فقدانه المحتوم لوالديه..

سار محاولاً تكذيب ما يحدث قاصداً أي طبيب موجود في القرية.. والده كان الطبيب هنا، من سيجد أفضل من والده ليساعد والديه؟

وحال اختفائه بناية منزل أخرى سمع الرجل الذي صرخ.. علم بأن ذلك الكلب قد عضه.. وقد كاد يعود لولا الرجل الذي أخبره بالألا يعود بصوت مرتفع وكأنه توقع بأنه سيفعلها! ركض بأرجله المرتجفة وبأقصى ما يستطيع لساحة القرية بدموعه المناسبة التي لم تتوقف، وطوال طريقه نظر لبيان المنازل التي أغلقت نهائياً بعد رؤيته لتلك العلامة.. كل من كان يعرفهم في القرية من سنّه ليس لهم ظهور واضح، وحتى من كان يظن بأنه قادر على المساعدة كذلك.

وحين وصل رأى علامات البؤس التي سكنت ملامح الجميع.

وأدرك، بأن هذه القرية لن تطلع على أهلها شمس جديدة..

استوقفه وقوع عينيه على الفتى الذي كان ينظر له من تلك الأمسية، فاقترب منه ألكسندر سريعاً بلا تفكير، وكان الآخر منخفضاً رأسه في ضبايع تام، بينما جلس على العربة المملوءة بأوعية الحليب.

بدا في حالة يرثى لها عكس يوم الأمسية، وكان شعره الأشقر فوضوياً وملابسه ممزقة كما لو أنه خرج لتوه من عراك قوي، وسأل ألكسندر بدون أي مقدمات:

- هل تعلم أين أجد طبيباً؟ والدادي في حاجته!

لكن الآخر لم يجب وظل هادئاً كما لو كان في وعي آخر، ليسأله ألكسندر مجدداً:

- هل تسمعني؟ أرجوك ساعدني..

وحينها أجاب الآخر بنبرة ساكنة:

- لا فائدة.. صدقني لا فائدة ألكسندر.

وعلم ألكسندر بسبب نبرته بأن هناك ما أصابه كبقية الأشخاص الذين سيكون هنا، ونظر كلاهما للأرض التي بدأت تهتز بشكل خفيف محرك الصخور الصغيرة عليها.. حينها رفع من تحدث آخراً رأسه بصدمة.. نزل من على العربة سريعاً وقام بجذب ألكسندر من معصمه خلفه راكضاً.. حتى اختبأ في زقاق خلف أحد الصناديق الخشبية الكبيرة بعد ركض طويل أفقدهما الهواء الكافي لرتيتيهما.. جلسا خلف الصندوق يلتقطان أنفاسهما ليسأل ألكسندر باستنكار خائفاً:

- ما الذي يحدث؟!

وأجاب الآخر بدون أي توضيح:

- البربريون..

بينما وضع ألكسندر كفه على ذراعه بهدوء فاضت عيناه دمعاً وتحدث بنبرة مختنقة:

- ما الذي تعنيه بالبربريين؟ أخبرك بأن والدادي في حاجة للمساعدة.. لو بقيت على هذه

الحال.. سأفقدكما للأبد.

وانزلت دموعه على طول وجهه بعد آخر كلمة ونظر له الآخر، والذي اغرورقت عيناه بالدموع هو الآخر فور رؤيته لدموع ألكسندر وكأنه كان ينتظر شخصاً ما يدعوه للبكاء حتى لو كان من غير قصد.. وتساقطت دموعه بينما تحدث:

- أنا كذلك.. والدي..

هو وضح محاولاً التقاط أنفاسه بشكل أتاح لألكسندر فهم ما حدث للآخر الذي مسح دموعه سريعاً.

وأمر ألكسندر بنبرة هامسة شديدة اختبأ حزنه خلفها:

- امسح دموعك.. هذا ليس وقت البكاء.

وألكسندر بدوره أطاع أمره من دون أسئلة، وأردف الفتى:

- إليان.. آسف لأن فرصة تعارفنا كانت في موقف كهذا.

تحدث ألكسندر مقابله:

- ماذا نفعل هنا إذا؟ يجدر بنا البحث عن أطباء إليان!

رد إليان بهدوء:

- ألكسندر.. القرية محاصرة بواسطة البربريين.. لو خرجت من هنا وراك أحدهم فستكون إما فأر تجارب لديهم.. أو عبداً لهم.. أو سيقومون بقتلك.. ولا أعتقد بأن تلك الخيارات ستروقك.

قال ذلك ناظراً في عيني ألكسندر بأعينه الحادة والتي لم يلتمس ألكسندر فيها أي خوف أو رعب، ورغم ذلك سأل ألكسندر مجدداً:

- ماذا عن والدتي والدك؟

ورد إليان بعصبية بينما اهتزت نبرته وعادت عيناه تلمعان:

- أولست ابن طبيب إيرينيا؟ ألم يخبرك بأن هذا المرض لا علاج له؟!

سأل ألكسندر:

- ماذا تعني؟

وكأنه لم يفهم نتيجة حديث الآخر.. هو فقط لم يرد أن يصدق ذلك الواقع، لكن إليان تحدث:

- لو بقينا هنا فسنموت، إما قتلاً وإما مرضاً.

واستدرك سائلاً:

- كم عمرك؟

ذلك السؤال جعل ألكسندر يستنكره بالكامل ورغم ذلك أجاب:

- ستة عشر.

وتحدث إليان:

- عظيم.. عليك المحاربة لأجل أن تعيش.

ولم ينتظر.. أمسك بمعصم ألكسندر وجذبه خلفه ماشياً بحذر ناظراً للطريق ليجده خالياً.. خرج من الزقاق مسرعاً من خطواته محافظاً على هدوئها، وكان ألكسندر مستغرباً من مهارته في مراقبة المكان.. وكأنه كان معتاداً على ذلك.. وتوقفاً بعد مدة وأفاق ألكسندر من تفكيره فور استماعهما لاهتزاز الخيل القادم.. وبسرعة ركضا لأقرب زقاق واختبأ فيه مجدداً واستمعا للذي تحدث بصوت مرتفع:

- لا يبدو كما لو أن هناك شخص ما.

وقد كان أحد البربريين يحدث زميله والذي بدوره أخبره بأن يذهبا لغرب القرية.

حينها أكمل إليان سيره لجهة الشمال رغم معرفته بأن الحصار هناك لن يسمح لهما بالتحرك بحرية، لكنه يعلم تماماً ما يجب عليه فعله، وقد فهم ألكسندر بأنه ينوي الخروج من القرية ليتحدث:

- من هنا.

بينما سحب إليان خلفه هذه المرة نحو العشب المصفر الطويل بعدما اقتربوا من ناحية المزارع، سيساعده مقابل أمل ضئيل تواجد داخله بكونه سيرد هذه المساعدة، لعلها يحضران أي طبيب، أي شيء ينقذه بالديه، وقد ابتسم إليان بشكل خفيف بسبب استجابة ألكسندر له.

واستدرك ألكسندر:

- لو زحفتنا عبره فسيكون من الصعب عليهم ملاحظتنا، الهواء قوي قليلاً اليوم.. ستمطر.

همس إليان:

- ذكي.

وبالفعل.. هما استمرا بالانتقال من بين العشب دون جذب انتباه البربريين المنتشرين حتى وصلوا للمزارع، وعوضاً عن العشب الذي لم يعد يتواجد بكثرة هما اختبأ بين عصيان الذرة وسنابل القمح، حتى وأخيراً وصل ألكسندر لمزرعة عائلته ودخل للغرفة التي نام فيها أمس مغلقاً الباب خلفه بهدوء بعدما دخل إليان.

حينها جلس على سريره ونظر لإليان الذي كان ينظر لأنحاء الغرفة وسأل بهدوء:

- من هؤلاء؟

أجاب إليان:

- أعادي المملكة.. لا بد وأنهم يريدون نهب معالم القرية.. علينا الخروج من هنا في أسرع وقت.

تحدث ألكسندر محاولاً للملئة بقايا هدوئه:

- لنعقد اتفاقاً، أنا مستعد لمساعدتك بالهرب.. لكن بالمقابل.. ساعدني بإنقاذ والدي..

تحدث إليان بضجر:

- ألم تفهم بعد؟! والداك مصابان! وهذه القرية لم تعد صالحة للبقاء فيها..

رد ألكسندر:

- إليان، ألسنت تفكر في أنك للتو تخطط للهروب تاركاً والدك بالخلف؟!

نظر له إليان وهدأت نظراته الساخطة.. لثانية وهمس سائلاً:

-:أتظن بأنني لا أتألم؟! لكنني اعتدت الأمر..

تحدث ألكسندر بعدما استفزه إليان بحديثه:

- لكنه والدك!

تحدث إليان:

- ما الذي أستطيع فعله وسأفعله؟ هو بنفسه طلب مني الذهاب والعيش..

انخفضت نبرة حديثه بالنهاية، وكم كانت مليئة بحزن مكتوم، وتحدث ألكسندر مخفضاً رأسه:

- والداي لم تسمح لهما الفرصة بمحادثتي.. كالأحق بقيت بعيداً عنها حتى حدثت هذه المصيبة.

تحدث إليان مخفضاً رأسه هو الآخر:

- إني أحاول أن أبقى صلباً قدر استطاعتي.. أرجوك..

تحدث ألكسندر بهدوء:

- بالصندوق خلفك ستجد العديد من الملابس خاصتي.. بنيتانا متشابهة لذا هي ستناسبك.

التف إليان ناظراً للصناديق، ألكسندر لم يقصد الإساءة له.. أراد فقط أن يغير الموضوع بأي شكل ولم يجد أي شيء ليتحدث فيه.. وحين نطق، هذا هو أول ما خطر على باله تبعاً للملابس إليان الممزقة، لكن إليان بالفعل أخرج ملابس ويدلها.. وقف أمام ألكسندر ليرفع ألكسندر رأسه ناظراً له وسأل إليان:

- كيف أبدو؟

رد ألكسندر:

- جيدة جداً عليك.

تحدث إليان مقهقهة بشكل خفيف:

- هذا مثير للسخرية.. أتعلم؟

سأل ألكسندر عاقداً حاجبيه:

- ما هو المثير للسخرية؟

أردف إليان ليتنهد ألكسندر:

- غني القرية وفقيرها قدر لهما الاجتماع.

تحدث ألكسندر مظهرًا غضبه تجاه الحديث عن الطبقات:

- نحن متساويان فقط.. لا تذكر الطبقات اللعينة.

"أوقدوا النيران في كل مكان"..

كان صوتًا قاسيًا جاء من خارج الغرفة جعلها يجفان قبل أن يتبادلا النظرات حينما فهما بأن البربريين ينوون إحراق كل المحاصيل الزراعية..

ولو تم إحراق هذه المحاصيل، النيران لن تعتق منازل القرية؛ كون المنازل متوزعة في الجنوب وهي في الشمال.. وذلك الحصن الذي يتوق القرية لن يسمح للأهالي بالهرب عبره..

ويا لها من مأساة وكارثة..

بشكل سريع أخرج ألكسندر حقيبة صغيره ارتداها على كتفه واقترب من إليان متحدثًا بينما جذبه خلفه:

- علينا الخروج.. لا يجدر بنا البقاء.. المكان لن يكون آمنًا بعد الآن.

وانخفض زاحفًا لأسفل طاولة متواجدة بجانب الجدار فاتحًا من خلاله فتحة مربعة الشكل وخرج.. هو قام بصناعتها منذ بداية بناءة الغرفة ليتسنى له الهرب من والده حين يلاعبه.. كان ذلك منذ زمن..

تبعه إليان وتسلا حينما ولاهما ذلك البربري ظهره واختبأ بين الأشجار الكثيرة، بينما هم ألكسندر بأخذ كل ما استطاع أخذه من الفاكهة والخضار واضعًا إياهم في الحقيبة.. وكان إليان تارة يساعده وتارة يخبره بأن عليه الإسراع مراقبًا المكان.

"وجدت هذا مختبئًا في محاصيل مزرعته"..

تحدث أحد البربريين جاذبًا بذلك انتباه ألكسندر وإليان.

كان ألكسندر يعرف ذلك الرجل.. ارتعب قلبه وكل ما فكر فيه هو محاولة إنقاذه بأي طريقة! لكن إليان أوقفه جاذبًا إياه للخلف، لأنه يعلم مصير ذلك الرجل بالفعل.. وما هي إلا ثوانٍ من ترجي الرجل للبربري حتى قام البربري بفصل رأسه عن جسده ليشهق الاثنان في نفس اللحظة مخفضين رأسيهما بخوف.

تراجع حينها إليان بسرعة جاذبًا ألكسندر خلفه بهدوء، لم يرد أن يظهر مقدار رعبه حتى لا يرتعب الآخر.. وألكسندر كذلك.. كانا متماسكين بشكل عظيم، وتحدث إليان بهمس بعدما ابتعدا عن البربريين مسافة كافية:

- سنسير عبر الأطراف حتى نصل للبوابة.. علينا إيجاد طريقة للخروج من دون أن يلاحظونا.

أوما ألكسندر بتردد.. لا يريد التخلي عن عائلته بكل بساطة هكذا..

بدأت النيران تشتعل في المزارع فعلاً وتتشرب بشكل سريع، كانت خطة إليان هي الأفضل حيث أن الأطراف هي أكثر الأماكن أماناً للآن، فبقيا يسيران بحذر حتى اقتربا من البوابة، والتفا نظرين للنيران التي تقترب منها بقلق وتحدث إليان هامساً:

- لا بأس.. لا يجب علينا النظر.

"أنت"..

صرخ أحد البربريين قاصداً ألكسندر الذي كان يقف في المقدمة.. نظر له إليان وألكسندر في نفس اللحظة بذعر كبير وتحدث إليان:

- عد للدخل.

وركض ليركض ألكسندر خلفه.. كانت بنية ألكسندر أقوى من بنية إليان رغم أن بنيتهما متقاربة في الشكل.. وهذا ما ساعد ألكسندر على أن يكون سريعاً عوضاً عن إليان الذي كان يحاول الركض بأقصى استطاعته، وسمع ألكسندر صوت احتكاك السيف بغمده ليدرك بأن البربري قد أخرجه راکضاً خلفهما صارخاً على البربريين ليتجمعوا.

ألكسندر وإليان كانا يركضان باتجاه النار بينما البربري من خلفهما..

وكأن الموت ينتظر معانقته لهما بحرارة كبيرة..

شعر ألكسندر بتعب إيلان، والذي بدأ يتباطأ في ركضه تدريجيًا.. وإيلان فكر في كم أن هذا الاتجاه سيكون السبب في هلاكهما فتحدث:

- توقف.

وخفف ركضه لاهثًا بتعب مردفًا:

- سنموت لو تعمقنا أكثر من الدخان.

توقف معه ألكسندر، والتفا ناظرين للبربري الذي تباطأ هو الآخر مقتربًا من إيلان عوضًا عن ألكسندر البعيد مشهراً سيفه، وتحدث البربري سائلًا إيلان:

- من أين لك تلك الجرأة لتظن بأنك ستستطيع الهرب؟!

رد إيلان:

- أنا لست خائفًا منك أيها الوغد..

وتحدث ألكسندر بغضب:

- أنت أحق إيلان؟! ما الذي تتفوه به؟!

التف حوله ناظرًا لأول صخرة قريبة متوسطة الحجم.. حملها بكفيه وبكل قوته قام برميها على البربري قاصدًا إصابة ذراعه التي تمسك بالسيف ليسقطه وأصاب.. وحينها اندفع إيلان ممسكًا بالسيف ورماه بعيدًا، وكاد يتجاوز البربري عائداً لحيث البوابة هو وألكسندر، إلا أن البربري قد أمسك بذراع إيلان مانعًا إياه من الابتعاد فخرجًا خنجره شامئًا إياهما بغضب.

نظر ألكسندر للبربريين الذين بدأوا يظهرهم باتجاههم ولإيلان الذي كان يحاول الهرب وللبربري الذي أراد طعنه، شعر بتوتر كبير، وحمل عصا من العصيان الخشبية التي كانت مرتبة فوق بعضها البعض بجانب عمود يمتلك شعلة نار أعلاه لإضاءة الطريق ليلاً.

هذا المشهد يعاد مجددًا.. هل يا ترى لو ضرب ذلك البربري وعاد لمنزله فسيوبخه والده مجددًا؟، فكر حال اقترابه السريع، وحين رأى إيلان البربري يدفع بيده خنجره ليجرحه دفعه

عنه بقوة، وتفادى جرحاً قاتلاً، لكن البربري تمكن من خدش بطنه بالعرض برأس خنجره رغم ذلك، وفي ذات اللحظة ضرب ألكسندر البربري بالعصا على رأسه من الخلف بقوة ليسقط البربري ويسقط معه إليان الذي وضع كفه على بطنه، وخشي ألكسندر أن مكروهًا أصاب إليان، وكاد يقترب لكن إليان وقف بتعب ناظرًا للبربري وسأل بخشية:

- مات؟

ورد ألكسندر بتوتر:

- لا أعلم.. ولا أريد أن أعلم.. علينا الإسراع.. هل أنت بخير؟

أجاب إليان مقترباً منه:

- جرحني بشكل طفيف.. بالكاد نجوت بفضلك.

تحدث ألكسندر:

- هيا بنا، البربريون قادمون.

أوماً إليان متمسكاً بذراعه وساراً.. النيران قد انتشرت بشكل مخيف وخرجت عن السيطرة.. والأحصنة بدأت تركض بشكل عشوائي خوفاً من النار، وكل البربريين قد أصبحوا مشتين بسبب النيران الهائجة.

كانت فرصة رائعة لألكسندر وإليان ليهربا وسط تلك الفوضى.. كل البربريين الذين أرادوا الإمساك بهما قد اضطروا للمحافظة على حيواتهم بدلاً من ذلك والذهاب إلى الأماكن الآمنة.

كان ألكسندر وإليان مختبئين بين العشب مجدداً.. النيران خلفهما بشكل مباشر.. أما عن البربريين فقد خرجوا ليراقبوا المكان بالخارج متأكدين من عدم خروج أي شخص، وكان ألكسندر يتلفت حوله بحذر.. حتى وفجأة لمح الصناديق الخشبية المغطاة بأوشحة كبيرة للتمويه والتي تتوق بوابه المدخل.. هي مملوءة بالبارود فعلاً من أجل استعمالها حين مهاجمة القرية.. لكن استعمالها كان فاشلاً والآن ذلك البارود سينفجر لحظة تلامسه مع النار وسيحدث مصيبة أكبر!!

تنفس ألكسندر بسرعة فور رؤيته للنيران القريبة، أمسك بكف إليان وشد عليها وخرج

راكضاً من العشب، ليصرخ عليه إليان جراءة فعلته وبأنها سيموتان على هذا النحو!

وما كان من ألكسندر إلا أن صرخ باسم البارود ليفهم إليان سبب ركضه السريع وجذبه بهذا الشكل القاسي، وما أن خرجا من البوابة مبتعدين بكل قوتيهما ورأهما البربريون وكادوا يقتربون منهما حتى انفجرت تلك الصناديق وتطاير معها الجميع، إضافة إلى أخشاب البوابة والحصن اللذين بدورهما أصابا البربريين القريبين للغاية..

ومن ثم عم الهدوء المكان عدا من صوت النار.. الكثير من الدماء.. الجميع كانوا ساقطين على الأرض ولا أستني أحداً.. والنيران كانت في أشد حالاتها غضباً..

إليان كان ساقطاً بجانب ألكسندر.. فتح عينيه قليلاً وسط دوار حاد أصابه، والتف برأسه بضعف ناحية ألكسندر حين استماعه لانتحابه:

- عائلتي.. عائلتي يا إلهي..

ينطق بتلك الكلمات بنبرة مبحوحة متألمة هامسة من دون أي إدراك وسط دموعه المناسبة على وجهه، بينما عيناه مصوبتان نحو القرية المشتعلة.

ومن ثم هدأ.. أدرك إليان بأنه فقد وعيه.. حتى هو يشعر بأنه لا يستطيع الحراك بتاتاً.

لذا أغمض عينيه بهدوء سائحاً لدموعه بالهبوط لمستقرها أخيراً.. ولذلك الدوار بانتشاله للاوعي.. حيث سينسى لوقت ضئيل ما أصابه.. قلبه سيرتاح قليلاً.. ولربما سيستسم معانقاً السواد الذي يفضلُه ظاناً بأنه سيعيد له أعلى ما انتشل منه غضبا.



الفصل الثاني

غُرْبَةٌ وَغُرَبَاءُ | آلاس فلافوس



ملحوظة قبل بداية الفصل:



المانتيكور: وحش أسطوري منتشر في العديد من الحضارات من أبرزها اليونان، مكون من رأس رجل وجسم حيوان وذيل عقرب..

المصدر بواسطة:

(Jonstonus. Joannes (١٦٧٨A description of the nature of four-footed beasts: with their figures engraven in brass

"لو كان للمرء حيلة تجاه القلب ما كان أغرق نفسه ذنوبًا خلفت ذلك الندم الذي سلسل روحه وقيدها واقتادها" ..

..

قطرات المطر المتزايدة داعبت ملامح إيلان المرتخية النائمة داعية إياه للاستيقاظ، ليعبس هو كردة فعل .. فتح عينيه رويدًا رويدًا حتى أبصر ألكسندر والذي ما زال فاقداً لوعيه.

تنفس بعمق ونهض ببطء مراعيًا ألم جسده لينظر للبربريين المتوزعين على بقع مختلفة من الأرض .. هناك منهم من كان موقفًا بلقائهم حتفهم بسبب عيدان الأخشاب التي اقتحمت أجسادهم بعنف .. وصرف هو ناظره عنهم بسرعة ورهبة.

نظر للقرية والتي كانت نيرانها لا تزال كما هي إلا أن قطرات المطر قد بدأت تهدئها .. أدرك بأنه لم يفقد الوعي لوقت طويل .. لقد كانت عدة دقائق وحسب .. واقترب من ألكسندر وهزه لكن الآخر لا يستجيب .. تنهد، لربما بقاءه فاقداً لوعيه أفضل .. هو لا يستطيع توقع نوع ردة الفعل التي ستصدر من ألكسندر فور استيقاظه، فقرر حمله والرحيل قبل استيقاظ أحد هؤلاء البربريين في أية لحظة.

جلس على ركبتيه رافعًا ألكسندر بلطف حتى وأخيرًا استطاع حمله على ظهره .. إيلان كان متعبًا .. لكنه أصر على حمل ألكسندر بدل إيقاظه وإفزع قلبه هذا المنظر، والذي لم يحتمله إيلان بنفسه، وسار بخطوات مهتزة وأنفاس ثقيلة متلفتًا حوله بحذر كبير خشية ظهور أي أعداء آخرين .. قطع مسافة لا بأس بها وقد اختفت القرية عن أنظاره كذلك بعدما نظر لها نظرة أخيرة، شاكرًا المطر لإخماده تلك النيران.

وظل يسير لبعض الوقت ويتوقف على جانب الطريق مستريحًا لوقت آخر، وحاول إيقاظ ألكسندر عدة مرات بلا فائدة، حتى مر نصف اليوم، وبعد مدة طويلة تعب إيلان بشدة وقرر التوقف .. وحين انعطفت لأحد جانبي الطريق شعر بألكسندر الذي حرك أصابع كفيه كبداية لاستيقاظه وأخيرًا ..

لكنه لم يلبث حتى بكى مجدداً.. من غير إدراك كأول مرة ظل يتفوه بكلمات آلت قلب إليان لأجله، وكأنه يحظى بكابوس ما قبل الاستيقاظ.

جلس إليان على الأرض منزلاً ألكسندر متعمداً عدم تحريكه بشكل قد يضايقه.

وهمس ألكسندر:

- أيي..

ولا زال مغمضاً عينيه مع دموع لم تتوقف، يخشى فتح عينيه فيلقى نفسه طريح فقدان من عنوا له حياته بأكملها، ونادى إليان بصوت مسموع:

- ألكسندر.. استيقظ.

ضرب وجنة ألكسندر بكفه بشكل خفيف حتى وأخيراً فتح ألكسندر عينيه ناظراً لعيني إليان.

نفض ناظراً حوله.. ظنه مجرد كابوس وقد كاد قلبه يطير فرحاً.. لكن أجنحة طيرانه قد انتزعت بالكامل فور رؤيته للطريق المليء بالأشجار والخلي من المنازل، فنظر لإليان بنظرات متسائلة مخدولة منكسرة.. وكأنه يتمنى لو كان ما رأته عيناه مجرد وهم.. تمنى لو نطقت شفتا إليان بهذا الواقع الذي أراده وبشدة ليبصر بعدها قريته متيقظاً من وهمه.. ليبصر حياته ووالديه.. لكن ما كان من إليان إلا أن أخفض رأسه بحزن نابساً:

- القرية فنت، آسف لأجلك ألكسندر..

سأل ألكسندر بنبرة مهتزة:

- آسف؟! أسعبد أسفك شيئاً؟!

ورد إليان:

- كان الحل الوحيد أليكسن...

لكن ألكسندر قاطعه متحدثاً بحدة وغضب:

- أين الحل في التخلي عن والديّ؟! أنظني وغداً حقيراً مثلك؟!

باتت نظرات إليان مصدومة، أراد تصحيح تلك النظرة التي أخذها عنه ألكسندر، بينما شعر بقلبه الذي ملاء الغضب.. لكن ملامح ألكسندر المنفعلة أجبرته على إمساك لسانه وتمالك أعصابه والسكوت ساعماً لانفعال الآخر بالخروج حتى يهدأ قلبه.. لو فقط بمقدار بسيط.

وها هو ألكسندر يردف صارخاً:

- كل شيء حدث كان بسببك.

واهار باكياً، ومقابله رد إليان صارخاً هو الآخر حين لم يعد يحتمل:

- أنا من نشر المرض؟! أنا من أرسلت البربريين ليقتلوا الأهالي ويدمروا كل شيء؟!

ورد ألكسندر بذات صراخه:

- أفقدتني كل ما أملك.. والديّ.. قريتي وحياتي..

ورد إليان بينما لم يخفض صوته مطلقاً:

- كنت سترضى أن تموت بكل بساطة؟ كنت لتصبح مجرد ضعيف مشى مع التيار متحججاً

بالقدر! هذا بدل أن تشكرني على إنقاذك والسير بك هنا؟!

سأل ألكسندر بينما لم تتوقف دموعه:

- ألا تمتلك قلباً حتى؟!

هدأت ملامح إليان الغاضبة لأخرى متفاجئة.. هذا الذي يجلس أمامه يصير بكل وقاحة جرحه.. إليان شعر كما لو أنه قد أخطأ في قراره لأخذ ألكسندر معه والهرب.. وفي ذات الوقت لو كان مكان ألكسندر وخسر والديه الاثنتين دفعة واحدة.. لربما سيجن وسيقوده جنونه للعودة لتلك القرية والبقاء بجانب جثث والديه حتى يموت بجوارهما..

وبعد مرور ثوانٍ قاتلة نطق إليان وأخيراً، وأمره بهدوء وضيق مخفضاً صوته:

- توقف عن التحدث بهذا الشكل.

لكن لم يكن ألكسندر ليكيف عن الكلام أبداً.. رد إليان استفزه ليتحدث بصراخ أكبر خرجاً وجع قلبه:

- أي شكل؟! لقد تخلّيت عن والدك بكل بساطة وكأنه لم يكن والدك.. يستحيل عليك فهم شعوري الآن.. كيف وأنت لم تلقِ بالاً لمدى تألمه وهو يراك تبعد عنه بعد أن كنت أفضل ما يملك وكل ما يعيش لأجله؟!!

ولم يتلقَ من إليان إلا صفعه قوية متعبة فاجأته للغاية وهذأت قلب إليان الذي كان يغلي غضباً وسخطاً من حديثه الفظ، وقام بإمساكه من علىة قميصه المتسخ هازاً إياه بغضب وصرخ بنبرة مهتزة:

- لست إنساناً.. لا أمتلك أية مشاعر.. ارتحت الآن؟ أخبرني!!

وعاد ألكسندر بوجهه له ينظر لعينييه مصدوماً من جرأة فعلته ولم يشعر بنفسه إلا وهو يلكمه بكل قواه الضعيفة وغضبه، ودفعه للأرض بقوة خائفة ورمى بجسده عليه يعتليه لأكماً إياه لمرّة أخرى، وكاد يلكمه مجدداً لكن إليان أمسك بقبضته ضارباً بجبهته أنفه ودفعه ليسقط ألكسندر بجانبه على ظهره، وبات إليان هو من يعتليه ورفع قبضته بنوي لكمه هو الآخر بكل قوته، وساد الصمت المكان عدا من أنفاسهما المهتاجة وجعاً وتعباً بنفس الوقت، هما لا يمتلكان الطاقة للشجار حتى بعد ما خاضاه.

وأدمنت عينا إليان كما عينا ألكسندر كذلك.. وأخفض إليان قبضته عادلاً عن لكمه، بينما همس بصوت مرهق:

- لا تطلق أحكاماً.. ما دمت لم تر شيئاً.. وما أسهل اللفظ وأعتى الفعل!

تركه بعدها ونهض مبتعداً عنه قليلاً وجلس واضعاً كفه على بطنه عابساً بسبب جرحه.. رفع قميصه بعد أن قطع طرفه بالعرض قاصداً ربطه على الجرح محاولاً إيقاف ألمه، أما عن ألكسندر فقد ظل على حاله بينما وضع كفه على خده المحمر وأنفه.. وناظر السماء التي شاطرت لون النار وكم شابهت ما بداخله، لأول مرة يشعر بهذا الشعور المؤلم..

ودار حديثهما الأخير بسرعة داخل عقله، شعر ألكسندر وأخيراً بالخزي لكونه فكر بنفسه

وحسب.. هو لا يعلم أي شيء عن إيلان.. لا يعلم ما مر به أو ماذا كانت بدايته.. لكن إيلان كان عكسه.. كان يعرف اسمه حتى رغم أن ألكسندر لم يره من قبل.

وكانت هذه هي أول مرة يقوم شخص ما بضربه بشكل أثار مشاعرًا غريبة فيه.. ليست لنزاع أو تحدٍ وإنما استيقاظ وإدراك وتحمل مسؤولية.. والده بنفسه لم يفعلها من قبل..

أغمض عينيه لتتساقط دموعه التي تكتلت مسبقًا في عينيه وتساقطت كالمطر في أوج تساقطه.. قاربت الشمس أن تغيب لتترك للسواد مساحة ليلتهم تلك السماء ويزيدها ما بعد فتنتها فتنة..

لم يحتمل وبكى بصوت مرتفع مخرجًا انكساره الكبير من هذا الشعور المعقد الذي يشعر به.. غربة موحشة ومؤلمة.. للتو كان وسط كل من عاشرهم، كل من يعرفونه ويعرفهم، وفي ساعات مرت كومض لحظات في عقله تم نفي كل ذلك، لحظات السعادة فنت ولم يتبق إلا الذكرى وهذا ما لم يحضر ألكسندر نفسه لأجله.

وكانه كان يشعر بأنه خالد في تلك الأيام، لم يخطر على باله للحظة ظهور شيء كذلك.. شيء قد يدمر حياته ومستقبله وكل ما كان يرتب أوقاته عليه.

ذلك الخوف الذي غزا قلبه يكاد يفتك به بقسوة من دون أن يتداركه.. أضعف من أن يواجهه.. كأنه هرب من خوف لخوف أعظم..

إيلان قد لف وجهه للجهة الأخرى بينما بكى هو الآخر.. والفرق هو أنه قد غمّلك نفسه عن الآخر الذي انهار بالكامل.

الوقت مر وهما على ذات الحال.. ألكسندر قد تعب من كثرة بكائه عديم الجدوى، ولم يعد يملك الطاقة ليبكي بعد، أما عن إيلان فقد كان غارقًا في بحر أفكاره وذكرياته التي كونت تلك الدموع التي تتوقف على وجنتيه للحظات حتى تأتي دموعًا من بعدهم ليسقطوا سويًا لحيث قدر لهم..

مسح ألكسندر دموعه بينما أغمض عينيه محاولاً تهدئة نفسه وإيقاف دموعه.. شهقانه كانت قوية لكنه حاول قدر استطاعته إيقافها حتى نجح بعد مرور دقائق، ونهض ذاهبًا باتجاه إيلان حيث ارمى بجانبه بقلة حيلة وظل كلاهما صامتًا يحدق في الفراغ حتى قرر ألكسندر كسر

الصمت بصوته المبحوح:

- أعتذر..

ورد عليه إليان:

- أنا أيضًا أعتذر.

أدان ألكسندر نفسه متحدثًا:

- ما كان عليّ التحدث بذلك الشكل.. لم أقصد جرحك أبدًا..

وتحدث إليان بالمقابل:

- أعلم ألكسندر.. أنا أيضًا كان عليّ تمالك أعصابي..

صمت ألكسندر لثوانٍ قبل أن يتحدث:

- كنت في انتظار شقيق أو شقيقة..

نظر له إليان بأسى بينما لم تتوقف دموعه وتحدث بهدوء:

- والداك لم يكونا ليرغبا برؤيتك تموت بذلك الشكل طبعًا..

أومأ ألكسندر وتحدث:

- والدي قال لي شيئًا مشابهاً في لحظتنا الأخيرة سوياً، وأخبرني.. بأن المرض نشر قصداً..

صمت لهنيهة وأردف طالباً:

- هلا حكيت لي بالتفصيل؟ كل شيء.. أرجوك..

وهم إليان بالشرح:

- الجميع في القرية كانوا سالمين يا ألكسندر.. انتشار المرض في القرية كان مقصوداً كما قلت..

لقد قاموا باستعمال ما يهدد البشرية ضد بعضهم البعض.. يا لقدارة هذا الجنس الذي يبيد نفسه، ويضحى ببعضه بعضاً!.. ما أخشاه فعلاً هو أنهم قد قاموا بنشره في القرى المجاورة.. هذا إن لم

يكن منتشرًا منذ البداية.

طأطأ ألكسندر رأسه وسأل:

- وما ذنب الأبرياء..؟

وإليان أجاب بدوره أنهم أبرياء.

تنهد ألكسندر.. وعاد الصمت ليسود مجددًا لبعض الوقت، حتى قام ألكسندر بسحب حقييته وفتحها مخرجًا منها بعض الفاكهة، حيث أعطى بعضها لإليان مستدركًا:

- لا نمتلك الماء.. أنت مجبر على مسحها في ملابسك.

وهم بمسح التفاحة التي يمسكها بملابسه، وإليان بدوره قلده.. وسأل ألكسندر بهدوء:

- إليان.. نحن في منطقة مقطوعة.. صحيح؟

ورد إليان بالإيجاب وقد توقع سؤاله القادم.. شيء مثل ماذا لو خرج عليها قطاع طرق وسلبوها كل ما يملكان وقتلوهما؟.. لكن ألكسندر سأل موزعًا أنظاره بمجال ناظره:

- ماذا لو خرج علينا المانتيكور الآن والتهمنا؟

بأكثر نبرة مهدومة مع قلق متسلل.. وإليان لم يتمكن من منع نفسه من الضحك على الموقف وعلى نبرته، لربما لو كانا بوضع آخر لكان أبدى ألكسندر أداءً أفضل من هذا وأظهر قلقه البالغ، ورد إليان:

- إلهي! لا تكن ذا عقل فارغ يصدق الأساطير البلهاء يا ألكسندر!

وظل ألكسندر ينظر له مستوعبًا أنه غير حقيقي فعلاً، وعاد ينظر أمامه للفراغ مستمعًا لإليان الذي أردف:

- المانتيكور ليس حقيقياً البتة.. أنا كنت أقطع هذا الطريق يومياً للقرى الأخرى لبيع الحليب.. لذا لا تقلق.

عاد ألكسندر ينظر له سائلاً:

- هل كانت عربة أوعية الحليب ملكاً لك؟

ورد إليان:

- لي أنا ووالدي، كان ذلك عملنا.. كنت بائع حليب.

سكت لثانية وأردف:

- لكن ذلك لا يسمح لك بالتكبر عليّ كونك ابن أفضل طبيب رأيته في حياتي!

ابتسم ألكسندر وتحدث مؤكداً:

- لن أفعل..

وأتابع حديثه بسؤال آخر:

- إلى أين سنذهب الآن؟

وأجاب إليان:

- قرية أخرى.. إنها قرية، ولا تسألني عن اسمها، قرينتا الوحيدة التي امتلكت اسماً.. القرى

يتم تحديد أسماؤها تبعاً لموقعها في المملكة أما قرينتا فقد كانت مختلفة.

تحدث ألكسندر بهدوء مبتسماً بحنين:

- والدي أخبرني قبلاً بأن والدي هو من أطلق عليها اسم إيرينيا.. لكني لا أعلم السبب.

وإليان لم يسمح له بأخذ جولة للماضي حتى لا يتألم أكثر! قد وقف بعدما أنهى تفاحته هو

الآخر وجذبه من ذراعه يوقفه وتحدث:

- هيا بنا.. لا وقت للمزيد من التفكير.. حسناً؟

أوماً ألكسندر، وبدأ يسيران بالفعل سوياً.. إليان لن ينكر بأنه كان يخاف من وحش

المانتيكور.. لكن مع كثرة ترحاله مع والده أدرك بأنه مجرد أسطورة خيالية من تلك الأساطير

المنتشرة.. لكنه تحدث فجأة:

- أتعلم ماذا؟ كنت كاذباً حيال كون المانتيكور كذبة.. إنه حقيقي قد يخرج في أي لحظة.

قصد إخافة ألكسندر، ولم يلبث حتى سمع كلاهما صوت انصفاق أوراق الشجر بجانبهما لينظرا ناحية الصوت في ذات اللحظة.

وتحدث إليان برهبة متراجعا عن حديثه:

- إلهي! كنت كاذباً أقسم.. هو ليس حقيقة لقد كنت أكذب ألكسندر أكذب!!

كان حديثه سرّياً جداً للدرجة أن ألكسندر لم يستطع فهم كلامه كله.. لكنه استنتج المضمون، وسأل ألكسندر بعد حرب مع لسانه لينطق:

- ضوء الشمس يكاد يختفي إليان.. ماذا سنفعل؟

تحدث إليان سائلاً بينما جل تركيزه مع مصدر الصوت:

- أيجدر بنا الذهاب لنرى ما يوجد هناك؟

ورد ألكسندر مصدوماً:

- هل فقدت عقلك؟! فقط لتجاهل الأمر ولنكمل.

سار ألكسندر بعدها ليتبعه إليان، وعاد الصوت مجدداً والتفا ولم يجدا شيئاً مجدداً وأكمل.. وللمرة الثالثة سمعا نفس الصوت لكنها تجاهلاه محاولين قدر استطاعتها المحافظة على هدوءهما، حتى شعر ألكسندر بخطوات خلفه.. وما أن كاد يلتفت حتى تم انتشار حقيبة الأطعمة من على كتفه من قبل فتى مقنع بدا أقصر منه بقليل، وركض بسرعة داخل الأشجار ليصرخ ألكسندر بينما ركض خلفه:

- إلهي!! أمسكه إليان..

هذا هو قوته الوحيد وهو يكاد يخسره الآن! لكن إليان أمسك بذراعه قاصداً إيقافه وفعل متحدثاً:

- لو ذهبنا خلفه فلن نستطيع العودة.. ستوته حتماً أنا لا أعرف الطريق وسط تلك الأشجار..

هدأ ألكسندر وتحدث بحسرة:

- سنموت جوعاً بسبب ذلك النشال..

وتحدث إليان مهوَّناً عليه تلك الحسرة:

- لا تقلق.. لا يفصلنا عن القرية الأخرى الكثير من الوقت.. احمِدْ إلهك أننا للتو أكلنا.

تحدث ألكسندر صارخاً بغضب:

- استمتع بطعامي الذي نسلته توّاً يا أيها السارق الدنيء! ليتوقف في حلقك ويرفض الدخول لمعدتك ولتتألم في إخراجِه!

ولم يصمت إلا بكف إليان الذي وضعها على فمه مسكناً إياه متحدثاً بتقزز:

- توقف.. هذا مقزز!

وتحدث ألكسندر:

- يستحق..

نظر ناحية الأشجار بغضب ملأ عينيه جامعا ما بين حاجبيه ولم يلق إلا البرتقالة التي رميت بقسوة على جبهته ليتراجع، بينما وضع كفيه على جبهته منخفضاً سائلاً بصدمة:

- ما كان ذلك؟!

نهض ناظراً المصدرها مصدوماً ليتلقى برتقالة أخرى جعلت إليان يمسك بكفه راکضاً به من المكان بخوف كبير.. وبالتأكيد هو انخفض وقام بأخذ أحد البرتقالين تحسباً للظروف.

وسأل ألكسندر وقت ركضه:

- هل يستطيع المانتيكور التحول لأشكال البشر؟!

وأجاب إليان:

- ألكسندر هو لم يكن مانتيكورا.. إنه بشري!!

ونظر خلفه متمنياً أن الآخر قد تركها وشأنها، وظلا يركضان حتى وأخيراً توقفا يلتقطان أنفاسهما ليفصح إليان:

- أنا عطش.

وتضامن معه ألكسندر ماسحاً عرق جبينه:

- أنا أيضاً..

تحدث إليان:

- ها نحن ذا.. وصلنا للقرية.

ورمى بالبرقالة على ألكسندر، وسار ليسير ألكسندر بجانبه.

إليان -وبشكل غريب- كان يشعر بالحمول الشديد في جسده.. كان خفيفاً منذ استيقظ، والآن أصبح لا يطاق.. لا يعلم سببه ورغم ذلك لم يفصح لألكسندر، لكن ألكسندر سأله حينها شعر بأنفاسه الواضحة إن كان بخير وأجاب إليان:

- أنا بخير.

في القرية

قدماهما قد خطت مدخل القرية التي بدت أقل جمالاً مما كانت إيرينيا عليه بكثير، وكانت المنازل على يمين وشمال الطريق عكس إيرينيا التي حوت الأراضي الزراعية قبل المنازل.. شعل النيران كانت منتشرة في كل مكان، والقرية كانت على ما يرام.. الجميع بخير لذا هما استتبشرا خيراً وواصلتا السير وسط حشود الناس.. حتى جذب انتباههما أصوات أناس كانوا متجمهرين في مكان واسع يتوسط القرية.

نظرا لبعضهما واقتربا وكل ما أثار صدمتهما هم الأشخاص المقيدون والذين يطلبون العفو، ونظرا لمن كانوا سيكون ولمن جاءوا للمشاهدة وحسب.. لم يفهما شيئاً حتى بدأ بعض الرجال يتحركون باتجاه المقيدون لينصبوهم على الأخشاب.

ارتجفت شفتي إليان ليضمهما محاولاً حد ارتجافها ضاغطاً عليها بأسنانه بينما لمعت عيناه.. أمسك بكف ألكسندر وجذبها للخلف يطلب منه أن يغادرا في أسرع وقت، لينظر له ألكسندر

مستغرباً الخوف الذي رآه قد استعمر ناظره.. وتحدث إيلان هامساً بصوت ثقيل حارب ليخرجه:

- ألكسندر.. سيقومون بإحراقهم..

وتفاجأ ألكسندر مما سمع، وأدرك بأن إيلان ليس بخير أبداً وسأل بقلق:

- إيلان.. ما بك؟

لكن الآخر عيناها كانتا معلقتان على المقيدين أمامه وتحدث:

- علينا الرحيل.

قالها حين شعر بتهامس الأشخاص حولها والتي جذبت انتباه من كان يلقي الأوامر على البقية، ويبدو كما لو كان قائدهم، وقد كان ضخّم البنية أجعد الشعر الطويل مع ملامح حادة بدت في هذه اللحظة بالتحديد قاسية.

قاطع نظرات إيلان ذلك القائد والذي سأل جاذباً انتباههما:

- من أنتم؟

قال أحد المتجمهرين بصوت مرتفع قد أسمع الجميع:

- إنه بائع الحليب..

وحينها أدرك إيلان حجم المصيبة التي وقع فيها، وخصوصاً بعد سماعه لشخص آخر يتحدث:

- هو من قرية إيرينيا..

عيناها كانتا تنتقلان بين المتحدثين عنهما.. حتى علما من أحاديثهم بأن خبر قريتهما قد انتشر.. تساءلا كيف انتشر وهما الوحيدين الذين خرجا وأول من وصلا؟! وأمر القائد مجدداً بنبرة عالية حركت أقدام الرجال هناك ليركضوا باتجاههما:

- أمسكوهما.. هما مصابان بالتأكيد..

وتحدث ألكسندر بانفعال:

- اركض بكل قوتك إيلان..

وجذبه من كفه خلفه راكضًا يحاول الهرب منهم.. لن يعطوهما الفرصة لتبرئة نفسيهما حتى وهذا ما دفعه للهرب منهم من دون أي إنكار..

الشمس تسحب آخر خيوطها ولم تعد هناك حركة واضحة في الطرق، وكان يدخل من طرق عشوائية مختلفة يجهلها ومن بين الأماكن التي وجد بها بعض الأشخاص لعله يتمكن من التخفي بهم، ولم يعد ألكسندر يعلم أين يذهب، فطلب من إليان:

- أخبرني عن الطرق.

لكن إليان لم يكن مستجيبًا، التف ألكسندر ينظر له ليرى الآخر والذي كانت ملامحه متعبة للغاية ويتنفس بقوة وشكل ملحوظ.. عزم أمره ودخل لأول زقاق قابله وتوقف فيه رافعًا وجهه إليان بكفه ليقابل وجهه وسأل بقلق:

- ما الذي أصابك؟!

نطق إليان من بين التقاطه لأنفاسه الصعبة:

- بخير.. أنا بخير ألكسندر.

"تفرقوا وابحثوا عنها بسرعة! يا أهالي القرية، هناك فتیان طليقان مصابان بالطاعون.. جدوهما وإلا هوينما جميعًا لقاع الموت"..

ألكسندر نظر لخارج الزقاق ضاغطًا على أسنانه بقوة متوترًا مفكرًا، ومن ثم عاد ينظر لإليان الذي كان بالكاد متحاملاً على قدميه، وسار ألكسندر بإليان للدخل حيث وصلا لنهاية الزقاق المسدودة وظلا هناك ينظران لفتحتهم بينما همس ألكسندر:

- سنبقى هنا إبدأ.. أرسل دعواتك للساء ألا يجدونا هنا.. رغم أنه مكان مكشوف..

وتحدث صوت غريب فجأة:

- من هنا.

ارتعب ألكسندر حيث نظر لمصدره ليرى فتى قام بفتح نافذته ماذا يديه لها، فسأله ألكسندر باستنكار:

- من أنت؟!

ورد الفتى بجدية تامة:

- مساعدة أرسلت من السماء جراء دعواتكما! هل تريد الموت محروقاً؟! ثقب بي ومد لي يدك لأنقذكما..

ألكسندر لم يملك أي حيلة لذا هو نظر لإليان الذي كان ينظر له وللآخر بسكون، وسأل إليان بشك:

- كيف لنا أن نثق بك؟

ورد الفتى:

- هذه مشييتكما...

وكاد يسحب يده للداخل إلا أن ألكسندر أمسك بمعصمه متحدثاً:

- انتظر.

دفع إليان بلطف ليمسك إليان بكفه ليقوم الآخر بسحبه لداخل منزله شاداً إياه، وقد صعد إليان استناداً على حواف النافذة وتسلى الجدران الخشبية الخشنة.. وبنفس الطريقة صعد ألكسندر ليقوم الفتى بإغلاق النافذة بعدها، متأكداً من أن أحداً لم يرههم.

وزع ألكسندر أنظاره من حوله للمنزل الذي كان مرتباً ونظيفاً للغاية، ليدرك بأنه من الطبقة المتوسطة، وكانت منازل الطبقة المتوسطة تبني من الخشب والغاب وخلطة الطين، وتبدو أقوى وأمتن بكثير من منازل الطبقة الأقل.. وعاد بعينه للفتى الواقف أمامه.. بدا أصغر منه قليلاً ويمتلك ملامح لطيفة، كانتا عيناه تشبهان الدائرة مع بؤبؤها اللامعين الأسودين، وشعره الأسود مسدول على جبينه، وبدا أنه يعيش بمفرده في المنزل.

وسأل ألكسندر:

- لماذا أنقذتنا؟

وأجابه الفتى:

- لأن هؤلاء الأهلالي ما هم إلا مجرد ظلمة.. أنا أكرههم.. هم يقومون بإحراق من يشبه لهم بأنه قد أصيب بالوباء..

وإجابته كانت كفيّلة بصدم ألكسندر وإليان وبشدة، وأردف بعدها:

- بالمناسبة.. أدعى آلاس.. آلاس فلافيوس.

تحدث معرفاً عن نفسه بابتسامة أجبرت ألكسندر وإليان على الابتسام للطفها ولو بشكل خفيف.

- أنا ألكسندر..

- وأنا إليان..

سأل آلاس بتطلع:

- على حديثنا.. هل أنتما من إيرينيا فعلاً؟

وأجاب ألكسندر مبتسماً بلوعة:

- كنا.

تحدث آلاس:

- خبر اقتحامها من قبل البربريين انتشر في كل مكان هنا.

وضح من دون أن يسألاً حتى.. وكأنه كان يدري عن رغبتها في المعرفة، وعلق ألكسندر:

- هذا سريع..

كاد آلاس يتحدث.. إلا أنه توقف فور رؤيته لإليان الواقف خلف ألكسندر والذي استند بكفه على الطاولة التي كانت بجانبه فتحدث:

- إليان، لا تبدو بخير.. كفك كانت ساخنة عند إمساكي لها..

آلاس تحدث ليلتف ألكسندر ناظرًا لإليان، ولم يلبث أن أنهى آلاس جملته، حتى بدأ إليان يسعل بشكل متكرر لدرجة أنه خر ساقطاً على ركبتيه ليجلس ألكسندر بجانبه واضعاً كفه على

ظهره سائلاً بخوف:

- إيلان، ما الذي يحدث؟!

لكن إيلان لم يستطع الإجابة بسبب سعاله الذي كان قوياً، وهذا دفع آلاس ليسأل بقلق:

- هل هو مصاب بالوباء ألكسندر؟

وأجاب ألكسندر بتوتر:

- لا أعلم.. لكنه كان بخير!

جسد إيلان قد بدا يترأخى ليرتعب ألكسندر أكثر، ولم تمضِ ثوانٍ حتى سقط بكامل جسده على الأرضية بعدما أمسكه ألكسندر حتى لا يسقط بقوة، وعم الهدوء المكان، بينما نظرات ألكسندر المصدومة كانت موجهة لإيلان ناهيك عن أنفاسه الخائفة والتي بدأت تتعالى وهمس:

- استيقظ.. ليس أنت أيضاً.. إيلان!



الفصل الثالث

أَنفَاسُ الْخَوْفِ تَخَافَتَتْ.



"دعوة من مجهول لخوض أسى السنين ومن دون أن أدرك أنا قبلت فقابلي الندم في غير محله
فلست أنا من أخطأ وليست حياتي هي الكارثة.."

..

نادى ألكسندر متنفسًا بشكل واضح:

- إيلان.. إيلان.

ضرب وجنة إيلان الساقط على الأرض بدون أي فائدة ترجى، وعاد يترجاه بنبرة مهتزة دالة
على بكائه القادم:

- إيلان أرجوك.. أفق.

ولم تقابله إلا أنفاس إيلان والتي شعر بمقدار صعوبة أخذه لها، ناهيك عن حرارته التي
ارتفعت بشكل واضح، وطرق باب المنزل فجأة بشكل أثار الرعب أكثر في قلب ألكسندر
واستمع للصوت الحشن الذي يأمر:

- آلاس.. افتح الباب.

نظرا تجاه الباب ومن ثم تبادلا النظرات بين بعضهما البعض بخوف ليهمس آلاس:

- لنحمله.. ندخله غرفتي وابق داخلها.

وهم بحمل إيلان ليساعده ألكسندر فورًا، ويتحدث آلاس بصوت مسموع:

- أنا قادم، أمهلني لحظة.

وما أن وضع إيلان على السرير حتى خرج آلاس بسرعة مغلقًا الباب، لينظر ألكسندر لإيلان
جالسًا بجانبه على طرف السرير محاولًا تمالك نفسه.. وفتح آلاس الباب ناظرًا للطارق وقد كان
ذاته القائد الذي أمر رجال القرية بالبحث عن ألكسندر وإيلان، تحدث آلاس سائلًا:

- بماذا أساعدك؟

وقابله الرجل بسؤاله:

- لماذا باب منزلك مغلق؟! ليس من عادتك إغلاقه بوقت مبكر هكذا!!

ورد آلاس بسؤال:

- يهملك السبب؟

في الواقع، علاقته بالأهالي ليست على ما يرام.. لكن الرجل ظل يحقق فيه وهذا أربك آلاس.. ماذا لو طلب منه فجأة تفتيش المنزل؟ الثقة بينه وبين البقية معدومة بالفعل.. لذا هو فكر في إجابة ونطق متنهداً:

- كنت قلقاً بشأن التحذيرات التي أطلقتتموها في القرية، كما تعلم.. عليّ أن أبقى بخير حتى يعود والدي.

آخر جملة، كانت بنبرة جامدة أثارت ابتسامة الآخر وسأل:

- كم مرة عليّ إخبارك بأن والدك قد مات، ولم يتبق سواك؟!

قصد استفزاز آلاس وقد نجح بالفعل.. وحاول آلاس تهدئة نفسه، لن يخسر هذا الجدل حتى لو كان عقيماً، وبعد أجاب:

- والدي.. لم.. يموت!

وصمت لهنيهة قبل أن يردف:

- ماذا بعد؟ قمت بإحراقه؟ قتله الملك؟ انتحر بعد علمه بقتلكم والدي؟ ماهي القصة التي سترويها لي هذه المرة؟ تتصرف كما لو كنت تحدث طفلاً أو مجنوناً سيصدق كافة رواياتك التافهة وهرائك عديم الحيلة!

صرخ الرجل:

- آلاس!

لكن عينا آلاس لا تزالان حادثين، لم يرتعب أبداً، وأردف الرجل بنبرة عادت لهدوئها الأول:

- كن حذرًا يا صغير.. لا زلنا نبحث عنهما وسنجدهما.. ستكون الأوضاع تحت السيطرة.
ورحل ليغلق آلاس الباب متنفسًا بعمق، بينما راجع في عقله ما حدث قبل قليل.. قبض قبضتيه بقوة ضاغطًا على أسنانه حتى أنه استطاع سماع صوت احتكاك أضراسه ببعضها البعض، وهمس بغضب:

- اللعنة.. اللعنة عليه وعلى أهالي هذه القرية جميعًا.. لتسقط عليهم اللعنة وتنفهم نسفًا يرتعش بسببه الجماد..

نظر للغرفة وهدا.. ألكسندر وإليان هنا، عليه أن يبدو طبيعيًا، ابتلع ريقه مغمضًا عينيه سارقًا بعض الأنفاس العميقة، محاولًا إنعاش صدره بهواء جديد، حرك قدميه تجاه الغرفة.. ودخل متحدثًا:

- لقد رحل.

وقف ألكسندر واقترب منه بخطوات متحدثًا:

- أريد أي شيء أستطيع تبليبه بالماء.. الكمادات هي الحل الوحيد للآن.

وآلاس بدوره قد أحضر له من خزانته قماشة بدت للملابس قديمة بعض الشيء، واتخذ خطواته للخارج وأخبر ألكسندر بأنه سيدله على مكان الماء ليتبعه الأخير.

وها هما.. ألكسندر قام بمسح وجه إليان بالماء بالإضافة لعنقه المكشوف، ومن ثم وضع القماش على جبينه، وآلاس يراقب من بعيد وحسب.. كان ألكسندر شاعرًا بالريبة تجاه الآخر، هو لم يتحدث ولم يصدر أي ردة فعل.. خاف لو أنه من وسط هدوئه ذاك يفكر في تسليمها جراء ظنه إصابتهما! ولأجل ذلك تحدث قاطعًا الصمت:

- نحن.. لسنا مريضين.. صدقني.

لم ينظر لآلاس حتى وشغل نفسه بمسحه لوجه إليان مرارًا وتكرارًا، لكن آلاس نظر له وسأل:

- إذا ما به؟

وأجاب ألكسندر:

- لا أعلم.. لكننا هربنا من القرية بعد أن حاوطها البربريون وأشعلوا النيران فيها و...

صمت نهاية حديثه وكأنه تذكر شيئاً ما، ونطق بصوت مرتفع عن سابقه:

- هربنا من البربريين!!

تذكر، ونظر لبطن إيلان ومن دون تفكير رفع القميص الذي لاحظ للتو أنه ممزق، متفاجئاً من إيلان حيث وجد القطعة الممزقة قد لُفت على بطنه لأجل تغطية الجرح!

آلاس اقترب، ووضع ألكسندر أنامله على القطعة وتحديداً ناحية الجرح محاولاً إزالتها.. وما أن هم بذلك حتى أنّ إيلان بضعف متألماً عابساً بملاحه محرّكاً رأسه بضعف، لكنه لا زال لا يستجيب.

صوت خطوات آلاس المبتعدة السريعة دفعت ألكسندر للنظر له ليجده ينوي الخروج من المنزل لذا هو ذهب خلفه بسرعة وسأل بقلق:

- إلى أين؟

لكن آلاس خرج مغلقاً الباب ولم يسمعه أو ينتبه، ورغم ذلك سأل ألكسندر بخشية:

- ستخبرهم عنا؟! لماذا ستفعل؟!!

سأل محدثاً الآخر الذي رحل.. اغرورقت عيناه بدموعه وتساقطت بينا أخفض رأسه ناظراً لقطرات دموعه التي سرعان ما تستقر على الأرض.. رفع رأسه بعد لحظات ناظراً للأعلى متنفساً بعمق ماسحاً دمه بكفيه.. ما الذي يجدر عليه فعله الآن؟ حتى اللحظة لا يستطيع استيعاب كل ما حدث، حتى اللحظة كان يحاول منع نفسه من التذكر والبكاء ولم يعد يحتمل..

نظر للغرفة المتواجدها إيلان والتف عائداً.. جلس بجانبه ضارباً وجنته ونادى بصوت باكٍ:

- إيلان..

لكن النتيجة كانت واحدة.

ضم ألكسندر شفتيه يحاول كبح دموعه لكن هذا لا يفيد.. الغصة المتواجدة في حلقه تجبره أن يبكي بكل قوته.. هذا العالم ظالم جداً، تعدى كل الحدود.. لن يكون صعباً عليه تدمير حياة صغير كالألكسندر.. وقد فعل..

وتساقطت دموعه المتجمعة بكثرة بينما همس:

- أنا خائف.. وبشدة، ما الذي يجدر عليّ فعله الآن يا أبي؟

أمسك بكف إيلان الساخنة مدلكاً إياها.. أخذ الطبق العميق المليء بالماء في حجره مبللاً كفه مائلاً بها على كف إيلان محاولاً تقليل مدى هذه السخونة، أمسك بكفه الأخرى وبللها بينما لم يكف عن البكاء.

ارتجفت كفّ إيلان بين كفيه لينظر لوجه إيلان والذي كان عابساً للغاية، وحدثه ألكسندر بنبرة مهتزة:

- ستكون بخير.. لا بأس..

واختتم كلامه بمسح وجه إيلان بالماء، يحاول طمأنة نفسه بالحديث قبل أن يطمئن إيلان حتى.. ألكسندر لا يدري إلى أين ذهب آلاس، هل سيحضر أحد الأهالي أم لا.. لكن ما يدريه هو أن عليه البقاء هنا بجانب إيلان.. لأنه حتى لو حاول الهرب به فمصيرهما معروف.

مرت الدقائق، ألكسندر قد أحضر عصا كانت موجودة في المطبخ واضعاً إياها بجانبه بعدما أغلق باب الغرفة كما لو كان ينوي الدفاع عن نفسه وإيلان لو حاولوا الإمساك بهما.. والده لن يوبخه كونه يدافع عن حياته وهذا ما سمح لألكسندر بوضع العصا بجانبه.

سمع افتتاح الباب بالخارج ليقف بسرعة ممسكاً بالعصا موجهاً إياها ناحية الباب، وفتح الباب ودخل آلاس مع رجل آخر بدا في الثلاثينات من عمره، ليتفاجأ من ألكسندر الذي اتخذ وضعية الدفاع وتحدث مهاجماً بنبرة مرعوبة:

- لو كنت ستسلمنا لهم في النهاية ما كنت أنقذتنا من البداية!

وتحدث آلاس:

- ألكسندر.. اه...-

لكن ألكسندر قاطعه بينما وجه العصا نحوه بكفه وفرد ذراعه الأخرى ناحية إلبان وكأنه يحميه ناطقاً بذات النبرة:

- لا تقترب منا بتاتاً.

ووضح آلاس من فوره:

- إنه طيب..

تفاجأ ألكسندر للغاية.. نظر للآخر الواقف خلفه ليومئ مؤكداً حديث آلاس، بينما اقترب متحدثاً:

- هلا أخفضت عصاك إذا يا صغير؟

وأخفض العصا بكفه مقترباً من إلبان متفحصاً حالته، بينما ظل ألكسندر واقفاً يراقبه، ولم يشعر إلا بكف آلاس التي جذبته ليخرجها من الغرفة ويباشر الطبيب عمله.

وها هو آلاس ينظر لألكسندر الجالس على الطاولة الصغيرة مقابله شاردًا فسأله متفاجئاً مبسماً:

- هل فعلاً ظننت بأنني سأحضر الأهلالي؟!

ورد ألكسندر بهدوء:

- فعلك أوحى لي بذلك.. أعتذر..

وتحدث آلاس يطمئنه:

- سيكون بخير.. هذا الطبيب ماهر جداً.. كما أنه لن يخبر أحداً بشأن تواجدهما هنا.. يضع شروط عمله فوق كل الظروف..

لكنه استغرب وضع ألكسندر لكفيه على وجهه فاركاً إياه بضيق وكأنه يحاول تناسي شيء ما.. فسأل:

- أنت بخير؟

ورد ألكسندر مبتسماً بشكل خفيف:

- بخير.. شكراً لك على كل شيء.. وأنا أعنيها حقاً.

ودقائق أخرى مرت حتى خرج الطبيب ليقف كلاهما ويتقدم ألكسندر بقلق ليتحدث الطبيب من فوره:

- امحّ تعابيرك القلقة رجاء.. سيكون بخير، الحرارة ستتناقص سريعاً، لذا احرص على تغيير الكمادات له لتتناقص بشكل أسرع، جرحه الذي لوث هو سبب تلك الحرارة.. حاولا احرص على أن تسقيه الشراب الدافئ وإطعمه بعض الثوم.

وسأل ألكسندر بارتياح وكان أنفاسه عاودته للتو:

- هو بخير؟!

ورد الطبيب مبتسماً:

- هو بخير.

وما كان من ألكسندر إلا أن انهال عليه بشكره على حسن معاملته عدة مرات، وخرج الطبيب بينما طلب من آلاس اللحاق به، أراد أن ينفرد به بعيداً عن ألكسندر.. وما أن لحق به آلاس للخارج موارد الباب حتى سأل الطبيب من فوره:

- لماذا يا آلاس؟

نظر له آلاس ليرد الطبيب:

- أنت تعلم بأن الأهالي يبحثون عنها..

ورد آلاس:

- يظنون بأنهم مصابان.. لكنهم ليسا كذلك.

ورد الطبيب:

- وهل تظن بأن الأهالي سيسمعون؟! أنا أفهم بأنك تكرههم، لكن لا تسقط نفسك في المشاكل معهم!

تنهد آلاس ليكمل الطبيب:

- ما أن يستيقظ الفتى اطلب منهم المغادرة.. وسأتعامل وكأنني لم أر شيئاً..

ظل آلاس ينظر له ليتنهد الطبيب، وضع كفه على كتفه مكملاً:

- آلاس، أنا أخشى ما قد يصيبك لو اكتشف مانيوس الأمر.

ورد آلاس بحقن:

- أنا أكرهه وأكره أننا نخشاه! وأكره أنه متواجد بالأصل..

وساد الصمت للحظات، وبدأ أن الطبيب أدرك سبب مساعدة آلاس لهما فتحدث:

- لو كان ما فعلته بسبب والدتك فـ..

قاطع آلاس راداً بنبرة حادة موجوعة:

- والدتي مانيوس قام بقتلها! ولم تكن مذنبه كما قال!

ظل الطبيب ينظر لآلاس، بينما لانت ملامحه وهو يرى ملامح آلاس المشتتة وعينيه اللتين لمعتا، وكفه الموضوع على كتفه رفعها يعانق بها وجته بلطف بينما رد:

- أعلم يا آلاس.. أعلم.

وأخذ آلاس نفساً مهزوزاً صارقاً ناظريه عنه ليردف الطبيب بهدوء:

- لا أحد يمكنه إيقاف شره.. ولذلك لتتقه.

نظر له آلاس وأكمل الطبيب قائلاً:

- احرص على ألا يراهما أي شخص، وانتبه على نفسك جيداً، وإن احتجت لأي شيء فلا تتردد بالمجيء.

أوماً آلاس بينما شكره، ورحل الطبيب ليدخل هو للمنزل، وما أن أغلق الباب والتف لألكسندر حتى تقدم ألكسندر وبشكل فاجأ آلاس عانقه بقوة متحدثاً:

- شكراً لك يا آلاس، شكراً لك.

ابتسم آلاس وبادله العناق، وكم كان دافئاً وصادقاً بشكل لا يوصف، وكم كان آلاس بحاجة.. لدرجة تمنيه ألا ينتهي.. كان مشتاقاً لمثل هذه الأشياء كونه يعيش وحيداً منذ زمن، وليس لديه شخص مقرب منه أبداً..

وفقط رد بصوت هادئ:

- بل شكراً لك أنت.

فتح ألكسندر عينيه ليقابله ظهر آلاس والذي كان واقفاً في المطبخ.. طبعي فهما قد ناما على الأرض في البهو على كل حال وتركوا الغرفة لإليان بمفرده.

عاد يغلق عينيه بقوة زافراً بقلّة حيلة هذا الواقع الذي فتحتها عليه، لا فائدة.. مهما تمنى أن يكون كل هذا مجرد حلم لا يستيقظ إلا على نفس الحلم الذي أصبح واقعاً..

فتح ألكسندر عينيه حين سمع آلاس الذي سأل:

- أنمت جيداً؟

كان يضع أطباقاً على طاولة الطعام المطلة على المطبخ.

أفصح ألكسندر بينما نهض جالساً:

- أجل.

تحدث آلاس بنبرة هادئة كلياً:

- تستطيع الاغتسال لو كنت تريد.. أو لا.. أنت حتماً عليك الاغتسال، رائحتك نتنة.

نظر له ألكسندر باستنكار ورد:

- شكراً على صراحتك البحتة.. وغدا!

ابتسم آلاس وتحدث:

- لا أظن أن بإمكانك الذهاب للحمام العام، لذا حاول الاغتسال هنا، أحضرت الماء على كل حال، خذ الملابس الموضوعة على الطاولة.

نهض ألكسندر والتقط الملابس من على الطاولة وتحدث:

- أنت زوجتي لتجهز لي ملابس؟

وأجاب آلاس متنهّداً براحة:

- أحمد الرب أني فتى..

كشر ألكسندر باستنكار واتجه من دون إدراك لأول باب وجده قريباً منه ورد:

- أصول ضيافة عظيمة يا سيد فلافيوس.

وقاطع آلاس سيره مشيراً لجهة مغايرة لجهة ألكسندر متحدّثاً:

- إلى أين؟! من هنا.

وما كان من ألكسندر إلا أن تنهد بقلّة حيلة، وبعدما انتهى عاد للبهو حيث كان نائماً بينما يجفف شعره بالمشفة، وفرد آلاس جسده واضعاً كفيه على خصره بإنجاز، وتحدث يعرفه بالأصناف التي صنعها منهيّاً تعريفه:

- أخيراً، هذا الحساء أعدته لإليان، وهو مليء بالثوم.

وتحدث ألكسندر مندهشاً ولا زال يجفف شعره:

- أنت ماهر، كنت ستصبح ربة منزل ناجحة.

ولا زال مبجلّفاً في الأصناف الكثيرة.. آلاس قد بالغ قليلاً؟ قليلاً وحسب..

وهمس آلاس راداً:

- اللعنة عليك ألكسندر.

فهقه ألكسندر وتحدث:

- سأخذه لإليان.

وحمل الصينية التي احتوت على طبق الحساء وتقدم من الغرفة، طرق الباب ودخل فإذا بإليان قد استيقظ وأخيراً.. مال برأسه ونظر له، كان ينظر له بنظرات مختلفة تماماً.. محبطة، حزينه كذلك رغم أنه بالكاد يستطيع فتح عينيه بسبب خمول جسده المستمر للآن.

وتحدث ألكسندر:

- إليان.. أخيراً استيقظ...

لكن إليان قاطعه بصوته المتعب:

- هل سأموت؟ لا تقترب مني..

أدرك ألكسندر بأنه يظن نفسه مصاباً وفعلاً قد أصاب.. اقترب رغم تحذيرات الآخر واضعاً الصينية على الطاولة المتواجدة بجانب السرير، حيث جلس على طرف السرير وتحدث:

- المرض لم يصيبك، جرحك السبب وحسب.

هدأت نظرات إليان المشتتة لأخرى مدهوشة شاردة وسأل:

- هل فعلاً ما تقوله صحيح؟

وأفصح ألكسندر بنبرة هادئة:

- لماذا سأكذب عليك؟ أنا فعلاً في حاجتك.

صمت لثانية وأردف:

- أنا جائع، سأذهب لأكل بالخارج.

وخرج ليتنهد إليان مرتاحاً.. ولم يلبث أن انتهى ألكسندر حتى طلب من آلاس إعارته ملابس ليبدلها إليان بخاصته.. حيث هم ألكسندر ليساعده على تبديلها، وخلال ذلك لاحظ

القلادة التي كان إليان يرتديها فور خلعه لقميصه وسأله:

- أوه.. ما هذه؟

رد إليان بصوته المتعب:

- تذكر.. من والدتي.

ونهى المحادثة التي بالكاد بدأت ليصمت ألكسندر عن فضوله وتحدث:

- تفضل.

ناوله القميص الآخر بهدوء ليرتديه.. من دون أن يطيل حديثه أكثر، شعر بانزعاج إليان ولم يشأ أن يزعجه أكثر..

ومر اليوم يتلوهُ يوم آخر تتلوهُ أيام، إليان قد تحسنت حالته إضافة إلى جرحه الذي يوشك على الالتئام، صحيح بأنه يبقى جليس المنزل هو وألكسندر إلا أنها كانا شاكرين لآلاس والذي بدوره كان يقوم بتلبية كل احتياجات ثلاثتهم الخارجية.

وها هما -ألكسندر وإليان- جالسان مقابل بعضيهما على طاولة الطعام الموجودة في البهو بعدما تركهما آلاس وخرج ليشتري بعض الأشياء، دام الصمت بينهما طويلاً، كل منهما كان غارقاً في دوامة تفكيره المرهقة، كل شيء معقد والقدر كان له كل النصيب في الأحداث صغیرها وكبيرها.. حتى تحدث ألكسندر وأخيراً منادياً:

- إليان.

نظر له إليان مجيئاً متحرراً من سلسلة أفكاره ليسأله ألكسندر:

- هل تعتقد بأن من في إيرينيا لا يزالون أحياء؟

وأجاب إليان بهدوء:

- أنا فعلاً لا أمتلك أي علم ألكسندر.

داعب ألكسندر أصابع كفيه ببعضهم على الطاولة ناظراً لهم وأفصح بنبذة منخفضة:

- اشتقت لوالديّ ولأجواء القرية الدافئة.
- وإليان بدوره تحدث:
- أنا أيضا.
- سأله ألكسندر:
- هل ولدت في إيرينيا؟
- أجابه إليان:
- أصلي لا يعود لها، لكنني قدمت لها في سن مبكرة.
- سأله ألكسندر مجدداً:
- كيف كنت تعرف اسمي؟ لم ألحظك أبداً إلا ليلة الاحتفال.
- ورد إليان:
- كنت جليس منزلي ولذلك أنت لم ترني مطلقاً.
- وتحدث بعدها ألكسندر:
- لكن هذا لا يجعل شعوري بالغربة يقل..
- سأله إليان:
- ما الذي تريد معرفته؟
- وألكسندر بدوره أجاب:
- كل شيء عنك.. نحن بالفعل لا نزال غرباء.
- أخفض إليان ناظريه وتحدث بنبرة ثابتة:
- عشت أحداثاً مشابهة لما حدث في إيرينيا، لكن الفرق كان أهالي القرية والذين بدورهم قد أخذوا دور البربريين.

سأل ألكسندر بفضول:

- ماذا حدث؟

قبض إليان كفيه على بعضيهما، أطبق شفثيه بعدما بللها مخفضاً رأسه أكثر، بينما تحدث بعشوائية:

- أخذوا أُمي مني.. وأخذوني من بين أحضانها، كنت لا أزال في الثامنة.. ورغم ذلك هم أجبروني على مشاهدتها وهي تعذب وتحترق.

ألكسندر كان مصدوماً مما ينطق به الآخر.. إليان كان مشتتاً حال حديثه، وهذا سبب تحدثه بتلك العشوائية.. تحدث كما لو أن ألكسندر قد خاض معه تلك الأيام، لذا فهو ليس في حاجة ليخوض في التفاصيل..

كاد ألكسندر يجبره أن يتوقف لو كان لا يريد الإكمال، لكن إرداف إليان قد سبقه:

- اشتبهوها بالمرض وهي لم تكن.. حينها قام والدي بأخذي وهربنا من المكان هناك وقدمنا لإيرينيا.. أما عن كيف أعرفك.. أذكر بأنني وقت قدومي كنت لا أزال مصدوماً مرعوباً.. والذي أيضاً كان متعباً من طول الطريق.. أخبرني بأنني فقدت وعيي.. وكنت أنت من رأيي وقدم لنا المساعدة باستدعائك والدك.

ابتسم إليان بشكل خفيف نهاية حديثه حينما نظر للملامح ألكسندر المدهوشة، وفي الحقيقة، ابتسامة إليان قد ناقضت مشاعره، بالرغم من مرور السنين إلا أن قلبه وعقله لم يستطيعا تناسي تلك المشاعر أبداً، الارتجاج من الرعب والشعور بالبرودة التي تعصف به من الداخل لتهدمه، تهشّ فؤاده وتضعفه.. سواد الليل الذي طبع ظلمته المخيفة داخله، داخل كل إنش فيه ماحياً بهجته بالكامل..

سأل إليان بسبب ملامح الآخر:

- ألا تتذكر؟

رد ألكسندر:

- ليس جيداً.... كم عمرك؟

أجاب إليان:

- سبعة عشر.

تنهد ألكسندر وعقد حاجبيه مضيقاً عينيه يحاول التذكر متحدثاً:

- الفرق بيننا هو سنة وحسب.. لماذا لا أستطيع التذكر؟

تحدث إليان:

- لا بأس، طبعي ألا تتذكر كل ما صادفك، كنا صغاراً في الحقيقة..

وابتسم بخيبة، أراد لو تذكر ألكسندر ذلك ويشده.. تنهد وأردف مكماً:

- لذلك، أنا ممتن لك.. لقد ساعدتني والدي.. لم أستطع ترك هناك لثموت.. أعذر.

وأهوى حديثه مبتسماً بتوتر، وقابله رد ألكسندر:

- أنا أيضاً ممتن لك إليان..

آلاس وأخيراً قد عاد.. دخل للمنزل مغلقاً الباب خلفه مستنكراً ظلمته، لذا تحرك سريعاً وقام بإشعال الشعلة، الشمس تكاد تغرب بالفعل، وسأل آلاس بصوت منخفض يخشى أن يستمع له شخص ما:

- حسناً، أين أنتما؟

وألكسندر بدوره كان محتبباً خلف جدار الغرفة التي ينام فيها ثلاثتهم منتظراً دخول آلاس ليخفيه، نظر لإليان والذي كان واقفاً بجانبه ناظراً له بإحباط على ما هو مقدم عليه الآن بسبب ألكسندر اللحاح

ألكسندر يحاول إدخال البهجة على قلب إليان.. وعلى قلبه بكل بأس.. لعل هذه السعادة تكون كفيلة ببنية جدار التحمل الذي هدم داخله مجدداً، وبالفعل لم يكذب آلاس أن دخل

للغرفة حتى صرخ ألكسندر مادًا ذراعيه للآخر الذي شهق وارتعب متراجعًا مصطدماً بالباب ناظرًا له بعينين واسعتين، سقط ألكسندر بجانبه على الأرض ضاحكًا بينما خرج إليان من مخبئه بهدوء مكتفياً ذراعيه لصدره، وتحدث آلاس برهبة كبيرة:

- اللعنة.. اللعنة عليك ألكسندر لعنة ملعونة!

فهقه ألكسندر أكثر بينما صفق بكفيه مستمعًا لآلاس الذي أردف واضعًا كفه على صدره:

- كاد قلبي يقف! ظننتك أحد الأهالي!

ضحك ألكسندر أكثر ونظر إليان بقلّة حيلة لكليهما مستغربًا ردة فعل آلاس القوية رغم أنه مقلب معروف، وانقلب خوف آلاس لغضب متحدثًا:

- وحين أساوي وجهك بالأرضية حالاً؟؟!

حاول ألكسندر التوقف عن الضحك مبررًا:

- آلاس، أنا آسف! لكن الجلوس طوال اليوم في المنزل ممل!

وسع آلاس عينيه بغير تصديق، ونظر لإليان طالبًا:

- إليان قل شيئًا!!

تخطاهما إليان للخارج بينما تحدث:

- إليان خارج الخدمة حاليًا.. تصرف معه كما يحلو لك!

ثوانٍ معدودة والتف إليان ناظرًا لآلاس الذي هجم على ألكسندر ولألكسندر الذي يحاول الدفاع عن نفسه وقد عاد يضحك.. وفي لحظة حنين.. ابتسم..

وبعدھا.. كان ألكسندر واقفًا عند جدار بداية المطبخ ينادي على آلاس الممتنع عن حديثه لعدة مرات في الدقيقة.. آلاس يقوم بإعداد الطعام بينما ألكسندر لا يتوقف عن مناداته.

تحدث ألكسندر متنهّدًا بخيبة أمل:

- المرة التاسعة والأربعون ولا إجابة.

ثانية وأردف ألكسندر أمرًا بضجر:

- حرك شفاهك، قل نعم.

تحدث آلاس بعصبية كبيرة ناظرًا لألكسندر:

- اخرس! لا أستطيع التركيز في مقادير الطعام!

ورد ألكسندر بضجر:

- أحاول الاعتذار أيها الوغد!

اتجه للخارج تحت نظرات آلاس الغاضبة ومشى تحديدًا لإليان الذي كان جالسًا على طاولة الطعام يراقب ما يجري، وجلس على الكرسي بجانبه وتحدث بضجر:

- آلاس ضربني رأيته؟

ورد إليان بفقدان أمل:

- آلاس لم يفعل لا تصعد الأمور.

واستمع لآلاس يكمل بانفعال:

- أميرة بكاء!

ومرت عدة أيام آخر وقد برأ جرح إليان بالكامل، وشعر كل من ألكسندر وإليان بطول بقائهما لدى آلاس، خشيا جلب المشاكل له إذا ما بقيا أكثر.. واهتديا في النهاية لقرار الرحيل وتبقى فقط الوقت المناسب الذي سيخبران فيه آلاس بالأمر، وقد أتى هذا اليوم وصباحًا بالضبط، ثلاثتهم قاموا بتحضير الطعام وجلسوا وقد كانت أكثر الفرص مناسبة حيث نظر إليان لألكسندر دافعًا إياه للحديث لياشر ألكسندر حديثه بهدوء مناديًا:

- آلاس.. هناك شيء ما نود إخبارك به.

نظر له آلاس مصغيًا ليردف ألكسندر:

- الليلة.. أنا وإليان سنرحل.. بالأمس تناقشنا وقررنا سوياً الرحيل.

وساد الصمت وبدت ملامح آلاس مدهوشة، وسأل مهدوء وترقب:

- أأستما مرتاحين هنا؟

كان إلبان هو من أجاب بابتسامة خفيفة قائلاً:

- الأمر ليس كذلك.. لا نريد إسقاطك في المشاكل فقط.

ظل آلاس ينظر لكليهما بعدم تصديق.. مرت أيام.. خلالها هو اعتاد عليهما.. رغم قصرها هو اعتاد عليهما فعلاً، وشعر بالراحة لتواجدهما معه.. حتى لو كان ذلك سيهدد حياته ويضعها على المحك.. وكان رده بسيطاً، فقط نطق بـ "فهمت"، هو لا يمتلك حق إجبارهما على البقاء أو حتى التمسك بهما..

وانتظروا حتى غروب الشمس ودخول الأهالي لمنازلهم، كان آلاس يشرح لهما الطريق الذي سيسلكانه..

ومن جهة أخرى كان هناك فتى يراقبهم عبر نافذة المطبخ التي نسي آلاس مواراتها بالستار، وكان موكلاً بذلك لتوه من قائد القرية بعدما أخبره بائع الخضر عن مشتريات آلاس التي زادت بشكل ملحوظ، وعن براميل الماء التي يملؤها من الحمام العام آخذاً إياها لمنزله، وباتت الشكوك تحوم حول آلاس بكثرة، وبينما رجال القرية مجتمعين لدى القائد ينظرون الأمر الأمر القائد هذا الفتى بمراقبته وإحضار الخبر اليقين..

كان الفتى ينظر لثلاثتهم غير قادر على الاستماع، وها هو قد رحل حين رأى آلاس ينوي الخروج... وقتها خرج آلاس أولاً مراقباً المكان مشيراً لإلبان وألكسندر بالخروج خلفه ليخرجا.. كانا ملثمين بينما قاما بتغطية رأسيهما بالقبعة المتصلة بوشاحهما.

آلاس تحرك بحذر وهما من خلفه.. كان يشعر بالريبة لكون الجو هادئاً والطرق خالية لهذا الحد، حتى المنازل لا تصدر منها أي أصوات، لكنه رغم ذلك بقي حذراً في خطواته، حتى وأخيراً وصل لبداية القرية التي قدم منها إلبان وألكسندر ليتنهد مرتاحاً حالماً لم يجد أي شخص في الجوار، وتحدث مشيراً لأشجار الجهة اليمنى الكثيرة:

- لو سلكتنا طريق الأشجار هذا ستصلان للبحر.

وأكمل بينما أشار لليसार:

- من هنا ستتجهان للقرى الأخرى ومن ثم العاصمة.

"وهذا طريق إيرينيا" إليان وألكسندر نطقا في نفس اللحظة ليتسما جميعاً، وتحدث آلاس مبتسماً:

- كونا حذرين.. ابقيا بخير رجاء.. رافقتكما السلامة.

اقرب منه ألكسندر معانقاً إياه وإليان كذلك وفصلوا عناقهم ليتحدث إليان:

- شكراً لك.. على كل شيء.. لن ننسى معروفك ما حيننا.

ورد آلاس عليه بابتسامته اللطيفة، وظل يراقبهما حتى اختفيا عن أنظاره.. الشعل التي بحوزتهما كفيلة بالغرض حتى شروق الشمس.. لذا حتماً هما سيكونان بخير.. فكر بذلك بينما تجاهل دموعه المتجمعة بعينيه، قلبه اعتاد تواجدهما بالفعل، قد تقرب منها بشكل ملحوظ.. شعر بالدفء، ويبدو كما لو أن الدفء رفض قلبه..

رفع كفيه فاركاً عينيه لتختفي دموعه المتجمعة، تنهد.. الخطأ خطؤه هو.. ما كان عليه تعليق قلبه بهما وهو يعلم بأنهما سيرحلان نهاية الأمر وفي أية لحظة!

تنهد مجدداً ومجدداً.. وحال شعوره بشعلته التي أوشكت الانطفاء التف عائداً للمنزل حيث دخل بملامح متعبة مغلقاً الباب خلفه.

"أين كنت آلاس؟"

كان صوتاً أسقط قلب آلاس للأرض.. حيث التف ووسع عينيه بصدمة كبيرة.. لماذا يتواجد في منزله بعض رجال القرية؟

رد آلاس بقلق بينما نظر لمن هم داخل منزله بالفعل محتثاً كلامه بالنظر للأرض:

- لك.. كنت.. فقط أتمشى بمفردي.

سأل الرجل مجدداً:

- سأسألك بوضوح أكثر.. أين هما ذاكان الفتیان اللذان قمت بإخفائهما هنا؟

ارتعب قلب آلاس.. لكنه حمد الإله.. سؤاله يعني بأنهم لا يعلمون بمكانها! لذا.. لو فتح الباب وهرب.. كل شيء سيكون بخير صحيح؟.. وما كاد يقدم على فعلها حتى فُتح الباب ودخل قائد القرية، مانيوس، ولم يتسبب دخوله بشيء سوى قلب آلاس والذي خفق بقوة من رعبه المتزايد.. يكاد يرى نهايته قريبة.. هؤلاء الأشخاص لن يستمعوا حتى.. حتى لو كان آلاس لا يعلم من يكونان ألكسندر وإليان حقًا.. حتى لو لم يقدم لهما المساعدة.. حتى لو حدث كل ذلك وأخبرهم به فلن يصدقوه.. النهاية ستبقى نفسها أكان صادقًا أم كاذبًا.

ظلم أهالي القرية كان دافعه الأول لحماية الاثنين منهم.. والآن.. هذا الدفء الذي بثه كلاهما في قلبه كان الدافع الثاني والأقوى..

أخذ رعب قلبه بنظرات من نار الكراهية تجاه الكل.. وقد قرر.

سينكر.. حتى اللحظة الأخيرة هو سينكر.

واستمع لمانيوس الذي تحدث بهدوء:

- آلاس.. أنت ابني كما أنت ابن لكل المتواجدين.. لذا كن عاقلاً وأخبرنا.. أين هما؟

وكان رد آلاس:

- من تقصد؟



الفصل الرابع

قِلَادَة، آرْسَنُ بَيْنَفِينْتُو.



"عندما يصبح الظلم قانوناً، يصبح التمرد واجباً" ..

-روزا لوكسمبورغ

..

استمع لمانبوس الذي تحدث بهدوء:

- آلاس .. أنت ابني كما أنت ابن لكل المتواجدين .. لذا كن عاقلاً وأخبرنا .. أين هما؟

وكان رد آلاس:

- من تقصد؟

بنبرة قوية ثابتة للغاية وبعينين حدهما على من يحدثه .. ولم يلبث .. حتى قابلته صفعة قوية أفقدته توازنه ليتراجع متمسكاً بكرسي طاولة الطعام حتى لا يسقط على الأرض .. كانت قوية، لدرجة أنها قامت بجرح طرف شفته السفلى، وأمر مانبوس بصوته الخشن بقية الرجال:

- دعونا بمفردنا.

خرجوا من فورهم وبدوره تقدم جالساً على الكرسي المتواجد بجانب الكرسي الآخر والذي لا زال آلاس مستنداً عليه واضعاً كفه على خده ناظراً للأرض، وتحدث القائد بصوت هادئ ناظراً لآلاس:

- لا تجعلني أقسو عليك.

وآلاس بدوره نظر له، بكل كراهية نظر له وسأل:

- تستضعفني لكوني لا أمتلك سنداً؟ هذا لا يدل على رجولتك أبداً .. يا مانبوس.

أمسك مانبوس بذراعه بقوة جاذباً إياها ليتألم آلاس، وأمره مانبوس بنبرة شديدة:

- تحدث .. قر واعترف!

أمره آلاس بحدة:

- دعني..

بينما شد بكفه الأخرى تمسكه بالكرسى محاولاً تحمل ألم ضغط مانيوس الشديد على ذراعه..
هو ضعيف للغاية مقارنة به..

ولم يتلق إلا ضغطه المزداد ليتألم واضعاً كفه الأخرى على كف مانيوس محاولاً إبعادها.. وفي
الواقع كان مانيوس هو من دفع ذراعه تاركاً إياها ليحيط آلاس مكان إمساكه فوراً بينما عبس
بملاحه، وسأل مانيوس بنبرة مستفزة:

- لماذا كل هذا الكره؟! لماذا؟! أنا أحاول معاملتك كابن لي قدر استطاعتي!

وآلاس أجاب فوراً.. كما لو كان يعلم ما سيقوله الآخر:

- لا أحد يحب الشياطين!

سأل مانيوس:

- ووالدتك؟

انقلب بحديثه بذكره والده آلاس.. نقطة ضعفه، ولأن الجميع يعلم بأن والديه هما نقطة
ضعفه فقد كان أمر استفزازه سهلاً جداً، وآلاس بالفعل.. يجن جنونه لو رأى أو سمع شخصاً
يحاول التناول على والديه، ورد بنبرة عصبية:

- اخرس.. لسانك القذر ليس عليه ذكرها!

تحدث مانيوس بهدوء بعكس آلاس الذي اشتعل غضباً:

- أمك ماتت لأنها كانت نجسة!

طغى الغضب على قلب آلاس، ومد قبضته قاصداً لكم مانيوس، إلا أن مانيوس أمسك كفه
ولوى ذراعه خلف ظهره بينما وقف دافعاً إياه للطاولة ليجبره على الميل عليها بجسده على بطنه
وتحدث بغضب:

- من تظن نفسك لتحاول مد ذراعك عليّ؟! هل عليّ قطعها لتتعلم درسك؟!!

أخرج سيفه ناوياً فعلها فعلاً، وصرخ آلاس بجنون بينما أدمعت عيناه:

- أُمي أطهر نساء هذا الكون.. أنت السبب.. أنت.. من دمرت حياتها وحياتي!

ترك مانيوس سيفه على الطاولة واقترب من آلاس متحدثاً بهدوء قريباً من أذنه:

- لماذا إذًا.. لم يعد والدك ليدافع عنها؟ ظل صامتاً مخفياً حتى بعد موتها.. لماذا بالأصل تركك وهرب؟!

صرخ حينها آلاس بكل قوته:

- توقف.. يكفي!

أمسك مانيوس رقبتة من الخلف ضاعطاً عليها بأصابعه قاصداً إضعاف وشل حركة آلاس وقد فعل، ترك ذراعه التي لواها ورفعها عن الطاولة من عنقه.. بينما كان آلاس منقاداً متألماً من ضغطه على عنقه حتى أنه قد سقط على ركبتيه على الأرض بوهن وأمر بذات وهنه:

- اتركني..

جلس الآخر على الكرسي كما كان رافعاً وجه آلاس بكفه الأخرى ينظر لتفاسيم وجهه الضعيفة إثر ضغطه المتزايد على عنقه، وأغمض آلاس عينيه واستمع لسؤاله:

- دعنا نعد لحديثنا الأول.. لا تغضبني.. حسناً؟ أين هما؟

وقابله الصمت ولم يلمس ولا يضع إجابة ليرد:

- لماذا لا تتحدث؟ هل تريد مني إجبارك على فعلها؟

عاد الصمت ليقابله مجدداً ليكمل:

- لك ذلك آلاس..

وقف ورفع آلاس عن الأرض من ذراعه بقوة تاركاً عنقه وسار، بينما جره خلفه بقسوة خارجاً من المنزل، ونظر آلاس للأهالي المتجمهرين بالخارج على طول الطريق المؤدي لمنزله نظرة خاطفة قبل أن يغمض عينيه يحاول التحكم بأنفاسه ودموعه.. نظرات الأهالي تكاد تحترق

جسده وكم شعر بذلك بوضوح.. لم يستطع رفع عينيه مجدداً.. لم يستطع التصدي لكل هذا الظلم وحده.. بالكاد يكون شيئاً في هذا الكون الفسيح..

وصل مانيوس به لساحة القرية حيث دفعه بقوة ليسقط آلاس على الأرض متأوهاً بوجع.. نظر حوله للأخشاب وللمعدات المخيفة المختلفة وتنفس باهتزاز.. ما يقدم عليه مانيوس لا يصدق.. عقاب مبالغ فيه ولا يرحم..

نظر لمانيوس الذي جاء من خلفه وشرع يقيد بحبل متين للغاية وخشن

كتف كفيه ببعضهما خلف ظهره وقدميه ببعضهما وهذا غير الحبل الملتف على طول جسده النحيل، وحين انتهى من ربطه وقف.. وأوقف آلاس رغماً عنه وسار به رغم معرفته بقدمي آلاس المقيدة.. إلا أنه لم يبال!

دفعه ليجلس مرغماً وسط تلك الأخشاب ذات الرؤوس الحديدية المدببة الحادة، وأمر بحدة آلاس أن يرفع جسده لينصاع آلاس لأمره بقلة حيلة وأنفاس قلقة، وبات جالساً على ركبتيه نصف جلسة، فلا هو الجالس بالكامل مرتاحاً ولا حتى واقفاً على ركبتيه وإنما بين ذلك.

وقام مانيوس برفع تلك الأخشاب ليوجهها لجسد آلاس عبر ذراع تحكم متصلة بتلك الأخشاب.. فلو أن آلاس فقط تعب وانهار ساقطاً من تلك الجلسة فستخترق الأخشاب جسده لا محالة وسيموت..

رفع آلاس رأسه حينها ناظراً للأهالي الكثر المتجمعين.. لتلك النظرات الشامتة على حالته.. واستمع لبعض الكلمات التي نهشته بقسوة:

"مجرد خائن"..

"نهاية السافلين"..

"ابن الرذيلة والعهر لا يجدر به العيش"..

"مت سريعاً ولننه هذه المهزلة".."تستحق"..

أخفض رأسه بهدوء وتساقطت دموعه متنفساً بصوت مهزوز مرتعب.. وعاد يرفعها حين

سمع صوت الطبيب الذي استدعاه ليعالج إيلان قبل أيام وهو يطلب من الأهالي التنحي ليصل، ونظر آلاس ناحية الصوت حتى ظهر من بينهم، ونظر له هو الآخر مصدومًا، وكاد يتقدم ناحيته إلا أن الأهالي أمسكوه ليتحدث بصوت مرتفع يقصد مانيوس:

- ما الذي تفعله؟!

ونظر للأهالي وأردف بعدم تصديق:

- ما الذي تفعلونه؟! آلاس مجرد طفل.. ما خطبكم؟!

وعاد ينظر لمانيوس طالبًا:

- حرره! هو ليس مريضًا، ولا حتى راشدًا لتعاقبه بهذا الشكل الفظيع!

وتحدث مانيوس بغضب:

- أبعدوه عن وجهي..

وتحدث الطبيب صارخًا:

- حدثني كما أحدثك! أوقف هذا الشر واستوعب بأنك تعذب فتى في الرابعة عشر وحسب!

أولست تقول بأنه ابن لجميع من بالقرية؟!

ناظره مانيوس واقترب منه حتى بات أمامه وتحدث بهدوء:

- احرص على ألا تظهر أمامي مجددًا..

واقترب منه وهمس بأذنه:

- وإلا، والدتك المسنة ستكون التالية، المسكينة أصابها الوباء بهذا السن.

ناظره الطبيب بعدم تصديق، ونقل أنظاره لآلاس الذي ظل ينظر له باستنجد واضح ودموع

ملأت وجهه، وأمر مانيوس:

- خذوه من هنا، وتأكدوا بأنه لن يتمكن من المجيء مجددًا.

وسحبوه مبتعدين رغم أنه حاول مقاومتهم، وشعر آلاس كما لو أن آخر خيوط أملته تسحب

من أسفله ولا يستطيع حتى إمساكها، وبات بكاؤه مسموعاً لل قريب رغماً عنه، ونظر لمانئوس الذي عاد له حتى وصل، وتحدث مخفضاً جسده مقترباً منه:

- والآن؟ ما زلت مصرّاً على الصمت؟

ورد آلاس بحدة من بين دموعه:

- أنا أكرهك.. حتى لو كنت أعلم أين هما.. بتأتا أنا لن أخبرك!

ورد مانئوس:

- إذا توقف عن الحديث وحافظ على طاقتك عوضاً عن ذلك.. أرني مقدار تحملك.. يا ابن داميان.

وقف معتدلاً بعدها، ونظر للأهالي وتحدث بصوت مرتفع:

- جميعكم تستطيعون العودة لمنازلكم الآن.

وبدأ الأهالي بالرحيل فعلاً تحت مدحهم وثنائهم له، بينما يشيخون بأعينهم عن كونه مجرد طفل في الرابعة عشر لن يحتمل، ولا زال آلاس يوزع أنظاره بينهم بخيبة وهول.

في الطريق المؤدي لإيرينيا

إليان وألكسندر قد قررا الذهاب لإيرينيا أولاً في محاولة للتحقق مما إذا كان لا يزال هناك أحياء.. ومن ثم، في الحقيقة حتى الآن هما لم يقررا..

سأل ألكسندر:

- ما الذي وضعه آلاس في الحقيقة؟

وأجابه إليان:

- وضع عيدان الخشب لأجل الإنارة والكثير من الطعام والماء.

تحدث ألكسندر بالمقابل:

- إلهي.. أتمنى لو أنه معنا الآن.. كان لطيفاً جداً تجاهنا.

ورد إليان:

- هذا لأنه رأى انعكاس صورته فينا.. نحن فعلاً متشابهون.

عقد ألكسندر حاجبيه وسأل:

- ماذا.. تعني؟

ووضح إليان:

- آلاس فقد والديه هو الآخر.. صحيح بأنه لم يتحدث معنا أبداً عن نفسه، إلا أن قصته تبدو معقدة.. خصوصاً وأنه يكره الأهالي ويخاف منهم..

اختتم إليان كلامه واضحاً كفه على صدره قاصداً الإمساك بالقلادة.. لكنه لم يجدها، وهذا ما دفعه للتوقف فجأة ليستغرب ألكسندر ويسأل:

- ما بك؟!

وأجاب إليان بنبرة مصدومة:

- القلادة..

سأل ألكسندر:

- نسيته؟؟

نظر له إليان مجيئاً بذات النبرة:

- لا أعلم..

تحدث ألكسندر:

- انتظر.. ابحث عنها في ملابسك.. لربما قد علققت في أي شيء.

خلع إليان الحقيبة فوراً متلمساً جسده، لحظات وأخبر بندم:

- لا شيء... لا بد وأن الحبل انقطع.. لاحظت الخيط الضعيف ورغم ذلك لم أحاول ربطه ببعضه.

اقترح ألكسندر:

- هل نعود؟ نبحث عن القلادة على الأرض في الأماكن التي سرنا فيها.

نظر له إليان وتحدث:

- مضت ساعة ونصف حتى وصلنا هنا ألكسندر..

ربت ألكسندر على كتف إليان وهم بحمل الحقيقة متحدثاً:

- إيرينيا لن تختفي لو لم نذهب لها الآن.. لكن قلادتك ستفعل.

وسار بطريق العودة مردفاً:

- إذا.. ركز جيداً على الأرض.

وإليان بدوره أوماً مهدوء يتبعه.

في القصر الملكي

كان الأمير آرسن جالساً في غرفته الكبيرة بجناحه الخاص يرتب حقيبته استعداداً لرحلته.. لم ينس تركيبة الأعشاب التي سهر عليها شهوياً كعلاج للوباء لأجل لو احتاجها، وهذا غير بقية أدواته الطبية، وذهب لخزائنه وفتحها مستلاً سيفه مثبتاً إياه على خصره.. ارتدى القلادة التي تحمل شعار العائلة موارياً إياها بملابسه التي تقصّد أن تكون عادية، ولم ينس خريطة المملكة التي أخذها معه كذلك.

حمل حقيبته وخرج من الغرفة وبالتالي من القصر متجهاً للبوابة، ليجد من قام بتجهيز حصانه النبي، اقترب منه مرتباً على طول عنقه مبتسماً قبل أن يمتطيه، وقبل أن يباشر رحلته استوقفه والده ليطمئن على حاله.. كلو كان جاهزاً ولم ينس أي شيء، واختتم حديثه قائلاً:

- يا بني، أعتمد عليك!

تلك الجملة دفعت آرسن ليتسم وتحدث:

- لن أخيبك.. شكرًا لقبولك طلبتي.

أوصى ابنه قائلاً:

- احرص على ألا يصيبك المرض.

وانطلق الأمير بعدها خارجاً من حدود القصر وبالتالي من العاصمة كلها متجهًا حيث أراد، بعد إلحاحه على والده طويلاً حتى يوافق وها هو.. في طريقه.

في ساحة قرية آلاس

كان جسد آلاس يرتجف بقوة بينما كانت أنفاسه عالية، تعب جسده بالفعل وما عاد يحتمل المزيد من الثبات وكلما حاول الميل أو الانحناء بجسده كان يشعر برؤوس الحديد التي تجرحه لشدة حدتها.

رفع رأسه بضعف لمانبوس الجالس الذي كان يراقبه طوال ذلك الوقت والذي كان يحدس كينه ليصبح حادًا أكثر مما يبدو، وسأل بينما نظر لآلاس:

- هل تعبت؟

اقترب وأردف:

- تحدث.. خلص نفسك من هذا وتحدث.. لقد جرحت بالفعل.

جلس مقابل آلاس مباشرة.. ولم يقابله إلا أنفاس آلاس العالية ليكمل:

- لماذا تتظاهر بالثبات وأنت ستتهار في أية لحظة؟ مرت ساعتين ونصف وقد تعبت بهذا الشكل.. ما بال من جلسوا كذلك أيامًا؟

همس آلاس من بين أنفاسه:

- ظالم.

رفع مانيوس وجه آلاس من ذقنه بأصابع كفه بينما تحدث:

- أتدري ما هو الظلم حقاً؟ تشويه هذا الوجه الجميل، بينما صاحبه في عراك قوي مع عقله الذي يأمره بالتحمل وقلبه الذي يأمره بإراحة جسده مهما كان الثمن.

أشهر بسكينه أمام عيني آلاس وأردف: سأكون رقيقاً مثلك، سأحاول ألا أشعرك بالألم الشديد حتى تعود لرشدك وتتحدث.

قرب سكينه لعلية وجنة آلاس اليسرى.. لم يتهاون معه أبداً وقام بغرز حد السكين جارحاً آلاس الذي انتفض جسده من الألم وشهق بقوة محاولاً إبعاد وجهه إلا أن الآخر ثبته بيده الأخرى جيداً ممسكاً بشعره من الخلف دافعاً رأسه في الاتجاه المعاكس لمحاولات هربه، وأخرج سكينه متحدثاً:

- ليست عميقة.. لن تترك أثراً.

وناظر وجه آلاس المصدوم.. لعينيه المملئة بالدموع.. مستمعاً لشهقاته وأنفاسه المرعوبة وأبينه الضعيف، وعاد وغرز رأس سكينه مجدداً أسفل أول جرح بشكل أعمق من سابقه ليحرك آلاس جسده منتفضاً مجدداً محاولاً الهرب ليشعر بالرهوس التي قامت بخدش أنحاء جسده وهناك من أصابته واخترقت جلده ليصرخ بضعف.. حرك رأسه بعشوائية إلا أن الآخر ثبته بقوة أكبر لتساقط دموع آلاس هذه المرة بينما بكى متأوهاً وعلت شهقاته ومحاولاته لالتقاط أنفاسه الهاربة.. واعترف حينها بنبرة مرعوبة مهتزة:

- خرجا من القرية!

أخرج مانيوس سكينه ناظرًا لآلاس بينما لا زال يقيد رأسه وسأل:

- متى؟

ورد آلاس بصعوبة بسبب تنفسه المضطرب وشهقاته التي تخرج رغماً عنه:

- قبل.. عودتي للمنزل.. مباشرة.. ليسا مريضين.. هربا.. من البربريين.. الذين اقتحموا

قريتهما.. وجاء الهنا.

ورد مانيوس:

- هذا جيد..

طلب حينها آلاس:

- أخبرتك بما تريد.. أرحني.

أراد وبشدة الاستلقاء على الأرض مريحاً جسده المتعب من هذه الوضعية الصعبة، لكن مانيوس تركه ووقف ومشى مبتعداً وتحدث:

- بعد أن جالستها؟ تريد إصابتنا بالمرض؟! تصبح على خير يا آلاس.

ولا زالت عينا آلاس تتبعه، كم كان مصدوماً من فعلته ليعاود البكاء بقلّة حيلة، جسده يكاد ينهار بأي لحظة، كما أنه يشعر برءوس الأخشاب التي خدشته بقوة وتلك التي جرحته، ويشعر بوجته التي بدأت تؤلمه بشكل لا يطاق، وصرخ بصوته الضعيف:

- مانيوس أيها الحقير!

ولم يتلقَ أي رد.

عند مدخل قرية آلاس

ألكسندر وإليان انتهى بهما الأمر بالوقوف عند مدخل القرية مجدداً.. لم يجدا القلادة طوال سيرهما لذا هما رجحا أنها في منزل آلاس حتماً.. ظانين بأنها سقطت حين كان إليان يبذل ملبسه أو شيئاً من هذا القبيل.

نظرا لبعضهما البعض وتحدث ألكسندر:

- لكن حذرين.. لا نصيب أي أحد فيهم بالشك.

أوماً إليان وتحدث:

- ارم هذه الشعلة.. القرية ممتلئة بمثلها.
- وبالفعل رمى ألكسندر الشعلة على الأرض ودخل هو وإليان.. مشيا بهدوء وتخفي حتى وصلا لمنزل آلاس ليتحدث ألكسندر:
- أتمنى أنه لا زال مستيقظًا..
- لكن إليان اقترب مسرعًا وتحدث بدهشة:
- ألكسندر.. الباب مفتوح..
- اقترب ألكسندر هو الآخر حيث دخلا وأغلقا الباب خلفها لينادي ألكسندر بقلق:
- آلاس.. أين أنت؟
- بحثا عنه في كل مكان وانتهيا بغرفته التي كانوا ينامون فيها.
- وتحدث ألكسندر فور رؤيته لقلادة إليان:
- إليان.. ها هي قلادتك.
- كانت متواجدة بزاوية الغرفة بجانب السرير الذي لا زال فوضويًا ولم يرتب، وتحدث إليان بريبة:
- ما الذي حدث؟ آلاس لم يكن أبدًا ليرك المكان فوضويًا بهذا الشكل.
- وتبع بعدها ألكسندر الذي خرج واتجه للغرفة المغلقة والتي لم يعلم ما بداخلها منذ جاء هنا..
- آلاس لم يحاول فتحها أبدًا، لذا قام ألكسندر بفتح الباب ودخل.. ليستيقن بأنها غرفة والديه..
- مرتبة ونظيفة جدًا، كان آلاس يحافظ عليها وكأنه كان مؤمنًا بأن والديه سيعودان يومًا..
- تحدث إليان:
- ألكسندر.. أغلق باب الغرفة.. هذا ليس لائقًا.
- طاوعه ألكسندر واقترب منه متحدثًا شاعرًا بالأسى تجاه آلاس:
- كنت محققًا حول حديثك..

ورد إليان:

- المهم الآن أن نعلم أين هو..

خرجنا من المنزل بهدوء وسارا سويًا، وسأل ألكسندر:

- ماذا لو أن الأهالي قد اكتشفوا شيئًا؟

نظر إليان له.. كان نفس الشك الذي راوده، وتوقفنا حين استمعا لصوتٍ مسن يسأل:

- ما الذي تفعلانه هنا؟

كانت سيدة كبيرة في السن تجلس أمام منزلها على كرسي قد تحدثت تقصد إليان وألكسندر فأجاب ألكسندر:

- كنا نتسكع وحسب، الجو جميل الليلة.

وحاول إليان إخفاء وجهه عنها ليبرر ألكسندر:

- إنه أخي التوأم.. هو خجول قليلًا من مقابلة الغرباء، ولذلك نحن لا نخرج من منزلنا بتأنا.

وتحدثت السيدة بهدوء:

- عودا للمنزل.. لا بد وأنكما تعلمان بما حدث.

سأل ألكسندر:

- حدث؟

حاول إليان اختلاق الحديث ليعلم أين هو وسأل وقتها:

- تقصدين آلاس؟

وردت:

- ومن وراءنا غيره.. لكنه في النهاية.. مسكين.

سأل ألكسندر باندفاع:

- أين هو؟

ونكره إيلان في ذراعه.. سؤاله غبي للغاية ومثير للشك.. لكنها رغم ذلك أجابت:

- لا تذهبا ناحيته.. دعاه ليموت ويرتاح.. أثقل بما يكفي وزيادة من الكلام والألم، أم أنكما تنويان إنقاذه؟

باتت نظرات كليهما متفاجئة، وتفاجأ أكثر حين أردفت:

- هل أنتما الغريبان اللذان أخفاهما آلاس؟

أثناء رحلة الأمير آرسن

نزل الأمير آرسن من على خيله متنهداً بأسى.. ناظرًا للميتين على الأرض.. بدا كما لو أنهم كانوا يحاولون النجاة بحياتهم لكن المرض كان له قرار آخر..

الوضع تدريجيًا.. يتقلب من سيئ لأسوأ، المرض يتفشى بشكل مخيف والمملكة مهددة من قبله، ناهيك عن أعدائها الكثير.. داخلها وخارجها..

فتح حقيبته وأخرج منها ثلاث ملاءات وتقدم وفردها على الثلاثة الميتين واضعًا بجانبهم علامة.. هناك حراس سيأتون من خلفه بالتأكيد.. ومهمتهم هي تكريم هؤلاء الموتى بدفنهم..

دعا لهم بالمغفرة.. وتمنى بأن يذهبوا لمكان أفضل بكثير.. وعاد راكبًا خيله ومشى.. وكلما صادف موتى في طريقه كان يقوم بذات الشيء.. من دون تملل أبدًا أو كراهية من فعله..

عند إيلان وألكسندر

إيلان وألكسندر اتحيا بسرعة ناحية ساحة القرية.. تلك السيدة الكبيرة كانت متعاطفة مع آلاس نهاية الأمر وتفهمتهما بشكل كبير لدرجة أنها استنكرا وجود لطيفة مثلها في قرية أهلها

ظالمون!

وصلا ونظرا لآلاس المقيد المحاط بالأخشاب وقد مال بجسده للأمام قليلاً.. اقترب ألكسندر منه بسرعة منادياً:

- آلاس.. يا إلهي.. آلاس!!

وما كاد يرفعه حتى استوعب بأن رءوس تلك الأخشاب قد اخترقت بداية جسده، وتحدث حينها آلاس بصوت ضعيف للغاية:

- ألكسندر.. هذا أنت؟

ورد ألكسندر:

- تماسك أرجوك.

حاول رفعه لتخرج رءوس الأخشاب من جسده.. ولم يستطع آلاس أن يبدي ألمه إلا بأنين ضعيف ودموع صامتة..

سأل إليان:

- كيف بإمكانك إبعاد تلك الأخشاب؟

وما كاد يجتسم سؤاله حتى لاحظ عصا التحكم القائمة المرتبطة ببقية العصيان، والتي كانت مرفوعة لتنصب بقية الأخشاب، وتحدث مصدوماً:

- يا إلهي!! هذا يستعمل في الحروب وحسب..

حاول أن يحركها لينزلها على الأرض لكنها كانت ثقيلة جداً للدرجة إيقانه بأنها هنا منذ زمن وقدره.. ومن قام برفعها بالتأكيد هو قوي بما يكفي.. وحاول مراراً وتكراراً لكنه كان يفشل.. نظر حوله جيداً مفكراً في طريقة سريعة ليستطيع إخفاض تلك العصا مستمعاً لألكسندر الذي طلب:

- إليان أسرع.

وعاد إليان يحاول، وشعر ألكسندر بالآس المتهالك جدًا بين ذراعيه.. حاول رفع جسد آلاس بذراعيه حتى لا يسقط بينما يراقب إليان بعينين قلقيتين، ولم يجد إليان أي حل عدا أنه نظر لألكسندر وطلب:

- ألكسندر ساعدني.

نظر ألكسندر لآلاس الذي حاول التحامل على نفسه من دون أي كلمة، تركه واتجه ناحية العصا حيث طلب منه إليان الإمساك بها ليخفضها سوياً، فوقف ألكسندر عكس اتجاه حركة العصا وإليان مقابله باتجاه الحركة، سحب ألكسندر العصا تجاهه بينما إليان دفعها وقد نجحاً.

وحال شعور إليان بالعصا التي نزلت لنصف المسافة قام بوضع قدمه عليها وداس قاصداً وضع كل وزنه عليها لتتخفض كلياً، مخفضة معها الأخشاب التي أحاطت آلاس، وعاد ألكسندر لآلاس وقام بسحب برفق ليبعده عن تلك الأخشاب بينما يناديه مراراً وتكراراً.. وكان آلاس يجيبه بنبرة هامسة متعبة، ملابسه قد لطخت ببقع دمائه وهذا غير دمائه المناسبة على وجنته من الجرح.

تنهد إليان بإنجاز، وما أن كاد يقترب حتى شعر بالذي يقترب من خلفه.. ولم يكذ يلف حتى شعر بالدفع القوية التي أسقطته على الجانب أرضاً على رأسه ليشعر بالدوار.. نظر لمن فعلها ليستيقن.. هو نفسه ذلك الرجل الذي يقود هذه القرية، ونظر ألكسندر لإليان مصدوماً وعاد ينظر للرجل المقرب منه لينزل آلاس برفق على الأرض منادياً بقلق:

- إليان..

نظر لإليان الذي أغمض عينيه ظاناً بأنه فقد وعيه من اصطدام رأسه بالأرض.. لم يدرك بأن إليان يحاول المراوغة وحسب، واقترب مانيوس أكثر وأكثر حتى بات مقابل ألكسندر بينما تحدث:

- لا تقلق، ستكونان معاً في النهاية.. حين أقتلكما سوياً.

وقف ألكسندر مباشرة وتحدث:

- دعنا نحل الأمر بهدوء.. نحن فقط.. سنأخذ آلاس وسنرحل.

فتح إليان حينها عينيه حالما تحطاه مانيوس ناظراً لظهوره ومن ثم وزع ناظريه في المكان محاولاً البحث عن أي شيء قد يساعدهم على التخلص منه بينما استمع مانيوس الذي تحدث بهدوء:

- لكن آلاس أحد أبناء هذه القرية.. هو لن يتركها بالتأكيد.

وأردف بصوت مرتفع:

- أليس كذلك آلاس؟

فتح آلاس عينيه قليلاً ناظرًا له.. يريد الرد بأي طريقة ليشتمه.. ليهينه كما قام هو بإهانته ولبدمي قلبه كما جعل أهالي القرية يدمون قلبه بحديثهم.. يعايره ويشتم فيه كما هو فعل.. أراد الانتقام وبشدة منه.. لكن جسده متعب للغاية.. واستمع لألكسندر الذي تراجع متحدًا:

- اسمع يا سيد، نحن لا ننوي شرًا لهذه القرية...

ولم يقاطعه عن الحديث إلا ركلة مانيوس غير المتوقعة التي توسطت بطنه ليسقط أرضًا على ركبتيه محاولًا بطنه بذراعيه منخفضًا بجسده، وجلس مانيوس مقابله مخرجًا نفس السكين التي جرح بها آلاس من جانب خنجره ناويًا طعنه في ظهره وما كاد يفعلها حتى باغته إليان من ورائه بذراعه التي لفها حول عنقه جاذبًا إياه للخلف.. نظر له ألكسندر وبسرعة قام بعض كفه التي تمسك السكين ليتركها ويرميها ألكسندر باتجاه آلاس أمرًا:

- فك قيدك بسرعة.

حدد آلاس مكان السكين بناظره واستجمع قواه وانقلب بعدها على جنبه الآخر محاولًا تحمل ألمه وتراجع بظهره ليلتقطها بكفيه ويشرع في قطع ذلك الحبل الذي قيده.

دفع مانيوس ألكسندر بقوة للجانب.. وقام بإمساك إليان من كتفيه جاذبًا ملابسه وسحبه للأمام ليقبله على ظهره بقوة ليصرخ إليان متألمًا رافعًا ظهره عن الأرض بقدميه وكتفيه متمسكًا إياه بكفيه بألم، وقام مانيوس بمحاوطة عنقه بكفيه يخنقه ليصرخ ألكسندر:

- إلهي! لا.. توقف!

نفض واتجه ناحية الرجل راكضًا وارتمى عليه محاولًا شغله منجياً إليان وقد استطاع فعلها، وانقلب إليان على بطنه بسرعة بأنفاس سريعة.. نظر لألكسندر الذي يحاول جاهدًا ضرب الآخر بعدما اعتلاه إلا أن الآخر قد دفعه للجانب واعتلاه هو وقد أشهر بخنجره وهوى به على عنق ألكسندر إلا أن ألكسندر أوقف كفه بكفيه محاولًا دفعها عن عنقه بكل ما أوتي من قوة.. يده

تهتزان بقوة من مقاوماته قوة الآخر التي تفوقه، والخنجر مع الوقت يتجه لعنقه رغم محاولاته لردعه.

حينها.. لم يفكر إليان.. خاف وبشدة فقدان ألكسندر لو لم يتصرف بسرعة..

ركض على آلاس ملتقطاً السكين من بين كفيه، كانت أول ما رآته عيناه.. نهض متجهاً للرجل بسرعة ولم يتردد أبداً، وقام بغرز السكين في ظهره بقوة وأخرجها هاوياً بها مجدداً بمكان مختلف وتركها مبتعداً..

توقف مانيوس عن دفع خنجره لعنق ألكسندر لثوان معدودة، بينما سمع صوت تألمه الخافت ودفعه الهامس لأنفاسه صعبة الالتقاط.. ومن ثم سقط على ألكسندر بعدها ليصر إليان فعلته ويدفعه ألكسندر عن نفسه مستغرباً ويتراجع إليان برعب.

نهض ألكسندر ناظراً للرجل المطعون وللسكين التي اخترقت ظهره ليستوعب في عقله ما حدث.. ومن ثم نظر لإليان وهمس:

- إليان..

نظر لأعين إليان المرتعبة.. لكفيه المهترئين اللتين وضعهما على رأسه وأذنيه، وشفثيه المرتجفتين، واقترب ألكسندر لخطوة بينما تحدث:

- لم تقتله! لربما ما زال حياً!

وفي الحقيقة ألكسندر لم يعلم ما إذا كان قد مات فعلاً أم لا..

ناظر إليان كفيه المفردتين أمام عينيه وهمس:

- قتله.. بيدي.

عاد ألكسندر للرجل متفحصاً أنفه وعنقه.. لم يشعر بأنفاسه ولا بأي نبض ظاهر أبداً ليقرب بموته.. عاود النظر لإليان والذي كان لا يزال على حالته، ونظر لآلاس الذي نادى بضعف:

- ألكسندر..

اقترب منه ألكسندر بسرعة ساندًا إياه كمكلاً فكه للجلب ليستند آلاس على ألكسندر متحدثاً:

- علينا الخروج من هنا بسرعة.. لو جاء الفجر سيأتي الأهالي، أنا متأكد.
نظر ألكسندر لإليان والذي كان يحدق بهانيوس ولا يزال على نفس حالته ليناديه:
- إليان!
لكن إليان لم يجبه.. كما لو كان مغيبًا لا يسمع ولا يرى! وهذا دفع ألكسندر ليتحدث مجددًا:
- إليان.. علينا الرحيل!
وقبله صراخ إليان بالمقابل:
- أنا أصبحت قاتلاً!
وأردف متنفسًا بانفعال بينما شعر بعينييه اللتين امتلأتا بالدموع:
- يا إلهي.. يا إلهي.
وألكسندر بدوره تحدث منفعلًا:
- لم يكن بيدك حيلة! أنت قتلت ظالمًا سعى في الأرض فسادًا!
وأردف أمرًا إليان:
- أكمل ما بدأناه! لننقذ آلاس قبل أن يأتي أي شخص آخر!
لكن إليان أخفض رأسه باكيًا.. غضب ألكسندر منه.. ترك آلاس بينما أنزله برفق على الأرض واقرب من إليان جاذبًا إياه من ملابسه صارخًا:
- هل تظن بأن العالم عادل؟ العالم قام بتدميرك وكاد أن ينهي حياتك من دون أن يعيد إليك حقك المسلوب!
أخذ نفسه وأكمل بنبرة منخفضة:
- لو كنت ستعيش في عالم كهذا.. عليك تناسي كونك إنسانًا..
صمت قليلًا وأكمل:

- كان ظالماً.. كالذين سلبوك والدتك بالضبط.. يستحق الموت..

ونفى إليان برأسه هامساً:

- لا يا ألكسندر! لا أحد يستحق الموت!

ورد ألكسندر بغضب وغيظ:

- لماذا لم يفكروا كذلك حين حرموني وحرموك من حق العيش بين والدين؟ أجبني!

نظر إليان بعيني ألكسندر ليقر ألكسندر بعدم اقتناعه بكلامه مطلقاً، ظل يحدق بعيني إليان وتحدث:

- أنا لن أترك هنا ليعثر عليك الأهالي ويقتلوك.. لكن كن واثقاً.. بأنهم لو قاموا بقتلي أنا وآلاس.. ذنبنا سيكون في رقبتك.. ستصبح ظالماً فعلاً حينها.

ونظرا بعدها لآلاس الذي اقترب بضعف يحاوط جروحه بكفيه متحدثاً:

- صدقتي إليان.. لا يجدر بك الظن كذلك.. اللعين مانيوس هو من قام بتدمير حياة والدتي وبالتالي حياتي.. لم ير نفسه مخطئاً ولو لمرة.

جثى ألكسندر على ركبتيه يساند آلاس.. مرت لحظات ساد فيها الصمت بينما أخفضوا رؤوسهم جميعاً.. حتى مسح إليان وجهه من دموعه ليقف ألكسندر بآلاس بعدها منتظراً ما سيفعله، وكاد يحدثه.. لكنه تراجع حال رؤيته لنظرات إليان والتي استوطنها مانيوس الساقط على الأرض بلا حراك.. كانت نظرات مليئة بالندم، بالخوف والحسرة.

يظن بأنه قد أصبح مجرمًا بقتله من كان سيقتله.. يشعر بأنه قد لطمخ نفسه بدم الجرم والخطيئة، تساءل، أسيكون الأمر بسيطاً وسهلاً في المرة المقبلة كونه بالفعل قد خاض تجربته الأولى وأزهق روحاً؟

ماذا كانت ستكون ردة فعل والدته لو علمت بأن ابنها قتل؟ وهذا كان كل ما يدور في عقل إليان ويشكل أثقله لدرجة لا تطاق، وماذا عن والده؟ ماذا لو كان لا يزال حياً وعلم؟

وعادت دموعه لتنسب مجدداً تشق طريقها في ملامح شاردة يكتسي صغرها بعض الخوف..

هزات رأسه الخفيفة بالنفي ردًا على ما يدور في عقله أجبرت ألكسندر أن يطلب منه قائلاً:

- إليان.. لا تفكر في الأمر.

نظر إليان لألكسندر مستيقظاً من شروده حالماً مسح ألكسندر بطرف كفه وجنته اليمنى قاصداً مسح دموعه.. وابتسم بشكل خفيف.. محاولاً إيصال الدفء لقلب صديقه الثائر رعباً وندماً.

وإليان قد غلف كف ألكسندر بكفه متمسكاً بها جيداً وتحدث بنبرة مترعزة:

- ثقايي.. سنعيش.

لم يثق بجملته بتاتاً.. ليس خوفاً من قتل الأهالي لهم.. كان خوفاً من ضميره أن يسلبه حياته التي يبتغي النجاة ليعيشها.. لكن ألكسندر وآلاس قد طغت ثقتها فيه.. هو الأكبر، هو الأكثر توقّعاً وتمرساً وذكاء.. بدا الآن في نظرهما.. حاميهما.

سند إليان آلاس من الجهة الأخرى وسار بينما لم يفارق مانيوس عينيه حتى ابتعد ثلاثتهم.. وبالتالي خرجوا من تلك القرية ومشوا لمسافة لا بأس بها ليتوقفوا قليلاً على جانب الطريق ليستريحوا.. وأصبحت الشمس على وشك الإشراق وعم ضوءها الخفيف المكان.. الهواء لا يزال بارداً.. وكأنه مرسل لإنعاش أرواح الثلاثة الغارقة في بحيرة الأفعال والأحداث، المقصودة والعكس..

سند إليان ظهر آلاس بذراعه وأخفضه ببطء حتى أجلسه وأخرج ألكسندر الماء من حقيقته مساعداً آلاس على الشرب حاثاً إياه على التماسك.

آلاس كان لا يزال يعاني من جروحه.. كان في حاجة لطبيب ما ليفحصه بسرعة، وألكسندر وإليان لا يمتلكان الأدوات اللازمة ولا حتى الخبرة الكافية لفعلها..

جلس ألكسندر خلف آلاس ساندًا إياه لصدره محاولاً إراحته ليتركه إليان.. وظل إليان قابضاً كفيه على فلاته بعدها، كما لو كان يطلب العفو من والدته على فعلته.. يطلب من الإله مسامحته.. مؤمناً بأنه العادل حيث لا مكان للطغيان ولا للظلم.. الإله قد رأى وسمع كل شيء.. يعلم بأنه كان مضطراً لفعلها وإلا ما كان تجراً وفعلها.

وَأَلَكْسَنْدَرُ كَانَ يَتَنَهَّدُ مِنْ حِينَ لآخر وهو يطمئن على آلاس.. تارة يساعده على شرب الماء محاولاً تعويض سوائل جسده التي فقدوها وتارة يحاول تغطية جروحه مستعيناً بفكرة إيلان حيث قام هو أيضاً بتمزيق طرف قميصه محاولاً كف تلك الجروح عن النزيف.

ونظر أَلَكْسَنْدَرُ وإِلَانَ لبعضهما البعض حال استماعهما لاهتزاز خيل قادم، وبسرعة رفعا آلاس الذي تألم بشدة عن الأرض محاولين الدخول ناحية الأشجار والاختباء.. لكن محاولتهما للاختباء فشلت، لأن الآخر قد رآهم.. كان دقيقاً حاد الملاحظة وهذا ما ساعده على التقاطهم بينما كان خيله يركض.

أوقف خيله على جانب الطريق المقابل ونزل بينما تقدم ببطء محاولاً عدم إخافتهم وتحدث ناظرًا ناحية الشجرة الضخمة التي اختبأوا خلفها:

- لن أؤذي أيًا منكم.. لا تقلقوا.

سمعه.. ضم إيلان آلاس لصدره أكثر بقلق بينما أَلَكْسَنْدَرُ كان فضوليًا حول الآخر.. نظر للملاح آلاس العابسة بشدة ولدموعه المناسبة.. آلاس لن يحتمل أكثر من ذلك وهذا ما دفعه ليتحدث سائلًا بصوت مسموع:

- من أنت؟

ورد الأمير بهدوء:

- أدعى آرسن.

اقترب ناظرًا لهم لتقع عيناه على آلاس، باتت ملامحه جادة وأفصح أمرًا:

- ابقوا مكانكم.

ركض عائدًا لخيله بينما سأل:

- طالكم الوباء؟

ورد أَلَكْسَنْدَرُ بصوت مرتفع لسمعه:

- أبداً..

التقط الأمير آرسن حقيقته الكبيرة وعاد لهم مخرجاً منها ملاءة وفرشها على الأرض بسرعة وطلب:

- أنزلاه ببطء وحذر.

فعلا ما طلب.. وقام بكشف جسد آلاس العلوي ناظرًا لجروحه متفاجئًا منها، وهم بإخراج ما سيحتاجه من حقيقته ليستوعب إليان وألكسندر بأنه طبيب على ما يبدو! وكل ما شد انتباههما هو مهارته المثالية في مجاله.. يستعمل موادًا لم يروها من قبل أبدًا، غير أسلوبه وطريقة حديثه لآلاس.. يخبره بأن يتماسك وبأن يتحمل ألم ما سيضعه على جروحه قليلًا وبالفعل.. آلاس طاوعه واستمع لحديثه وكان هادئًا جدًا حتى انتهاء الأمير بتضميده لجروحه منتهيًا بجرح وجنته وتحديث:

- خيرًا فعلت، أغمض عينيك وارتح قليلًا الآن.

رفع آرسن رأسه للذين كانا يراقبان ما يفعله بفضول، وقف مبتسمًا بإنجاز لتظهر غاياتاه.. وسأله إليان:

- من أنت؟

كان قمحي البشرة مع عينين خضراوين وشعر أسود ذي تمويجة خفيفة مدرج الطول حتى نهاية عنقه، يرتدي قميصًا زيتيًا وبنطالًا كحليًا كالملابس الرائجة لعامة الشعب، ورغم ذلك كان من الواضح للغاية الاختلاف في نوع الأقمشة المستخدمة وحتى دقة الخياطة، وبدا حذاؤه مصنوع من خامة نادرة كما أقمشة ملابسه الغالية، وهذا غير الزخارف المميزة لسيفه الموضوع على خصره وعلى ما يبدو بأنه يرتدي قلادة هو الآخر.. لكنها كانت داخل القميص.. ورغم محاولاته ليبدو كشخص عاد كان وسيماً للغاية وبشكل خاطف.. من رأسه وحتى أخمص قدميه.. كل ذلك.. أشعر إليان بأنه ليس مجرد شخص عاد، لكن آرسن أجاب:

- أدعى آرسن.. طبيب وكيميائي تحت التدريب.

ومد كفه ليتغني مصافحة إليان ليصافحه ويفصح ألكسندر مبتسمًا:

- كنت مذهلاً للغاية.

ناظره آرسن وابتسم رادًا مصافحًا إياه هو الآخر ليسأله إليان:

- من أين أنت؟

نقل آرسن أنظاره له ورد:

- إيرينيا.

خفت حينها ابتسامة ألكسندر وسأل:

- إيرينيا؟ لكني لم أرك قبلاً.

سأله آرسن:

- أنت من إيرينيا؟

ورد ألكسندر:

- مسقط رأسي..

زاد شك إليان أكثر ليتحدث آرسن:

- سافرت للعاصمة لدراسة الطب منذ سنين.

سأل إليان حينها:

- أسمح لعامة الشعب بممارسة الطب؟

ناظره ألكسندر حينها عاقداً حاجبيه باستغراب، والده كان طبيباً، وذلك الطبيب بقرية آلاس.. ورد آرسن:

- بالتأكيد.

وأتبع آرسن حديثه سائلاً:

- أذهبت للعاصمة قبلاً؟

وصمت إليان حينها فلم يعد يمتلك ما يقوله، هو فعلاً لم يذهب للعاصمة من قبل، ولا

يمتلك المعرفة الكافية ليستمر بأسئلته الشاقة، وسأله ألكسندر حينها بتردد:

- أعلمت بها أصاب إيرينيا..؟

وتحدث آرسن بهدوء:

- أجل، ولذلك قدمت.

تحدث ألكسندر: نحن أيضاً كنا بطريقنا هناك.

سأل آرسن:

- بخصوص صديقكما.. ما الذي أصابه؟

نظر ألكسندر حينها لإليان ليرد الأخير بعد برهة:

- كنا بقرية أخرى، يترأسها رجل ظالم.

واكتفى بتلك الإجابة ليعود آرسن بنظراته لآلاس زامًا شفتيه لشوان قبل أن يسألها:

- ألن تكملوا سيركم؟

أوماً ألكسندر ليسألها:

- أيامكاني مرافقتكم؟ ولنضع صديقكما على الخيل.

وكاد ألكسندر وإليان يتجهان لآلاس إلا أن آرسن سأل بابتسامة خفيفة:

- صحيح، ما اسمكما؟

ورد ألكسندر من فوره:

- أنا ألكسندر، وهذا إليان.. وهناك آلاس.

إلا أن نظرات آرسن تغيرت فجأة، واتجهت لخلف ألكسندر.. كاد ألكسندر يتساءل، لكن آرسن وضع سبابته على شفتيه مشيرًا بالصمت ليستطيع سماع ما لفت انتباهه.. وضع كفه على السيف والأخرى على الغمد مستعد لإخراجه وهمس:

- لسنا الوحيدين هنا.

وأمر إليان بحركات يده بالاقتراب من ألكسندر والبقاء عند آلاس ليجتمعوا خوفاً عليهم
من أن يصيبهم أي ضرر..



الفصل الخامس

وَدَاعٌ بَعْدَ وَدَاعٍ.



"استسلامك للقدر بحجة أنه قدر هو نوع آخر من مظاهر الضعف، وإن الخسارة لم تسم خسارة إلا بفقدان الأمل لا بفقدان الأرواح، لا يهم إن مت أو عشت في خضم حرب الحياة، بقدر ما يهم أن يخلد اسمك في التاريخ ويقول الناس: «كان شغوفًا نحو العيش.. هو عاش جيدًا وكفى»..".

..

أنامله مشدودة بحرص على السيف في استعداد تام لاستلأله.. هادئًا لأقصى حد محاولاً اكتشاف مصدر الحركة بدقة بنظره وسمعه، وبخطوات حثيثة واثقة تقدم بهدوء ومشى حتى ابتعد قليلاً عن الثلاثة ووقف متلفتاً حوله، انخفض كتفاه وترك سيفه متنهذاً ناظرًا لألكسندر.. ألكسندر ظن بعدم وجود شيء بسبب نظرة أرسن وأكتافه التي ارتخت، وفي لمح البصر قبض أرسن بكفه على سيفه مستلاً إياه والتف بسرعة لا محاً من ركض وركض خلفه طالباً منه التوقف حتى اختفى الآخر عن أنظاره مجدداً، ليدرك بأنه قد اختبأ خلف إحدى الأشجار كما فعل في المرة السابقة.

صوت ألكسندر القادم من على بعد والذي يدعوهم عدم التقدم والخوض في الغابة أكثر كان مسموعاً.. لكن أرسن عوضاً عن الاستماع تقدم نحو شجرة وبشكل سريع وخطوات سلسلة التف خلفها وقام بتوجيه السيف لمن يقبع خلفها ليرى نظرات الآخر التي هابت سيفه وانتقلت بعدها ناظرة له، وسأله أرسن مستجوباً:

- من أنت؟ لماذا كنت تتجسس علينا؟

بدا الآخر مقارباً في العمر لألكسندر وإليان، وحين تحدث تحدث أمراً:

- أبعد سيفك عن رقبتني.

تحدث أرسن بنبرة حادة:

- أجب وإلا قتلتك!

ورد الآخر:

- وأنا فعلاً لا أهاب هذا السيف حتى تهددني به!
- ظل آرسن ينظر له مدهوشاً من أسلوبه .. أخفض سيفه وسأل:
- لماذا كنت تستمع لنا؟
- جلس الآخر على الأرض نافخاً خديه بضجر ورد بحدة:
- أنا لم أتحسس .. لماذا سأفعل؟! أنا أعيش هنا!
- استغرب آرسن وسأله مستنكراً:
- تعيش أين؟
- فرد الآخر جسده على الأرض بينما سند رأسه بكفه التي قد سندها مسبقاً بمرفقه على الأرض وتحدث ناظراً له:
- هنا.
- سأل آرسن بجدية مدهوشاً:
- منزلك؟ أين هو؟
- وقد اندهش أكثر حين أجاب الآخر:
- لا أمتلك واحداً.
- سأله آرسن:
- ما هو اسمك؟
- ورد الآخر بضجر:
- وهل أنا مجبر على الرد؟
- وساد الصمت بعدها حتى أطلقت معدته أصوات استغاثة جوعها؛ ليشعر هو بالخرج ويشتم هامساً:

- اللعنة..

نادى ألكسندر منبها إيلان حين رؤيته لأرسن الذي عاد:

- أرسن!

لكنه لم يعد وحيداً! نظر ألكسندر للفتى الذي سار خلفه، بدا كما لو أنه قد جاء معه تحت الإكراه ولا يعلم كيف.. وكل ما لفت انتباهه هو الحقيبة التي كان يرتديها والتي جعلته يصرخ فوراً بصدمة:

- حقيتي! إيلان!! إنه النشال الذي سرق طعامنا!!

نظر له المقصود ومن ثم نظر لحقيقته.. وما أن اقترب من ألكسندر حتى قام بخلعها ورمها عليه بعدم مبالاة ليتقدم ألكسندر منه غاضباً ناوياً ضربه صارخاً بانزعاج:

- يا أيها الوقح! لماذا لم يتعسر عليك هضم طعامي ومت؟!؟

أكمل حديثه الغاضب بينما حاول إبعاد ذراعي أرسن اللتين منعتاه من التقدم للآخر، وببساطة أجاب الآخر:

- دعوة الظالم مردودة.

زاد غضب ألكسندر أكثر ليتحدث:

- من الظالم؟! هذا بدل أن تشكرني حتى يا ناكِر الجميل القصير؟!؟

طلب منه أرسن حينها:

- ألكسندر.. يكفي!

نظر ألكسندر لأرسن نظرة خاطفة ونقل عينيه ينظر للفتى لشوانٍ قبل أن يردف:

- لولا أنه أكبر منا عمراً لكنت أكلتك بأسناني!

تنهد أرسن بينما ربت على كتفي ألكسندر وتركه متجهاً لحقيقته مخرجاً حصّة طعامه الكبيرة

التي جهزت له في القصر مسبقاً، وعاد قاصداً تقديمها لذلك القصير الجائع وتحدث بهدوء حاثاً الآخر على أخذ الطعام عبر إيهاءات رأسه وابتسامته الخفيفة:

- كلُّها كلُّها.. لا يوجد مارة هنا لتنتشل طعامهم، ستموت على هذا النحو.

وتحدث الفتى بحدة ليستنكره آرسن، إيلان وألكسندر:

- لا أريد منك شيئاً.. لا أزال أريد العيش أكثر، ولست مستعداً لموت مسموماً أو بوباء لعين!

آرسن سأل:

- سم؟!

وأجاب الآخر:

- لا تعر حديثي اهتماماً.

هدأت نظرات آرسن.. أدرك شيئاً ما من حديث الواقف أمامه.. شيئاً أثار انتباهه.. وقاطع أفكاره إيلان الذي سأل الغريب:

- لماذا أنت وقح؟

وكشر الفتى متزعجاً، وطلب آرسن:

- لا بأس.. رافقنا على الأقل.

نظر له ألكسندر مستغرباً وسأل بحنق ونبرة كارهة:

- لماذا تريد من هذا النشال مرافقتنا؟

نظر له آرسن طالباً منه الهدوء برجاء، فهم إيلان نظرات آرسن ليطلب:

- ألكسندر.. دعنا نحمل آلاس لنضعه على الحصان.

وجذب ألكسندر من ذراعه مجبراً إياه على مساعدته، حيث قاما بإفافة آلاس وإخباره عما ينويان فعله وانتهيا سريعاً بمساعدة آرسن بعدما تأكدوا من أن آلاس مرتاح في جلسته وبدأوا

السير، إلا أن الآخر لا زال واقفاً مكانه، ليتوقف أرسن بالتالي وسأل ناظرًا له:

- أُلن تأتي؟

تمتم ألكسندر بضجر وكره لإليان:

- لماذا يصبر عليه مرافقتنا؟! لقد سرق طعامي إنه مجرد سارق!

وما كان من إليان إلا أن ابتسم ابتسامة خفيفة بقلة حيلة، ودعا أرسن الآخر للمرة الثالثة:

- هيا، لا تكن عنيدًا.

ضاق بألكسندر ذرعًا وتحدث:

- دعنا نكمل سيرنا ولنضعنا منه! إنه سارق وقح!

ونظروا جميعًا للغريب الذي نظر لألكسندر لثانية، وسأل أرسن قاصدًا استفزاز ألكسندر:

- أعيتت هذا المراهق المتذمر حارسًا لكم أم ماذا؟

وساد الصمت، وهمس ألكسندر بعدم تصديق حال تقدمه منه:

- أيها الوغد!

أوقفه إليان ليردف ألكسندر بحقن:

- أنا مراهق متذمر أيها النشال المجنون؟!

وأردف الغريب يناظره باستفزاز:

- ومدلل بشكل مزعج!

أغمض ألكسندر عينيه يحاول السيطرة على نفسه، ونظر لأرسن متحدثًا بنبرة حاول جعلها هادئة:

- أنا لن أطيق انضمامه لنا! فإما أنا وإما هو!

وكان أرسن واقفًا في حيرة مما يحدث، ما يدور بعقله أكبر مما يحدث بهذا الموقف الطفولي،

أقرب القصير مقررًا الانضمام معانداً ألكسندر وحينها تحدث ألكسندر:

- فهمت..

وتركهم وسار بمفرده بخطوات غاضبة للغاية متجاهلاً نداءات إليان القلقة المتكررة.. مشى بين الأشجار وكأنه قد اعتزل عودته لإيرينيا بالفعل، وسار إليان خلفه ينوي اللحاق به ليتحدث آرسن:

- لا تتبعه.

نظر له إليان باستنكار ليردف آرسن:

- صديقك طفولي للغاية وهذا لا ينفع..

سكت لثانية وسأل:

- هل يجزؤ البقاء في الغابة بمفرده؟

وأجاب إليان بخيبة أمل:

- إنه يخاف من المانتيكور..

نظر إليان لآلاس الذي كان ينظر له فقط، غير قادر على الحديث.. لذا هو ابتسم ابتسامة كاذبة محاولاً طمأنته أن كل شيء سيكون بخير، رغم أنه كان قلقاً وبشدة على ألكسندر..

تنهد آرسن وتحدث: سنسير قليلاً.. وحتى هو سيتبعنا وهذا إن لم يخرج الآن.

سأل إليان:

- أليس بوسعنا الانتظار فقط؟

وعاد ينظر ناحية الأشجار وأردف مخبراً:

- لا لا، سأذهب خلفه..

وكاد يتحرك إلا أن آرسن وضع:

- ألكسندر مشى في الاتجاه الجنوبي الغربي.. حتى لو لم يعد لنا.. هو سيعود لإيرينيا.

ظل إليان ينظر له بقلق ليردف آرسن:

- لا تتبعه.. فلو فعلت سيستمر بالغضب حتى من أبسط الأشياء وسيتظر ذهابك خلفه في كل مرة، إليان.. يجدر به أن يكون صلبًا أكثر.

داخل الغابة

كان ألكسندر يسير ويركل كل ما يقابل ساقيه من أوراق شجر وأحجار صغيرة بينما تحدث بضجر كبير:

- ذلك النشال الحقير القصير الوغد! مجرد سارق لماذا لا يزال طليقًا؟ أين العدل يا أيتها الطبيعة؟!

وتوقف فجأة حال مرور نسيم بارد قبل سطوع الشمس بشكل كامل، وتنهد رافعًا رأسه للسماء لثوانٍ قبل أن يخفض رأسه ناظرًا خلفه بهدوء.. بعينين قد انقلب غضبها للحزن فجأة..

استغرب من الوحدة التي شعر بها فجأة عندما لم يلحق به أي شخص.. تلك الوحدة التي أجبرته أن يجلس على أول صخرة كبيرة تقابله منحنيًا ينظر للأرض بفراغ، في اللحظات السابقة قامت الأحداث بإجباره نسيان ما حدث معه والتفكير فيه.. والآن.. الجو هادئ وهو بمفرده.. أمام كم هائل من أفكار وتساؤلات ستبتله.

وضع كفيه على رأسه فاردًا شفثيته، اختفاء الأشخاص من حوله ذكره بمرارة ما عاناه وأنساه إياه الخوف والهرب من الموت الذي خاضه بكل شجاعة نفسه الهشة الضعيفة.. يشعر بالعجز تمامًا حتى عن التفكير ليفهم شعوره هذا، سأل نفسه بضيق:

- إلهي.. ما الذي يحدث يا ألكسندر؟

وابتسم ضاحكًا من سؤاله وأردف رادًا على نفسه بسخرية:

- ماذا يعني أن تفقد عائلتك وموطنك؟ لا تبالغ بتأثرك.. وكأن الأمر سهل.

زم شفثيه بقوة يكبح بكاءه الذي شعر بغصاته العنيفة تهاجمه وتجبره على السماح لدموعه بالخروج وإظهار حقيقة تهوينه المزيف وحدث نفسه:

- صعب عليّ أن أتحمّل.. لا يمكنني..

وضع وجهه على أكمام ملابسه لتشرب دموعه التي بالرغم من برودتها حملت حرارة حزن وحنين واشتياق، واعتدل بجلسته ناظرًا خلفه حين استمع لخطوات قادمة بسرعة، ظن بأنه إليان.. أراد بقاءه بقربه بشدة الآن، لكن لهفته اختفت حال التقاء عينيه بعيني الآخر التي لم تحمل خيرًا أبدًا، وشعر بحد السكين الذي وضع على عنقه بينما أمره بصوت حاد هادئ:

- بلا أي كلمة.

في الطريق المؤدي لإيرينيا

سأل إليان آلاس:

- أنت بخير؟

أوماً آلاس، وظل إليان يتلفت حوله أملًا في أن يظهر ألكسندر في أي لحظة.

وسأل آرسن الفتى الغريب:

- هل عرفت ألكسندر وإليان حين كنت قريبًا منا إذا؟

ورد الغريب بحق وانزعاج:

- لماذا تصر على أنني قد استمعت لكم؟ أنت من جاء بانجاهي راکضًا فجأة وأنا اختبأت خلف الشجرة فقط!

توقف آرسن وإليان ناظرين له، وسأل آرسن منفعلاً:

- ألم ترنا أبدًا حتى اللحظة التي وجدتك أنا فيها؟!

وأوماً الآخر محيياً ليدرك إليان.. هم ليسوا وحيدين في هذه الغابة.. وهذا الفتى لم يكن من

تجسس عليهم؟ نظر آرسن لجهة الغابة التي دخلها ألكسندر ونادى مصدومًا:

- ألكسندر..

وركض إليان داخل الغابة بسرعة صارخًا على اسمه باحثًا عنه ليتبعه آرسن الذي طلب من الاثنين المتبقين البقاء مكانها وعدم الحركة، ونظر الفتى لآلاس الذي أراد النزول، لكنه سرعان ما تألم فتحدث الفتى بهدوء:

- أخبرك بألا تتحرك وفوق هذا أنت مصاب لذا أطلع الأوامر.

نظر له آلاس ليستغرب الآخر عينيه الدامعتين وخوفه الباد في ملامحه على ألكسندر..

في الغابة

"ألم تكن مع الأمير قبل قليل؟ أخبرني عما ينويه".

مجددًا سأل الرجل بحدة ألكسندر الذي لا زال جالسًا بينما هزه بعنف مقربًا السكين لعنقه أكثر يقيده من الخلف، وأجاب ألكسندر بانهايار:

- لا أعلم عن أي أمير تتحدث.. أقسم لك لا أعلم.

وبكى بضعف واضعًا كفه المرتجفة على ذراعه الدامية بشدة، ليقوم الآخر بوضع كفه على فم ألكسندر كاتمًا صوته ماشيًا بسكينه على ذراعه متسببًا في جرح آخر ليصرخ ألكسندر بصوته المكتوم متألمًا باكيًا بشدة، بينما غلف بكفه الجرح الجديد الذي سببه الآخر، وأزال الآخر كفه عن فم ألكسندر ليشهق الأخير بقوة وسأله:

- للمرة الأخيرة أخبرني.. أقسم إن لم تجبني هذه المرة فسأمشي بسكيني على رقبتك وسأقتلك.

شهق ألكسندر مجددًا ضاعطًا على شفثيه بقوة محاولًا الحد من بكائه، لكنه لا يستطيع أبدًا.. رفع رأسه بضعف حال استماعه لنداءات على اسمه محاولًا النظر لمصدر الصوت حتى اتضح له صوت إليان وآرسن! وأمره الرجل بحدة:

- أجب عليهما.

وانتظر لثوان لكن ألكسندر لم يستجب ليأمره مجدداً بعصية بينما قام بضربه على ظهره:

- أجب أيها الساقط!

ورد ألكسندر نائفاً برأسه بخوف:

- لن أفعل!

ليقوم بجرحه مجدداً ليصرخ ألكسندر رغباً عنه بقوة، صرخاً استمع له آرسن وإليان ليتوقفا ناظرين لبعضهما بخوف! وصرخ إليان باسمه مرعوباً عليه مجدداً ومجدداً، ونظر لآرسن وتحدث:

- كل هذا بسببك!

نظر له آرسن بأعينه القلقة، أنفاسه المضطربة هدأت.. هو فعلاً يشعر بالذنب، وأردف إليان:

- ليتني تبتعت.. نحن في مكان لا نعرفه! ليتني لم أستمع لك.. أنا المخطئ..

وتقدم ناحية صوت صراخه الذي استمع له مشعراً آرسن الذي سار خلفه بخطأ قراره فعلاً.. وظل إليان يركض حتى استمع لصوت بكاء ألكسندر ليتوقف ناظرًا لمصدره متجهًا له بخطوات سريعة حتى استطاع رؤية ألكسندر الذي ثبتت حركته بسكين من يقف خلفه.. نظر للملمم الواقف خلفه مصدومًا شاعرًا بآرسن الذي وقف خلفه ناظرًا لألكسندر هو الآخر، وصرخ ألكسندر بتعب:

- اذهبا من هنا!

شعرا بمقدار عجزه وتعبه، وأمر الرجل إليان:

أنت.. تقدم أولاً.

نظر له إليان ولم يستوعب حديثه، كما لو كان استيعابه قد أصبح بطيئاً جداً! كل همه كان متمحوراً حول ألكسندر وحسب، حتى أعاد الرجل أمره بغضب:

- قلت تقدم لهما..

وحينها استفاق إليان وتقدم خوفاً من أن يقوم بإيذاء ألكسندر أكثر بينما نادى آرسن مصدومًا:

- نيكولاس..

وتحدث المدعو نيكولاس:

- مرت مدة أليس كذلك أيها الأمير؟ خلت أنك اشتقت لي فجئت أشبع اشتياقك.

نظر إليان وألكسندر لآرسن.. نظرات ألكسندر مصدومة بينما إليان لاثمة، وعلم إليان بأن شكه كان في محله فلم يبدُ على آرسن أنه عامي مطلقاً! وبات أمام ألكسندر مباشرة، جلس على ركبتيه ناظرًا للملامح ألكسندر المرهقة، ونقل أنظاره لكف ألكسندر التي تغطي عضد ذراعه المجروحة بشكل فظيع هامسًا باسمه بنبرته القلقة تحت نظرات ألكسندر المتعبة المرتعبة.

وصرخ عليه نيكولاس بقوة:

- أمرتك أن تأتي لا أن تعتنني بصديقك!

نظر له إليان ليقف متجهًا له بطواعية كبيرة، ليرك الآخر ألكسندر ويدير إليان مقيدًا إياه كما قيد ألكسندر مسبقًا وتحدث موجهًا حديثه لآرسن:

- سيلقيان حتفهما.. ومن السبب؟ أنت! الشخص الذي فشل في محاولة كونه أميرًا صالحًا!

نظر آرسن لإليان وعاد بعينه لنيكولاس طالبًا بهدوء:

- لا تؤذيهما..

سكت لثانية وأردف:

- لو كنت تود قتلي فلك ذلك.. سأسلمك نفسي لكن..

صمت حال رؤيته للآخر الذي رفع رأس إليان ناويًا قتله فعلاً ليصرخ:

- لا تؤذيهما!! لا تؤذيهما.. أنا هنا.. وها هو ذا سيفي.

عاد ليتحدث آخرًا بهدوء مرتبك بينما خلع سيفه وبالتالي خنجره ورماهما بعيدًا ناظرًا لألكسندر الذي عاد يكيي حالما نظر لإليان، ونظر إليان لآرسن بينما أغمض عينيه وعاد يفتحها فاردًا شفثيه ليدرك آرسن بأنه يفكر في أمر ما ليتقدم هو بهدوء، وتحدث نيكولاس:

- لم أمرك بالتقدم حتى! وأنا لا أسامح المخطئين!

اختتم حديثه وكاد يرفع رأس إيلان ليقطعه إلا أن إيلان سبقه ودفع برأسه للخلف بسرعة يضرب وجهه وأبعد ذراعه ليتحرر منه مبتعدًا مقتربًا من ألكسندر محاولًا مساعدته على النهوض ليقترّب نيكولاس ناويًا غرز سكينه في ظهره لولا أرسن الذي ركض بقوة رافعًا يده التي تحمل السكين لاويًا إياها لتسقط السكين، إلا أن الآخر -وبشكل مفاجئ- سحب كفه ممسكًا بكف أرسن لاويًا إياها بقوة ليلتف أرسن بجسده ويقوم الآخر بركل ساقه من الخلف ليسقطه على الأرض وتحدث:

- هروبك من قدرك المحتوم مثير للاشمئزاز!

حاول أرسن تحرير يده أمرًا إيلان وألكسندر:

- ارحلا من هنا..

دنا نيكولاس منه وتحدث بحنق:

- هل تعلم حتى من أرسلني لقتلك؟ ليرهام بينفيتو.

همس أرسن:

- كاذب!

حاول تحريك جسده لينهض إلا أن الآخر قام بركله مجددًا ليسقط كما كان، وهمس إيلان بقلبي منادياً:

- أيها الأمير..

ونظر تاليًا لنيكولاس بينما ضم ألكسندر الذي أرخى رأسه على صدره أكثر وأمره أرسن:

- لا تقترب.. خذ ألكسندر وارجلا من هنا!

وتحدث نيكولاس:

- لن يجرؤ ويفعل.. لأنه حينها سيكون ميتًا، ألم تسأل نفسك كيف خرجت من السجن؟

ورد آرسن بعصية صارخًا:

- توقف عن نشر الفتنة بيني وبين عائلتي!

وقام نيكولاس بلوي ذراع آرسن أكثر دافعًا إياه تجاه الأرض أكثر وتحدث غاضبًا:

- اللعنة عليك وعلى عائلتك!

همس حينها ألكسندر لإليان بصوت شبه مسموع:

- تراب الأرض..

ونفض بعدها عن إليان محاولاً سند نفسه على الصخرة ليتحرك إليان بسهولة أكثر.. وإليان بالفعل قرفص على الأرض جامعًا بكفه البعيدة عن ناظري الآخر التربة، ونادى ألكسندر بهمس ناظرًا لكف إليان الممتلئة:

- أيها الأمير..

ومن ثم نظر لآرسن الذي نظر له وأكمل:

- انفض!

ونفض إليان بسرعة ورمى التراب على وجه نيكولاس بينما أخفض آرسن رأسه، أغلق نيكولاس عينيه واضعًا كفه عليها، وانتهاز آرسن الفرصة وقام بسحب ذراعه بقوة ناهضًا بخطوات غير متزنة متجهًا للخنجر حيث سحبه من جرابه والتف ناظرًا للذي حمل سكينه من على الأرض راکضًا على إليان ليقتله لا محالة.

آرسن ومن دون تفكير ركض على نيكولاس الذي أمسك بإليان ناويًا طعنه في عنقه ليسبقه آرسن غارزًا خنجره في جانبه بينما حاوط بذراعه جانبه الآخر دافعًا إياه بعكس اتجاه الخنجر ليهدأ نيكولاس متأوهًا تاركًا إليان متمسكًا بذراع آرسن التي حاوطته ناظرًا له.. إليان تراجع للخلف بذعر سيطر على قلبه وجسده بالكامل.. كاد يموت والآن.. تم طعن شخص أمام عينيه مباشرة.. بشكل قريب منه للغاية، وتحدث نيكولاس بصعوبة:

- ليرهام لو طال به الأمر فسيفقتلك بيديه، أنت تعلم ذلك جيدًا.

أخرج آرسن خنجره ودفع نيكولاس ليسقط على الأرض ميتاً ببطء وتحدث بحدة:

- مت.. مت أيها المجرم القذر! ليس لك مكان في هذا العالم!

كل ذلك كان تحت أنظار إليان وألكسندر المصدومة.. اقترب إليان بأرجل مرتجفة من ألكسندر وضمه له بقوة محاولاً مساعدته على النهوض ليرحل به لكن أقدامه لم تحمله، هو أيضاً.. أزهق روحاً، بدافع الدفاع عن النفس.. أليس ذلك كافياً للتبرير؟! ونادى ألكسندر شاعراً بخوف الآخر:

- إليان..

همس إليان بنبرة تكاد تفهم من ارتجافها الشديد:

- هيا ألكسندر.. دعنا نذهب من هنا

بينما ساعده على النهوض لينظر لهما آرسن والذي لا زال عالقاً بما حدث قبل قليل، وسار إليان بألكسندر بدون أي كلمة أخرى، آرسن يدرك جيداً بأن إليان قد خاف مما حدث.. لم يعلم بأن الأمر كان أكبر من مجرد خوف كون في قلب إليان تجاهه.. فوق هذا الخوف هو ارتعب لكونه رأى شخصاً يقتل أمام عينيه بعدما هو أيضاً قتل.. لكونه رأى نفسه بشعاً للغاية في سلبه حق شخص للحياة، كما رأى الآن هذا الذي مات ببطء.. لكون قلبه قد حمل بها لا يطيق وذكر بما يحاول أن ينسى وجرح حيث حاول أن يشفى..

اختفى إليان وألكسندر عن أنظار آرسن بعد لحظات ليست بقصيرة بسبب خطوات ألكسندر الضعيفة التي أجبرت إليان على التباطؤ معه.. ورغم ذلك آرسن لم يتحرك من مكانه، رفع كفيه ناظراً لهما بعدما رمى بخنجره على الأرض وجلس على الصخرة حيث كان ألكسندر جالساً.. وغرق بعيداً في محيط أفكاره العميق.

وإليان سأل ألكسندر الذي شعر بجسده الهامد:

- أنت بخير؟

ورد ألكسندر بهمس وأنفاسٍ عالية:

- قدماي لا تحملا نني إليان.. أجلسني أرجوك.

أجلسه إليان عند أقرب شجرة من فوره وسأله:

- هل أحلك؟

لكن ألكسندر نفى وانتهى الأمر بجلوس إليان مقابله بشكل مباشر.

وغلف ألكسندر ذراعه أكثر متحدثاً:

- ذلك القاتل أرسل فقط ليقتل الأمير.. قام بإيذائي ليصل له.. وهذا في حد ذاته بشع.

صمت لثوان وأردف بأسى:

- من قام بإرساله يحمل اسم العائلة الحاكمة أيضاً.. لا أصدق..

تحدث إليان بحدة بينما عانقت الأرض ناظريه:

- لقد كذب علينا، لا تفكر فيه يا ألكسندر.. وأيضاً.. لقد قتل!

وألكسندر بدوره رد:

- أنت أيضاً قتلت!!

صمت قليلاً حين رؤيته لأعين إليان اللامعة المرتبكة المشتتة التي ناظرته لثوان، وصرفت عنه ليرد من فوره:

- أقصد.. كلاكما امتلكتما ذات الحجة.. لم يكن هناك حل آخر...

همس إليان بنبرة مهتزة قاطعاً حديث ألكسندر:

- أريد أن أموت..

ظل ألكسندر ينظر له مصدوماً مما أفصح وسأل:

- ما الذي تقوله؟ ما الذي تقوله إليان؟

صمت لهنيهة وأردف نافثاً برأسه بعدم تصديق:

- أيها الغبي ..

نظر له إليان ليكمل:

- لا مكان للندم هنا إليان .. عليك المضي والعيش لنفسك!

ورد إليان:

- هذا أشد غباء .. العيش لنفسي؟ كأنك تخبرني بأن أقوم بقتلك لو كان هذا في مصلحتي ،
كأن أقوم بخيانتك وطعن ظهرك بالغدر ألكسندر ! لو كان هذا هو الواقع الذي يتحتم عليّ العيش
فيه فلا أريده ..

صرخ ألكسندر غاضباً:

- أحمق! ستستسلم بهذه السرعة؟ تسلم نفسك للموت بسهولة وأنت تعلم بأن عليك
المقاومة بكل جزء فيك وبأن عليك النجاة!

وسأل إليان:

- لماذا؟! النجاة لأجل ماذا؟!

وظل ألكسندر ينظر له بسكون، بدا أنه لم يمتلك ردًا .. فعلاً لأجل ماذا؟

لكنه رد بهدوء:

- أخبرني بأن عليّ العيش .. ألم تعلم عن سوء هذا العالم؟ أم أن تفكيرك انقلب لكونك
تسببت في شيء من هذا السوء؟! وماذا؟ كان رغماً عنك .. قام بتعذيب آلاس أأست ترى آثار
هذا التعذيب عليه؟ كاد يقتلني من دون أي شعور بالذنب ويتبعك أنت وآلاس من خلفي! وما
زلت تشعر بالذنب؟

همس إليان بينما امتلأت عيناه بالدموع شاعراً بثقل العالم كله في صدره:

- يا ألكسندر، لماذا لا تفهم؟ لست متألماً لأجله .. لكن لأجلي .. لأجل نفسي .. ضع نفسك
مكاني وتخيل أنك قتلت .. ماذا ستفعل؟

سأل ألكسندر:

- وماذا عن ذلك البربري الذي ضربته قبل خروجنا من القرية؟

وقاطع حديثهما أرسن الذي ظهر مقترباً منهما بسرعة منادياً:

- ألكسندر!

ابتعد إلبان بشكل كافٍ ناظرًا للأرض، وجلس أرسن بجانب ألكسندر ورفع ذراعه بلطف تجاهه سائلاً:

- أنت بخير؟

أوماً ألكسندر، وقطع أرسن كم القميص الذي كان ممزقاً بالفعل كاشفاً جروح عضده كلها يفحصها.. وساد الصمت لثوان حتى سأله ألكسندر:

- لم كذبت؟

نظر له أرسن ليرد ألكسندر:

- لم قلت بأنك من إيرينيا؟

ورد أرسن سائلاً:

- إذاً أكان من المفترض أن أطلعك على هويتي الحقيقية وأنا حتى لا أعرف من أنت؟

سأل ألكسندر بضيق:

- إذاً ماذا تريد من قريتي؟ وبعد ماذا؟

تنهد أرسن وأجاب:

- أنا أنفذ مهمة كلفت بها، وقدمت لإيرينيا أتحقق من أمر ما.

عقد ألكسندر حاجبيه وسأله:

- وماذا عما أصاب القرية؟ انتشر الوباء فيها عن عمد. ألم يصلكم نبأها؟!

ظل آرسن ينظر له للحظات قبل أن يتنهد مجدداً عائداً بعينه على جرحه يسأله:

- كيف تشعر؟، أما زالت تؤلمك؟

تحدث ألكسندر بلوعة:

- أجبني!

عاد آرسن ينظر لألكسندر وأجاب:

- لا أملك أي سلطة لأقدم أي شيء، ولا حتى تبرير.. أنا مثلي مثلك، بلا حيلة.. رغم أنني أحاول ولذا وجدتني هنا اليوم بلا حراس رغم أن هذا خطير.

ظل ألكسندر ينظر له مع أعين دامعة ليصرف آرسن عينيه عنه مبلغاً:

- جروحك تحتاج للتطهير والخياطة...

أغمض ألكسندر عينيه يضيع دموعه وسأل:

- خياطة؟

ورد آرسن:

- لا بأس.. أمتلك جرعةً تخديرية قمت بصنعها مؤخراً..

حاول طمأنته ليستغرب ألكسندر ويسأل:

- ما هذا؟

وضح آرسن:

- تقصد التخدير؟ إنها مادة موضعية حال وضعها على المكان المراد ستفقد شعورك به لبعض الوقت.

ورد ألكسندر:

- أول مرة أستمع فيها لشيء كهذا.

وتحدث آرسن بنوع من الفكاهة:

- الطب يتقدم..

التف آرسن موليًا ألكسندر ظهره مقرصًا وتحدث:

- اصعد على ظهري لنعود قبل فقدانك للكثير من الدماء، بالتأكيد أنت تشعر بالدوار والخدر في قدميك.

وبالفعل.. آرسن قام بحمل ألكسندر وسار بعدما تحدث مع إليان إلا أن رفضه لا يزال قائمًا من ناحية إليان.. وانتهى الأمر بعودة ثلاثتهم.. ألكسندر وآرسن وسويًا وإليان خلفهما بمسافة قليلة، واطمأن آلاس حال عودتهم جميعًا إلا أنه قلق حين رأى ألكسندر على ظهر آرسن، وحكى آرسن ما حدث كاشفًا هويته لهم.. أما عن الغريب القصير فقد أظهرت ملامحه مقدار ضيقه لسبب مجهول، آرسن لاحظ ذلك بشكل واضح، لكنه لا يمتلك أدنى فكرة.

وانتهى الأمر بانتظارهم وتأخرهم عن إكمال سيرهم أكثر بسبب جروح ألكسندر التي أخذت وقتًا في المعالجة وجلسوهم بعدها ليرتاحوا من رعب ما خاضوه قبل قليل وبسبب أن جسد ألكسندر كان منهكًا من صراخه وبكائه هو لم يشعر بنفسه ونام بجانب آلاس.

أما عن إليان فكان جالسًا بمسافة بعيدة عنهم موليًا إياهم ظهره ساندًا جانب جسده لجذع إحدى الأشجار ضامًا ساقيه لصدره غارقًا في دوامه أفكاره اللامتناهية.. قام بوضع كفه على جبينه مغلغلًا أصابعه في شعره متنهدًا بأسى لحاله، واستمع لمن ناداه:

- إليان.

ولم يكن عدا آرسن.. نظر له إليان بنظرات مشتتة ضائعة شعر آرسن بها جيدًا فسأله:

- أسمح لي بالجلوس رفقتك قليلًا؟

أومأ إليان بعد لحظات بشكل خفيف ليجلس آرسن بجانبه سائلًا:

- إذًا.. ما المشكلة؟ أولست تحب هذا البلد والوطن؟

أجابه إليان بصوت هادئ:

- بلى .

تحدث آرسن موضوعًا الموقف:

- ذلك الرجل كان خائناً، مراده إسقاط المملكة عبر دس سم كلماته بين الأسرة الحاكمة؛ لينتهي الأمر بقتل بعضنا بعضاً... لو لم أنه أمره - وهذا أساساً هو العدل - لكنت ميتاً الآن وأنتما بجواري.

أغمض إيلان عينيه وعقد حاجبيه ليسأل آرسن:

- ما بالك؟ لماذا تصنع تعبيراً كذلك؟! اسمعني.. أدرك بأنك مرتعب لما حدث.. لكن كوني شخصاً مهماً في المملكة يجعلني مستهدفاً طوال الوقت، لذا عليّ أن أكون مستعداً دوماً، لقد كان أول شخص أقتله.

نظر له إيلان بتشتت.. أدرك فرق القوة بينهما.

آرسن لملم شتات نفسه.. بينما هو ظل يلوم نفسه لدرجة مزعجة.

آرسن وجه نفسه بحكمته بشكل صحيح، وهو اكتفى برؤية نفسه مجرمًا بشعاً طوال الوقت.

آرسن فعلها دفاعاً.. وهو كذلك فعلها دفاعاً.. فلماذا هذا الضمير يخبره بأن عليه الموت لشناعة فعلته؟!

لماذا يشعر بأن موته واجب.. قانون يجب أن يطبق؟!

"لماذا فقط؟! "

"إيلان أسمعني؟ "

تحدث آرسن مقترباً من إيلان الشارد بعمق ليحفّل إيلان ناظرًا له بضياح ليتنهد آرسن مرثياً على كتفه مردفاً:

- أنت قوي.. لا تضعف، تذكر بأن علينا مواصلة السير حسناً؟

وقف آرسن بعدها متجهًا لألكسندر وآلاس يوقظهما متجاهلاً نظرات الغريب القصير

المتواجد معهم، والتي تكاد تحرقه حتى أن إليان قد لاحظ ذلك حين التفاته ناظرًا لآرسن الذي ابتعد، نظراته كانت غريبة كليًا وبشكل واضح.. انخفض إليان بناظره لكفيه ليراه يقبضها بقوة كبيرة ليرخيها متنهّدًا.

وانتهى الأمر بجلوس ألكسندر خلف آلاس على الخيل حتى لا ينهك من جروحه، بينما تبادلوا الأحاديث الخفيفة من جوانبها كاطمئنانها على بعضها وما إلى ذلك، وساروا مطولًا، حتى لاح لأعينهم السور المهذوم والجدران غير المكتملة.. نظر لها ألكسندر بحنين ونظر لإليان بعدها وسأله بصوت منخفض:

- أتذكر ما حدث وقتها؟

وأجاب إليان بإيماءة زامًا شفتيه متنهّدًا، وتحدث آرسن بينما توقف ممسكًا حقيبتة الكبيرة:

- هناك جثث.

أجابه ألكسندر:

- هؤلاء البربريون.

أوماً آرسن برأسه متفهمًا مخرجًا أقمشة بيضاء صغيرة من القطن معطيًا لكل واحد منهم واحدًا ونبس:

- قوموا بربطها على أفواهكم وأنوفكم لأجل الروائح والعدوى إن وجدت.

نزل ألكسندر عن الخيل متقدمًا بقدر من الحنين يتساقط من قلبه بغزارة لكثرت، كما لو كان قلبه الوعاء والحنين هو ما يملأه من سائل! خطأ من البوابة المدمرة والتف ناظرًا لآرسن الذي ساعد آلاس على النزول لكون أنقاض البوابة الكثيرة تمنعهم من السير بالخيل بأريحية، وقام آرسن بربط الخيل بإحدى الأشجار، وعاد إليهم حاملًا حقيبتة الكبيرة ليدخلوا جميعًا.

شعر ألكسندر بتناقض الأوقات داخل عقله، شعر.. كما لو أن الوقت كان متوقفًا.. كما لو أنه قد انتقل من وعي لاخر ليصير بها حدث.. كل ذلك كان يصيبه بالدوار لعدم تدارك عقله كل هذا التغير.. نظر حولّه للأراضي الزراعية التي لا تزال كما هي باستثناء ما أحرقت منها، وقد استغرب إلا أن إليان قد أخبره عن المطر الذي تساقط ليستوعب هو ما حدث وقتها.

تقدم أكثر وأكثر شاعرًا بالأسى لما أصاب قريته.. بات قريبًا جدًا من مزعة والده، لاحظ غرفة المزرعة لا تزال كما هي عدا من بعض آثار الحريق، وأبصر بالرجل الذي قطعت رأسه لا يزال ميتًا في نفس البقعة ليزم هو شفثيه شاعرًا بألم يصاحب كل نبضة من قلبه..

تقدم آرسن من جثته لافتًا انتباه ألكسندر، وقام بتغطيته بملاءة بيضاء حتى يواريه عن الأنظار، ودخل ألكسندر ناحية المنازل يقلب ناظره هنا وهناك عله يلمح شخصًا حيًا على الأقل..

وسأل آلاس حال ابتعاد إليان عنهم:

- إليان.. إلى أين؟

التف إليان ناظرًا له بعينين تحمل مشاعر عدة.. وأجاب بنبرة مهتزة:

- منزلي..

هدأ آلاس ناظرًا لظهره بحزن حال التفاته ومغادرته حتى اختفى عن أنظاره ليسأل آرسن بصوت مرتفع:

- آتي معك؟

سمع صوت إليان المرتفع حين أفصح من بعيد بذات النبوة:

- لا أريد أحدًا معي.

زم آرسن شفثيه، نظر لآلاس الذي تحدث:

- إليان لا يبدو بخير بتاتا.. أنا قلق.

وبالتالي هو همهم فقط، ليس بيده أي حيلة.

مشى إليان محدقًا في العلامات المرسومة على أغلب المنازل حتى وصل لمنزله.. لم يحتو على تلك العلامة ورغم ذلك والده أجبره الرحيل.. يظل يتساءل مرارًا وتكرارًا.. لماذا؟!

فتح الباب ودخل.. نظر حوله لكل الأثاث البسيط المغطى بالتراب كليًا.. كان خائفًا من

رؤيته لوالده ميتاً في أي لحظة.. تنفس بعمق محاولاً تهدئة نفسه المضطربة، وفتح الغرف كلها ولم يجده، ولم تبقى إلا غرفة واحدة.. زم شفتيه بحزم، ويعينين تلمعان لتأكده بوجوده في تلك الغرفة.. غرفته.. وفتح الباب بعدما قرر وأخيراً لتهدأ نظرات عينيه.. رافعاً حاجبيه قليلاً.. وتنفس بعمق مدهوشاً..

بينما ألكسندر هو الآخر كان واقفاً أمام باب منزله متردداً في الدخول خائفاً.. شد القماش على أنفه وفمه وفتح الباب داخلاً ناظراً للأرض وهمس:

- لقد عدت..

يتذكر آخر مرة عاد فيها لمنزله وقال نفس الجملة، وكيف كان دافئاً ممتلئاً برائحة طعام والدته، ورفع رأسه رويداً رويداً بينما زم شفتيه حتى لا يبكي.. وأبصر المنزل الذي بات مغطى بالتراب مظلم إلا من ضوء الشمس، ونظر لطاولة الطعام الفارغة حيث رأى والده لآخر مرة ليجد ورقة مطوية عليها قلادة ما.

تجاهلها ودخل لمنزله يبحث عنها ومن ثم سيرها، لعلها رسالة تركها والده قبل أن يغادر المنزل سالماً آملاً في أن يعود ألكسندر يوماً! قلبه أوقد بالأمل، وأخذ يتنفس بسرعة مبتسماً بهذا الأمل، حتى نظر عبر باب غرفة والديه، وشعر بذلك الأمل وهو ينتزع بقسوة من قلبه وكأن قلبه هو الذي ينتزع.

ورأى والدته الممدة على طرف الفراش وبجانبها والده ساقطاً على الأرض، جثتين هامدتين أكلهما التحلل، ورأى بوضوح كف والده الممدودة التي كانت تمسك بكف والدته وكلتاها تحللتا.

بدا أن والده كان يمرض والدته لعلها تعيش، وفشل.. وماتا بالنهاية بجانب بعضهما.

دموعه انهمرت بغزارة، اقترب ألكسندر بينما علت شهقاته المفزوعة لموتها وعلا صوت تكذيبه وبكائه الذي حاول حده ليقلق عليه من في الخارج.

بحلق بهما بينما كان متأكداً بأن هذا المنظر المؤلم الذي يراه أمام عينيه لن يفارقه أبداً.. كان منظرًا بشعاً ومخيفاً.. لكن ألكسندر لم يخف أبداً وبدل هذا الخوف شعر بقلبه الذي يكاد يتمزق ألماً داخله.. ها هو الضياع يتخبطه مجدداً مستهويه.. ألم فقدان ينهشه ببطء شديد يشعر به ألكسندر

بمرور الثواني بينما ناظره معلقين على جثتي والديه.

وأغمض عينيه وتراجع ينفي برأسه يكذب ما يرى.. واصطدم بطاولة الطعام ليستند عليها بكفيه وسقطت أنظاره على تلك الورقة المطوية والقلادة، نظر لها والتقطها بكفيه المرتجفة يقلب ناظره بين والديه وبينهما.

كانت القلادة مصنوعة من الذهب الخالص، ذات دائرة مفرغة وعلى يمينها ويسارها ثُبت جناحان قويان.. ووضع ألكسندر القلادة في باطن كفه وفتح الرسالة ليقرأها.
"إلى ابنا العزيز: ألكسندر.

هذان والدك ووالدتك.. نرسل لك من السماء محبتنا الكبرى وكلنا اشتياق لرؤية ملاحك العزيزة علينا، أنت بالتأكيد تقرأ هذه الرسالة بعد موتنا لذا دعنا نخبرك شيئاً.. موتنا يا صغيري لا يعني انتهاء قصتك.. لقد كنّا الجزء الأول منها فقط كما شاء القدر.. ما نريد إخبارك به هو أن هناك الكثير من الأشياء التي خُلفت لتعرفها.. لست شخصاً عادياً ألكسندر.. لست مجرد إنسان خلق وسمّي مزارعاً أو قروياً.. لو قلنا الوداع الآن فهذا لن يكون وداعاً أخيراً.. ناضل في حياتك.. كن قوياً وشجاعاً كما عهدناك ولا تستسلم أبداً مهما حدث.. عِش جيداً حتى وداعنا الأخير.. وداعنا بعد وداعك الآن.. ثق بك، ونثق بأن ثقتنا لن تضيع، لأننا نعلم جيداً مكنونك ومن أنت.. ألكسندر لوريس بينفيتو، من خُلق ليغير كل شيء للأفضل، لتبقى حذراً دوماً؛ لأن الخطر يترصد بك من كل جانب.. نحبك جداً يا عزيز على قلوبنا.. نحن هنا دوماً.. في أيسرك نستكمل حياتنا وحولك لنحميك".

انتهى ألكسندر من قراءة الرسالة ليرفع عينيه المتألمتين مجدداً لوالديه، وبكى بصوت مرتفع أكثر منهارةً على الأرض ضاماً الرسالة إلى صدره بشدة ليدخل أرسن وآلاس يترأى لها حاله لينظرا لجثتي والديه بعده، ويشهق آلاس بفزع، واقترب أرسن من ألكسندر سريعاً يرفعه عن الأرض متحدثاً:

- اهدأ ألكسندر! عليك الخروج من هنا سريعاً!

لكن ألكسندر لم يكن مستجيباً.. كما لو كان مغيباً في بكائه وذكره المؤلمة، ولم يكن هناك حل سوى جذبه ليخرج.. الرائحة لا تحتمل فعلاً وكلاهما لا يدريان كيف استطاع ألكسندر تحملها؟!.

وأجلساه في الخارج على جذع شجرة ساقط ليجلس آلاس بجانبه ضامًا إياه يحدثه بما يمكنه من السيطرة على بكائه، اقترب الفتى الغريب جالسًا هو الآخر بجانبه من الجهة الأخرى مرتبًا على كتفه بلطف زامًا شفتيه.. بدا متأثرًا بما حدث لألكسندر بشدة.

أما عن الأمير آرسن فقد دخل مغطيًا جثث والديه بملاءة واحدة.. شك في شيء ما أرهبه نظرًا للأدوات الطبية المتواجدة بجانب والده.. لكنه لا يستطيع الحكم بسرعة..

خرج ناظرًا لألكسندر الذي قام بتغليف وجهه بكفيه بأسى.. فقدان الوالدين دفعة واحدة هو أمر صعب للغاية في نهاية الأمر.. نظر للورقة على حجره ولسير القلادة الساقط من يده ليستغرب.. وما جعله يشعر بالتفاجؤ أكثر هو شكل القلادة حين قام ألكسندر بارتدائها.. لكنه لم يلبث حتى أدخلها في ثيابه ليقترّب منه آرسن سائلًا:

- هذه الورقة؟

نظر له ألكسندر بعينه الحمراء ليراجع آرسن عن سؤاله، إلا أن ألكسندر أجابه باختصار:

- رسالة وداع..

سأل آلاس متفاجئًا:

- أتستطيع القراءة؟

أجاب ألكسندر محاولًا كيح بكائه:

- كان والدي طبيبًا كبيرًا ومكشّفًا.. علمني القراءة والكتابة.

هدأت أنفاس آرسن بينما توسعت عيناه لما سمعه.. همس بعدها سائلًا:

- ما هو اسم والدك ألكسندر؟

إلا أن آلاس قاطعها حين نادى بقلق حال رؤيته لإليان قادم ناحيتهم:

- إليان؟؟

τον αγαπημένο μας γιο: Αλέξανδρος

Αυτοί είναι ο πατέρας και η μητέρα σου. Σου στέλνουμε τη μεγαλύτερη αγάπη μας από τον παράδεισο, και όλοι λαχταρούμε να δούμε τα αγαπημένα μας χαρακτηριστικά. Σίγουρα διαβάζεις αυτό το μήνυμα μετά το θάνατό μας, οπότε ας σου πούμε κάτι Ο θάνατος, παιδί μου, δεν σημαίνει το τέλος της ιστορίας σου.. Ήμασταν μόνο το πρώτο μέρος της, όπως ήθελε η μοίρα Αυτό που θέλουμε να σου πούμε είναι ότι υπάρχουν πολλά πράγματα που δημιουργήθηκαν για να ξέρεις.. Είσαι όχι συνηθισμένος άνθρωπος Αλέξανδρε.. Δεν είσαι απλά ένας άνθρωπος που δημιουργήθηκε και τον έλεγαν αγρότη ή χωριανό.. Αν τα πούμε τώρα, δεν θα είναι το τελευταίο ντίο.. Αγώνας στη ζωή σου..

Να είστε δυνατοί και γενναίοι όπως σας υποσχεθήκαμε και να μην τα παρατάτε ποτέ, ό,τι κι αν συμβεί. Σας εμπιστευόμαστε και πιστεύουμε ότι η εμπιστοσύνη μας δεν θα χαθεί γιατί γνωρίζουμε πολύ καλά πού βρίσκεστε και ποιοι είστε.. Alexandre Loris Benevento, που δημιουργήθηκε για να αλλάξει τα πάντα προς το καλύτερο, γι' αυτό πρέπει να είστε πάντα προσεκτικοί. Ιατί ο κίνδυνος σε ελλοχεύει από κάθε πλευρά.

Σε αγαπάμε πολύ, αγαπητέ στην καρδιά μας.. Είμαστε πάντα εδώ.. Στο αριστερό σου χέρι συνεχίζουμε τη ζωή ας και γύρω σου για να σε προστατεύουμε."

رسالة والديّ ألكسندر



الفصل السادس

وَعَدُّ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ | إيفان لوريوس



"روحي دوما ما أرادت التحليق وكان جسدي الأشبه بالسجن هو العائق الوحيد"

..

بخطواته الضعيفة وغير المتدركة كان يسير حتى اقترب من أربعتهم، لم يلاحظه أحد عدا آلاس الذي كان جالساً مواجهاً له والذي سرعان ما نادى بقلق باسمه:

- إيلان؟؟

نظر له إيلان ليهتدي لهم بخطواته ناظرًا لألكسندر بهدوء، وسأل آرسن بقلق:

- أنت بخير؟

ليومئذ إيلان عدة مرات متتالية بعدما نقل أنظاره له ومن ثم لألكسندر مجدداً بأعينه الذابلة وباشراً سائلاً بصوت منخفض:

- هل أنت نادم؟

كان يقصد بحديثه قرار عودتهما لإيرينيا.. نظر له ألكسندر الذي استوعب مبتغى سؤاله محبباً بضعف:

- كل الندم..

وإيلان تحدث بجديّة:

- لماذا تندم؟ لقد جئت لتواجه الحقيقة بدل الهرب!

صمت قليلاً مردفاً بعدها بضياح:

- لم أجد أثراً لوالدي..

نظروا له جميعاً بذهول ليكمل إيلان:

- أخشى أنه قد توفي في مكان لا أعلمه.. لكنني أتمنى لو أنه لا زال على قيد الحياة أكثر..

أفصح ألكسندر بنبرته الضعيفة:

- والدادي ماتا إليان.

نظر له إليان بحزن.. اقترب مقر فصاً أمامه محتضناً كفيه بكفيه وتحدث محدقاً بكفيهما:

- ما دمت تتذكرهما يا ألكسندر فهذا يعني بأنهما لم يموتا بعد.

تنفس بعمق وأردف:

- لا يموت الإنسان حقاً إلا عندما ينساه الأحياء.

تفاجأ بالدموع التي سقطت تبلل كفيه ليرفع ناظره لألكسندر الذي كان مكشراً مغمض العينين منحنيًا قليلاً بجسده زاماً شفثيه ليتمسك إليان بكفيه بقوة أكبر وتحدث:

- آمن بذاتك ألكسندر، آمن بأن كل شيء سيكون بخير.

قاطعه ألكسندر الذي تحدث بثناقل جراء عبرة دموعه التي تكاد تنحرقه:

- أنا فقط.. أشعر بالضيق.. وألمي ليس بإمكانه وصفه.

وما كان من إليان إلا أن أخفض رأسه بحزن.. هم يقومون بمواساة بعضهم البعض بكامل قواهم الخائرة.. بقطع قلوبهم التي توشك الانكسار وبأجزاء أرواحهم التي تكاد تندثر..

الاس همس:

- نشعر بك يا ألكسندر.. أنا وإليان فقدنا أحد والدينا إن لم يكونا الاثنين..

وأمنى حديته ضاماً ألكسندر إلى صدره مجدداً ليرفع إليان أحد كفيه مكفكفاً بها دموع ألكسندر ماسحاً إياها.

"ألا تشعرين بالجوع؟"

قاطعهم الغريب الجالس بجوارهم حالما شعر بنفسه خارج إطار الصورة بشكل واضح جداً ناظرًا لآرسن الذي بدا شاعرًا بنفس مشاعره.

كان آرسن جالسًا يحاول إشعال النار قبل غروب الشمس.. في نهاية الأمر هم عادوا حيث حصان آرسن وجلسوا هناك سويًا منتظرين مضي الوقت من دون أي خطط أو أفكار، باستثناء الغريب الذي بقي بعيدًا عنهم قليلًا.. لا يبعد عينيه عن آرسن أبدًا، كما لو كان يراقب كل تصرفاته.

ألكسندر نام طوال الوقت قاصدًا فقدان إحساسه ليخمد ألم قلبه.. نظر إليان حوله ومن ثم لآلاس الذي كان جالسًا فارداً رجله حيث تقبع رأس ألكسندر على إحداها بينما يطمئن على جروح جسده، وتهد إليان متحدثًا جاذبًا انتباه آرسن:

- مكاننا ليس آمنًا البتة.

آرسن أفصح بهدوء رادًا:

- بإمكانكم النوم.. سأبقى متيقظًا.

تنهد إليان.. هذا ليس حلًا صائبًا.. يفكر في اقتراح الذهاب لمزرعة ألكسندر.. لكنه أبدًا لا يمتلك الحق ليقترح.. وفوق ذلك هو لا يريد زيادة ألم ألكسندر ببقائه في مكان يحوي الكثير من ذكرياته.. ونظروا جميعًا ناحية ألكسندر الذي بكى بخفوت.. بكى أثناء نومه فعلاً.. ودموعه المندفعة دفعته للاستيقاظ ليفتح عينيه قليلًا ليجدهم ينظرون له بمن فيهم آلاس الذي كان قلقًا وسأل:

- ألكسندر.. ما الذي راودك؟

وألكسندر عوضًا عن الإجابة قبض كفيه هامسًا بصوت منخفض بحسرة:

- والداي ماتا..

تتالت تنهداتهم المتفاوتة الحزينة لحزنه.. همس آلاس زامًا شفثيه بأسى واضعًا كفه على عضد ألكسندر محاولاً مواساته:

- ماذا يجدر بنا أن نفعل يا رفاق؟

أجابه آرسن متحدثًا بجدية وحزن:

- إني لا أعلم.. لا أمتلك علاجًا للألم.

تلك الإجابة كانت السبب في صنع ابتسامتي آلاس وإليان الخفيفتين اللتين استنكرهما هو.. ونهض ألكسندر ماسحًا دموعه ناظرًا حوله ومن ثم نظر للسواء والتزم الصمت بعدما قام بضم ساقيه لصدرة.

مر الوقت واختفت الشمس نهائيًا وأصبح المكان مظلمًا بشكل موحش ولا زال الجميع مستيقظًا.. لم يتبادلوا الأحاديث مكتفين بأفكارهم المرهقة وحسب، حتى تحدث ألكسندر فجأة ناهضًا:

- المكان ليس آمنًا البتة.. لا يخلو من الحيوانات الضالة الناقلة للمرض، لنذهب لمزرعة عائلتني.

سأل إليان بقلق:

- هل ستكون بخير ألكسندر؟

ونظر له ألكسندر زامًا شفثيه وأومأ بخفة.

قام الجميع بتبديل ملابسهم بملابس لألكسندر باستثناء أرسن الذي كانت ملابسه معدة له مسبقًا من القصر.. بعد إلحاح طويل من طرفه ومن طرف ألكسندر انتهى به الأمر نائمًا على السرير بمفرده بينما تأكد ألكسندر من راحة البقية على الأرضية واستلقى هو بجانبهم محاولاً النوم إلا أنه لم يستطع.. تبادلوا الأحاديث القصيرة قليلًا حتى هدأ الجميع وناموا من تعبهم باستثناءه.. بعدها بمدة شعر بحركة أحدهم ليفتح عينيه جزئيًا ناظرًا للغريب الذي نهض.

كاد يحدثه إلا أنه صمت مدهوشًا حينما رآه متجهًا ناحية حاجيات أرسن منحنيًا لها.. التفت ناظرًا لهم ليغمض ألكسندر عينيه.. وقام بفتح عينيه مجددًا حال استماعه لصوت خروج الخنجر ببطء من غلافه ليرتعب قلبه مما هو قادم.. واتجه ذلك الغريب بقرهم لتسارع دقات قلب ألكسندر أكثر.. تخطى ثلاثتهم.. ووقف عند أرسن الذي بدا نائمًا فعلاً.. تنفس بعمق مقرراً ليلتف ألكسندر بجسده بخفة ناظرًا له بعينين واسعتين.. استجمع الهواء في رثثيه وكاد يصرخ

عليه إلا أنه تراجع حين تحدث الغريب لأرسن بنبرة منخفضة جامدة:

- افتح عينيك، أعلم بأنك مستيقظ.

وقد أصاب.. تحدث أرسن بهدوء فاتحاً عينيه:

- هل بالمصادفة أنت تكن عداوة تجاه أفراد الأسرة؟

كان محقاً، هو يفعل.. ونظراته تجاهه فيها سبق كانت بسبب كرهه له.. وحتى حين عاد
بألكسندر المصاب سالماً وعلم بأنه أحد الأمراء.. غضب وتمنى لو عوضاً عن ألكسندر كان هو
من أصيب ومات حتى لا يضطر لقتله بيديه.. لا يمتلك أي كراهية تجاه البقية.. لكنه يكره أرسن
أشد الكره.. يكره كل ما يتعلق بتلك الأسرة.. يكره كل شيء بخصوصها!

زم شفتيه مثبتاً حديثه ليردف أرسن ناظراً للخنجر:

- فكر مجدداً، قبل أن تسقط نفسك بمأزق كبير.

تحدث الآخر باندفاع:

- فكرت طويلاً.. وكل النتائج كانت توجب موتكم واحداً تلو الآخر بأبشع الطرق..

اختتم حديثه رافعاً الخنجر هاوياً به لعنق أرسن إلا أن أرسن أوقف كفيه متمسكاً بهما بكفيه
يدفعهما ليردف الآخر:

- أتدري لماذا سأقتلك أيها الأمير؟

ظل أرسن ينظر له بهدوء يطلب إجابته بصمت محاولاً تدارك دفعات الآخر المتتالية للخنجر
ليردف الأخير:

- لأنكم مجرد ظلمة.

همس أرسن ناعياً:

- لسنا كذلك أبداً..

شعر بمدى كراهية الآخر التي جعلته تائها.. لم يتوقع أن يكن له شخص ما هذا الكره كله،

وتحدث الآخر بعصبية وصوت مكسور منخفض واضعاً وزنه على الخنجر لينخفض أكثر مقترّباً من عنق آرسن:

- لماذا إذاً قمتم بالسباح للأوغاد عديمي الرحمة بقتل كل من اشتبه بالمرض - رغم أنه لم يمرض - حرقاً.. حرقاً يا أيها الأمير الطاهر؟! لماذا لم تتحركوا لتدافعوا عنا حال هجوم الأعداء علينا؟! أم أن أرواحنا كبشر لا تم؟! لماذا تركتمونا نهوي لقاع المرض ونموت بعد معاناة مع ألمه من دون أي محاولة للمساعدة؟

وآرسن فقط ظل ينظر له من دون أي ردة فعل.. هو فعلاً غيب بكلماته.. شعر بالأسى وفهم الكثير مما أخفي عنه طوال بقائه في القصر ومما يحدث في المملكة.. فهم بأن هناك أشياء تحدث من دون علم الملك باسمه.. وتحدث الآخر بنبرة مهتزة:

- إني آخذ بثأر عائلتي التي رأيتهاموت أمامي ببطء ولم أستطع إنقاذهم لضعفي.. لكن انظر أين أنا الآن؟!

لمح آرسن لمعة عينيه اللتين بدأت تبتل بدموعه قبل أن يتسلل المهتر صوت له لمسامعه والذي أمره:

- فقط.. مت..

أتبع حديثه مقررًا محددًا بعيني آرسن ليخفف آرسن من دفعه للخنجر حتى أن حده قد بات على رقبته بالضبط.. وها هو ذا.. يشعر بحد السكين الذي اخترق جلده.. كاد يسلم نفسه.. لكن ماذا عن كل ما أراد معرفته؟

همس فجأة:

- أنا مجرد فرد من العائلة لا أملك أي سلطة.. كنت الحفيد الثاني قبل وفاة جدي ومجيء الملك الحالي.. لم أكن أدري عن أي شيء وكنت مغيباً.. هناك الكثير مما أنوي معرفته، ولهذا أنا هنا.. تلك الألاعيب القذرة ليس لأسرتي أي ذنب فيها.

وعاد يدفع خنجر الآخر الذي غضب من حديثه، شعر بقطرة الدماء المنزقة لجانب عنقه لينظر في عيني الآخر متحدثاً:

- لا أبرر موقفني.. لكنني لن آخذ جزاء ليس جزائي.. لا أنا ولا عائلتي.
اختتم حديثه ليرد الآخر بنبرة متزعزعة حادة بينما امتلأت عيناه دموعاً:
سأقتلكم.. أقسم.

حينها تحدث آرسن قاصداً تشتيت انتباهه:

- حتى لو قمت بقتلي الآن.. ستبقى ضعيفاً.. لم تحاول حتى فهم أي شيء وبقيت تركض بعقل مغيب على حق عائلتك، وأصبحت مستعداً لقتل أي شخص يهأ لك أنه السبب لتطفئ نار قلبك حتى لو كان بريئاً!

تلاقت عينا ذلك الغريب مع آرسن حالما توقفت أفكاره لوهلة وتساقطت دموعه ببؤس ليدفع آرسن كفيه ناهضاً قابضاً بكفيه كفي الآخر بكل قوته ليتألم الأخير شاعراً بكفيه اللتين تكادان تقتلعان ليسقط الخنجر على السرير، ورغم ذلك آرسن لم يخفف من ضغطه على كفيه وقام بجذبه بعنف للخارج.

لم ينتهها لألكسندر الذي بكى بصمت فور خروجهما.. لماذا حديث ذلك الغريب لمس أعماق نقطة في قلبه؟ كان محقاً.. محقاً لأبعد حد.. حين هجم أولئك البربريون عليهم.. لم يرسل الملك بعضاً من جيش المملكة لحمايتهم ولم يظهر أنه سيرسل.. وآرسن؟ جاء لمعرفة سر ما.. لا لأجل الأهالي كما قال مسبقاً! هو أدرك وفهم.. كم هو مؤلم لحد مميت أن ترى عائلتك العزيزة تموت أمامك ولا تملك لهم مثقال ذرة من مقدرة لتنقذهم.. تعلم من قام بفعلها ورغم ذلك لا تزال مقيداً بالقانون الذي لم يوجد فيه استرجاع لحقك.. مقيداً بالضعف الجسدي لا تستطيع الانتقام.. ألكسندر شعر بمشاعره التي كبتت لسنين.

لم يولد نشالاً ولا شخصاً سيئاً.. كارثية أحداث حياته هي من كان لها سبب نشأته..

واستمع للغريب الذي تحدث بصوت مسموع متألم حال خروجهما من الغرفة:

- دعني..

أجابه آرسن متحدثاً بعصية وحدة:

- أتعلم ما أنت برغبتك الجريئة هذه؟

أجابه صارخاً بغضب:

- لا أهتم.. لا أهتم ما أكون أنا بنظرك أنت وعائلتك اللعينة!

وكم بحديثه أثار غضب أرسن ليقوم بدفعه بقوة مسقطاً إياه على الأرض ليتألم بسبب التربة القاسية المتكتلة، ونهض ألكسندر بسرعة ماسحاً دموعه حال ساعه لصوت سقوطه العالي، ليتجه للباب ناظراً لأرسن الذي رفعه من ملابسه ناوياً ضربه ليركض جاذباً أرسن من ذراعه محاولاً إبعاده عن الآخر بقوة متحدثاً:

- توقف! ما الذي تفعله؟!

نظر له أرسن ليرتع قلب ألكسندر من نظراته، رأى كم شرارات الغضب التي حملتها عيناه ليدرك كم أن عائلته عزيزة على قلبه لدرجة عدم سباحه لأي شخص بالتطاول عليها.. تلك الشرارات كانت كما لو أنها على وشك إحراقه فعلاً.. تساءل عما كان ينوي فعله بهذا الغريب بنظراته المربعة تلك!

ترك أرسن ملابس الغريب دافعاً إياه مجدداً مبعداً كفي ألكسندر عنه وعاد للدخل بكل هدوء من دون التفوه بأي كلمة تحت نظرات ألكسندر المصدومة والآخر الخائبة، وحينها جلس ألكسندر بجانب الغريب الذي كان يتنفس بسرعة هامساً بحزن:

- أنت بخير؟

لكنه لم يجبه.. نظر له ومن ثم عاد ينظر للفراغ بينما لمعت عيناه، لكنه كافح دموعه قدر استطاعته ونجح.. وتحدث ألكسندر قاصداً تنبيهه:

- كوعك ينزف..

أوماً الآخر بهدوء هامساً بنبرة مختنقة:

- شعرت بحرقه.. لا بأس..

استغرب ألكسندر من استجابته لحديثه بهذا الشكل رغم علاقتها.. يتساءل إلى أي مدى

هو يشعر بالسوء.. حين يشعر المرء بالوحدة والألم ينتظر أي شخص ليتحدث معه وينسى واقعه قليلاً.. يتساءل إن كان يمر بذات الشيء.. ذلك دفعه للإفصاح عما شعر به.. وهمس ألكسندر منخفضاً رأسه:

- كنت محققاً حول حديثك.. كنت محققاً فعلاً.

سأله الآخر بهدوء:

- كنت مستيقظاً؟

أوماً ألكسندر وفوراً تحدث:

- أنا أعتذر.

همس الآخر بضعف:

- لا ألوهم على دفاعه عن عائلته.. لكن هذا يحرقني أكثر وأكثر.. ينهش روحي من دون رحمة..

وعاد يقهقه نابساً:

- يا لبؤسي..

نظر لألكسندر الذي كان ينظر له بحزن وابتسم بشكل خفيف متحدثاً بهمس:

- إيفان.. أدعى إيفان لوريوس.. شكراً لك على دفاعك عني ألكسندر رغم سوء علاقتنا. تتمم ألكسندر:

- هذا لا ينفي أنك نشال وغد.. مع اسم جميل.

زادت ابتسامة إيفان، وهمس بعدها بينما نهض واقفاً:

- انتبه على نفسك وعلى أصدقائك جيداً.. هذا العالم مخادع.. يمسيك بريئاً ويصبحك مجرمًا.. عجباً لهذا!!

أجابه ألكسندر مومئاً:

- سأفعل.. لنعد للداخل لننام الآن.

ظل إيفان واقفاً مكانه لينظر ألكسندر لعينيه الراضية.. ابتسامته الخفيفة وتنفسه الهادئ.. وقد همس بهدوء وصوت بات لطيفاً لمسامع ألكسندر:

- هلا أسديت لي خدمة؟

"ألكسندر استيقظ.."

كان إيفان الذي يحاول إيقاظه مراراً وتكراراً حتى بدا ألكسندر يستجيب وأخيراً بعد معاناة، فتح ألكسندر عينيه ناظراً لإيفان ومن ثم نهض فوراً ناظراً حوله ليتحدث إيفان:

- نمت جيداً؟

نظر ألكسندر له.. كاد يسأله.. لوهلة ظن بأنه استيقظ من كابوس الطاعون.. كما يحدث معه دومًا كلما نام أو غفى.. لكنه عدل عن تفكيره فور رؤيته لآلاس الذي دخل متحدثاً:

- علينا الرحيل ألكسندر.. الأمير طلب مني إخباركم.

أوماً إيفان تعقيباً لكلام آلاس وسأل ألكسندر:

- ألم تر الفتى الذي كان معنا؟ استيقظت ولم أجده.

تقدم آلاس فور سؤال إيفان بفضول للإجابة ليحرك ألكسندر شفتيه من دون صوت باسمه، وتساءل آلاس ناظراً لإيفان عن حركة شفاه ألكسندر ليردف ألكسندر:

- لا أعلم.. هل رحل؟

أجابه إيفان مومئاً:

- يبدو هذا.

نهض ألكسندر حينها متحدثاً:

- إذا هيا بنا..

جال بناظره المكان باحثاً عن حقيقته إلا أنه لم يجدها ليدرك بأن إيفان قد أخذها مجدداً من دون أن يلاحظ ألكسندر.. لكنه هذه المرة لم يكن ساخطاً ولا غاضباً.. هو فقط تنهد متذكراً ما حدث.

خرج ثلاثتهم لينظر ألكسندر لأرسن الذي بدا في مزاج سيئ من معاملته العنيفة تجاه أشياءه متحاشياً النظر له.. تساءل ألكسندر لو كان أرسن يشعر بالذنب بسبب فعلته بالأمس.. أم أنه ساخط عليه لكونه تدخل؟ يدرك حتماً بأنه لو لم يتدخل لكان إيفان الآن ميتاً.. بتهمة الخيانة بالطبع..

زم شفتيه موقفاً أفكاره وتحدث:

- هناك قرية بالقرب من إيرينيا.. في الشمال الغربي.. هل بإمكاننا الذهاب لها بعد إذنك أيها الأمير؟

نظر إيلان لألكسندر فوراً مصدوماً بينما التف أرسن ناظراً له هو الآخر سائلاً:

- لو سرت فستحتاج على وجه التقريب نصف يوم لتصل، لماذا تريد الذهاب؟

عوضاً عن إجابة ألكسندر الصريحة هو تحدث عن رغبة أرسن الشخصية:

- لو كنت لا تريد مرافقتنا فلا بأس!

أجاب أرسن محمداً بألكسندر بتعايير جامدة:

- سأتي.. جروحك أنت وآلاس في حاجة للعناية، إضافة إلى أنني لن أترككم هنا..

شعر إيلان وقتها بالغرابة.. ما بال تلك التحذيرات الغريبة بين كليهما؟! رفع ألكسندر كتفيه وأخفضهما وأجاب:

- كما تشاء، نبل منك ألا تتركنا هنا.

استغرب إيلان حركته أكثر.. لكنه أعاد الأمر لكونه لا زال متأثراً بوفاة والديه.. هو بالتأكيد لا زال متأثراً.. رغم أن هذا ليس واضحاً أمامه الآن، واستيقظ من شروده الأقرب للانعزال على ألكسندر الذي يصوب نظراته نحوه ومن ثم ابتسم مرتباً على كتف إيلان متحدثاً:

- لا تغفل.. لا يزال هناك الكثير، نحن بحاجة لبداهتك.

اختتم ألكسندر حديثه ماشيًا خلف آرسن الذي بدأ السير فعلاً بعدما ساعد آلاس على الصعود على الخيل، ولحق إليان بألكسندر سريعاً ممسكاً برسغه لينظر له ألكسندر ويسأله إليان بنبرة مترددة:

- لماذا تريد الذهاب لتلك القرية الآن؟

ألكسندر أجاب بصوت منخفض كما لو كان يحكي لإليان سرًا:

- روديون، فتى تم توصيتي عليه.

توقف إليان متسمرًا مكانه.. بدا كما لو أنه يعرف ذلك الاسم جيدًا، وألكسندر توقف معه ونادى مستغرباً مفيقاً إليان لينظر له إليان بتشتت ويسأل ألكسندر:

- إليان؟ هل تعرفه؟

ابتلع إليان ريقه، نادى بصوت مبحوح بينما شعر بحلقه قد جف تمامًا:

- ألكسندر..

بدا كما لو أنه يريد إخباره بكل شيء لكن هناك من يمنعه.. نظر ألكسندر لآرسن الذي لا زال يسير بينما ينظر لهما مستنكرًا توقفها.. ألكسندر قام بجذب إليان من كفه ليقتربا من آرسن وهمس سائلا مشبعًا شكه:

- تعرف تلك القرية؟

أوما إليان هامسًا:

- أومي.. تلك القرية.. أفقدتها..

همسه قد ترك بين كل كلمة وكلمة صمتًا يحن ويتألم ليدرك ألكسندر بأن ظنه صحيح.. إليان ساءط على تلك القرية بكل جزء في قلبه وبكل جزء من أجزاء روحه المكسورة، أخفض ألكسندر رأسه وتنهد.. فكر في التراجع حقيقة.. وتذكر حديث إيفان وحسب أثناء سيره..

حين جلس على الأرض مقرّصاً ضامّاً ركبتيه لصدره على الأرض يداعب ترايبها بأصابعه بخفة وطلب:

- روديون.. أتمنى لو بمقدورك ضمه هو وشقيقه نيفيل معكم.. تستطيع؟ بمقدوري الثقة بك؟ سأكون ممنوناً لك طوال حياتي ألكسندر، أفك امتناني لهما بامتنان آخر.. لقد رعياني في الحقيقة لكنني من رحل.. أتمنى أن تنقذهما من ذلك المرض الذي يغزو القرى.. الأمير بنفسه معك.. سيتصرف ما دام أنت من سيطلب وسيأتي معك.. ستكون بأمان وستؤتيهم من أمانك.. بإمكانك؟

وتذكر رده عليه آنذاك:

- يبدو كما لو أنه قد أصبح واجباً عليّ إيفان.. ليس بإمكانني تركهما وقد رأيت وجع الفقد والمرض بعيني.. لكنني أخشى بأنني لن أستطيع.. ورغم هذا أنا أعدك بأنني سأبذل قصارى جهدي إيفان..

ورد إيفان بينما وقف:

- وأنا أعدك بأنك ستجديني إلى جانبك متى ما احتجتني ألكسندر.. وعداً لن أخلفه ولن أجرو.

"ألكسندر"..

كان آرسن الذي نادى بصوت مستغرب ليستفيق ألكسندر ناظراً لآرسن ليحده واقفاً أمامه مباشرة ويبدو كما لو أنه هو من قد توقف عن السير جاذباً انتباه آرسن عوضاً عن إيلان هذه المرة، نظرات آرسن المليئة بالشك رغبة في معرفة ما يدور بينهما كانت واضحة كالشمس، تركيزهما يتنافس على من سيكون معدوماً أكثر لليوم فعلاً!

إيلان؟ هو نظر له ليحده قد شاح بناظريه عنه لمكان آخر مخفصاً رأسه متنهّداً، حينها ابتسم ألكسندر بشكل خفيف متحدثاً:

- أنا بخير أيها الأمير.. لا تقلق.. شردت قليلاً.

تنهد آرسن من شرودهما الواضح والمبهم سببه بالنسبة له.. حيث سار مجدداً وسار ألكسندر

حيث إليان الذي سبقه بعدة خطوات.. هذه القرية بمثابة الخط الأحمر لإليان، هو لا يريد تأزيم الموقف على نفسه وعلى إليان أكثر من أزمته حالياً.. تمسك بذراع إليان بإحدى كفيه بينما تحدث بنبرة جادة راغبة مستأذناً إليان لينظر له:

- أسمح لي؟ تسمح لي بالذهاب وإنقاذهما؟

انتقل إليان بناظره لكف ألكسندر التي غلفت ذراعه وبدوره هو رفع كفه مغلفاً كف ألكسندر يفكها عن ذراعه وهمس:

- أنا معك في أي شيء تريد فعله ألكسندر..

عاد إليان ينظر أمامه بينما سار كلاهما ليتحدث ألكسندر:

- لو كان هذا سيؤذيك فـ...

وقاطع إليان حديث ألكسندر:

- لننقذهما سوياً!

ابتسم ألكسندر ناظراً له هامساً:

- أشكرك.. حقاً.

ابتسم إليان وتحدث:

- شقيقه نيفيل أليس كذلك؟

تفاجأ ألكسندر، هو يعرفهما فعلاً.. ووضح إليان من فوره:

- أنا أعرفهما.. كنا نلعب سوياً وعلى حديث والدي كنا أصدقاء مقربين.. كان يحكي لي كل ما خضته في القرية وخانتني ذاكرتي عن تذكره.

ظل ألكسندر ينظر له بينما اختفت ابتسامته، أصدقاء مقربين؟ ما بال هاتين الكلمتين تحملان الكثير من المعاني المتخفية في طيات حروفهما؟ وماذا حدث؟ ترك إليان لقريته رمى بتلك المعاني بعيداً جداً لتندثر من قلبه قبل أن يدرك عمقها لصغر سنه ويتداركها حالماً كبير.

وتحدث ألكسندر بضيق:

- أتمنى لو فقط بمقدوري إنهاء هذا الظلم الذي استفقت عليه بغتة.

ابتسم إليان بحزن مجيئاً حديثه:

- الملك بنفسه لم يستطع.. ستستطيع أنت؟!

تحدث ألكسندر واضحاً كفه قرب فمه يشير له بالسكوت:

- فقط لا تتحدث بهذا الشكل عن الملك أمام الأمير.

أوماً إليان متحدثاً:

- أنت عرفت الكثير بالفعل، لعلك أيضاً تعلم أين رحل ذلك النشال.

أفصح ألكسندر:

- إيفان.. يدعى إيفان.

وإليان أوماً بتفهم.

السماء الزرقاء كانت كل ما يملأ عيني إيفان الجالس على أحد فروع الشجرة الضخمة التي استطاع تسلقها.. مال بجسده على الشجرة زاماً شفتيه، نظر للحمام الأبيض الذي توسط المنظر أمامه.. وها هو يعقد حاجبيه باستغراب لتشابه هذا المنظر مع قلادة ألكسندر..

عقد حاجبيه أكثر متذكراً أسئلة أرسن هامساً:

- حمام؟ إيرينيا؟ ألكسندر..؟

وفجأة هدأت ملامحه واعتلاها الفراغ الأقرب للصدمة من النتائج التي توصلت لها أفكاره.. قبض إحدى كفيه متمسكاً ببنطاله بينما غلغل الأخرى في مقدمة شعره الأشبه بعطاء الليل المهيبة ولم يخرج منه إلا همساً ضعيفاً:

- ماذا فعلت بنفسني..

ها هو منتصف الليل قد وصل، الساء متلونة بالنيلي المزين ببعض الغيوم التي لم تعد واضحة كما السابق، مرت خمس عشرة ساعة بالفعل بين الكثير من الأشجار والاستراحات وقد وصلوا وطلب منهم الأمير ارتداء تلك الأقمشة مجدداً، وظل إيلان يتلفت حوله هادئاً للغاية يحاول تذكر الطريق لكنه لم يستطع، مرت تسع سنوات.. بالتأكيد هو لن يتذكر! لكنه بات قريباً جداً من القرية!

راح يداعب مسامعهم صوت رنين خفيف لطيف قادم من ناحية الأشجار لينظروا تجاه الصوت ويتحدث آلاس بدرامية:

- والآن.. الأشباح ترحب بنا..

ابتسموا جميعاً لمداعبته الفكاهية باستثناء إيلان الذي كان شاردًا ناظرًا تجاه الصوت.. حيث خطا ناحيته ببطء جاذبًا انتباه البقية لينادي ألكسندر مرتاباً:

- إيلان؟

تحدث آلاس مفزعاً ألكسندر:

- أمسكه.. الأرواح الشريرة تلبسته!

هو فعلاً أفزع هذا الأحق الذي حمل تعابير فارغة في طباط وجهه قالباً ناظره بين آلاس وإيلان بشكل سريع وماذا؟ مشى بسرعة تجاه إيلان متمسكاً بذراعه يوقفه وسأل:

- هل هذا حقيقي آلاس؟!

سأل بكل حماقة بينما اعتلى الخوف ملامحه فعلاً، وقهقهة آرسن قد أوضحت له كم حماقته!

نظر لإيلان الذي حاول فك كفه التي التصقت بساعده على ما يبدو بينما تحدث:

- ألكسندر.. دعني لا وجود لشيء كذلك!

وألكسندر هدأ حال استماعه لنبرة صوته المشتتة، تركه بينما حاول فهم سبب تشتتة القوي ولهفته المبهمة.. حرك رأسه بشكل خفيف عاقداً حاجبيه قليلاً سائلاً بواسطتها إيلان عن خطبه

ليجيب إيلان بصوت هادئ قلق خافت ناظرًا في عيني ألكسندر:

- أنا أعرف هذا الصوت.. أنا.. أعرفه..

وأما عدة مرات مثبتًا لنفسه بأنه لا يتوهم.. لمعة عينيه المترددتين إثر انقباضة شعرها في قلبه لم تدع المجال لأحدهم بالسؤال.. التف وسار ناحية الصوت ناظرًا لفروع الأشجار العالية حتى اهتدى للشجرة المطلوبة حالما رأى أنابيب الموسيقى التي اصطدمت ببعضها مصدرة رنينًا يجبه بشدة.. كانت معلقة على أحد فروعها العالية.

هو تذكر.. نيفيل هو من قام بتعليقها بعدما صعد الشجرة ومن ناحية أخرى كان هو يصرخ ويرقص فرحًا، وبجانبه روديون الذي كان يراقب بهدوء متبسًا.. ذلك اليوم هم بقوا مستقلقين على العشب طوال الوقت يتحدثون ناظرين لتلك الأنابيب حتى غربت الشمس.. هذا فقط!

كانوا دائمًا ما يخرجون من القرية بفضول حول ما يقبع خارجها وحدود تمردهم كان لحد تلك الشجرة التي تبعد عن القرية بخطوات كثيرة كما كان يحسبها هو بخطواته القصيرة! وقف ألكسندر بجانبه ناظرًا لذات الأنابيب وتحدث ناظرًا لإيلان:

- رنينها رائع.

نظر له إيلان وأومأ، لكن ملامحه لا زالت مرتبكة.. كما لو كان غير مرتاح.. هو فعلاً لم يشعر بالراحة برؤيتها، لم يستطع تفسير ما شعر لألكسندر لغرابته.. ولم يلبث أن عاد ينظر للشجرة حتى انخفض بناظره لبداية ساق الشجرة حال استعائه لصوت أنفاس ما قد علت من خلفها.. بدا كما لو أن هناك شخصًا ما يحاول الحديث ولا يستطيع.

كاد إيلان يتقدم بعدما شعر بنبضة قوية من قلبه، لكن أرسن سبقه بتلك الخطوة متقدمًا يحذر ممسكًا بسيفه مستعد لإخراجه من غمده، وإيلان وألكسندر وآلاس تقدموا خلفه، وتوقف أرسن ناظرًا لمن كان جالسًا راميًا بثقله على ساق الشجرة بتهالك.. وفورًا اتجه له سائلًا:

- هل أنت بخير؟

نفى الآخر بشكل خفيف للغاية هامسًا بصعوبة:

- لا تقترب.. أنا مصاب.

توقف آرسن قبل أن يصل له، ونظر له إيلان بتمعن قبل أن يسأل بانفعال:

- نيفيل؟ .. هذا أنت؟!

تقدم بسرعة جالساً أمامه.. وكاد يحاوط وجهه بكفيه محاولاً رفع رأسه ليراه إلا أن آرسن سحب كفيه عنه وأمسكه مبعداً إياه بسرعة للخلف، حدث ذلك في ثوان معدودة، إيلان الذي ابتعد عن نيفيل مجبراً عاد يحاول الاقتراب مجدداً مقاوماً قوة آرسن بضعف كما لو كان مغيباً هامساً بصوت مرتجف خائف:

- أنا إيلان! لا بأس ستكون بخير. حسناً؟ أعدك نيفيل!

بدا نيفيل متألماً بشده.. حرارته المرتفعة نشرت الألم في سائر جسده لتقيده عن الحركة.. وها هو يعاندها بأبسط الحركات.. ورفع رأسه مقاوماً ألم جسده ورأسه هامساً بضعف وسط التقاطه لأنفاسه:

- إيلان.. مرت مدة..

أوماً إيلان هامساً:

- لقد جئت.. أجل.

واغرورقت عينا إيلان بالدموع.. محاولاً الاقتراب لكنه سرعان ما يفشل بسبب الأمير آرسن الذي كان مصراً على عدم اقترابه، ليصرخ هو بينما حاول إبعاد آرسن عنه ناظراً له:

- دعني أيها الأمير! دعني!

أجابه آرسن متحدثاً بصوت حاد:

- سيموت يا إيلان! لو ظللت تلامسه فاحتالية إصابتك بالعدوى ستكون كبيرة!

هدأ إيلان بين ذراعيه حال استماعه لحديثه، ونظر لنيفيل بصدمة وخوف بينما تساقطت دموعه بسرعة على طول وجهه، وهمس ناعياً برأسه:

- لا.. لا لا لا..

أردف بعدها بنبرة مترعزة مرعوبة:

- نيفيل.. تحدث إليّ.. ستكون بخير!

قاطع أنفاسه المضطربة حديث نيفيل الهادئ حيث أفصح:

- سعيد لأنني رأيتك مجددًا إيلان..

ابتسم بعدها بكل ما يملك من طاقة وأردف:

- روديون.. أرجوك أن تبقى معه إيلان.. حجزته في غرفة تخزين المحاصيل في القرية.. الغرفة التي كنا نختبئ فيها دومًا.. أتذكر؟

إيلان أومأ، همس بضياح به: "أفعل".. شاعرًا بذكرياته التي كان على وشك نسيانها تتوافد صورها لعقله بشكل مكثف..

استكمل نيفيل متحدثًا:

- سيكون بخير ما دام معك.. أنا متأكد..

نادى إيلان بارتياح وخفوت حالما رآه يخفض رأسه ببطء مجددًا:

- نيفيل.. نيفيل!

قاطع نيفيل هامسًا بصوت أكثر انخفاصًا:

- شكرًا لعودتك.. سأبقى ممتن لك.. حتى لو مت..

أنهى حديثه، وانخفض جسده قليلًا بعدها مظهرًا فقدانَه لطاقته بالكامل، ونادى إيلان مصدومًا:

- نيفيل! ساعده.. ساعده أيها الأمير.. افعل شيئًا!

صرخ نهاية حديثه على آرسن الذي زم شفثيه مخفضًا رأسه حيث نبس بهدوء:

- لقد.. سلم روحه.

ظل إليان ينظر له بتعابير غير مصدقة بينما عاودت دموعه تتساقط مجدداً بهدوء، ليتحدث آرسن بينما قبض كفيه على جسد إليان بخفة مواسياً:

- أنا آسف.

نظر آرسن للخلف حيث آلاس وألكسندر الواقفين من دون أي حركة.. فهم بأنهما لا يزالان غير مستوعبين ما حدث من تعابير وجهيهما التي حملت ترجمة لمشاعرهما الثائرة.. كانت هذه أول مرة يرى آلاس فيها شخصاً يموت بهذا الوباء، ولم ينفك عن ألكسندر أبداً تخيل لحظات والديه الأخيرة قبل أن يسلبهما الوباء حياتهما، ويا ترى من مات منها أولاً تاركاً الآخر يحارب وجع الوباء ووجع الفقد، بينما شعر آرسن بالغضب، وبانعدام الحيلة تجاه هذا الوباء الجشع.

عاد آرسن بعينه لإليان الذي ينظر لنيفيل بفراغ غير مصدق ولا زالت دموعه تتوافد بكثرة، تنفس بعمق واضعاً كفه على صدره قابضاً على ملابسه متأوهاً من الوجع الذي يشعر به داخله وهو يرى كيف يفقد كل من يعرفهم واحداً تلو الآخر في لحظات! وانهار على ركبتيه باكياً مفيقاً بذلك آلاس الذي نظر لألكسندر وتمسك بكفه ضاعطاً عليها لينظر له ألكسندر هو الآخر ويرى عينيه اللتين لمعتا بسبب دموعه المحتجزة في حدودها، لم يكن آلاس واضحاً جداً من مرأى ألكسندر ليدرك ألكسندر بأن آلاس حتماً يرى ذات المشهد من جهته وعينه، كلاهما على وشك البكاء..

نظر آلاس لإليان ليفهم ألكسندر طلبه.. اقترب وجلس على ركبتيه خلف إليان وعانقه بقوة من الخلف ولا زال يتخيل والديه، وتساقطت دموعه بهدوء على ملابس إليان التي سرعان ما أخفت دموعه بين أنسجتها الجافة.. وحينها أفلته آرسن ناظراً لآلاس الذي جثا لتوه هو الآخر بجانبهم.

رفع إليان إحدى كفيه متمسكاً بذراع ألكسندر بقوة، بينما غطى بالأخرى وجهه.. حاول التحكم في نفسه.. لكن قلبه قد انفجر بشدة ها هنا مظهرًا انتهاء قدر احتماله الذي دام سنين.. بداية من والدته، ثم والده، وها هو نيفيل الآن.

بكى لوقت طويل، بالتدرج البطيء هدأت روحه بينما ألم قلبه لم يهدأ.. كان فقط يزداد أضعاف الأضعاف كلما زادت روحه ضعفاً وخوراً، شاعراً بطعنات القدر كلها توجه نحو نقاط

ضعفه وتذيقه أشد أنواع المرارة.. مرارة الفقد.

راقب بعينيه اللتين حملتا حمرة قوية آرسن الذي غطى نيفيل، دموعه لم تقرر التوقف رغم أنه قد هدأ بين ذراعي ألكسندر الذي لا زال يعانيه بقوة، وشعر بالكف التي حاوطت وجهه لينظر لصاحبها وإذا به آلاس.. يحاول كفكفة دموعه قدر استطاعته، بينما حملت ملامحه ليناً كبيراً ومواساة أكبر وشفاه نطقت بكلمات شاءت أن تخفف عن قلبه الكثير.. تنفس بعمق محاولاً إدخال أكبر قدر من الهواء البارد داخل رئتيه لينعش صدره المكتوم، ناظرًا لأنابيب الموسيقى التي لا زالت تصدر ذات الرنين المفضل، ومن ثم أغمض عينيه مريحاً رأسه على كتف ألكسندر، بينما بكفه اليسرى تمسك بكف آلاس الذي تمسك به هو الآخر حتى هدأ نهائياً وانتهى بكأؤه بعد ساعة ونصف مرفيها بأقصى مراحل انهياره الواضح.

تحرك من مكانه لينهض بشكل غير متوازن جعل من ألكسندر وآلاس يساعداًه حتى وقف، وعاد ينظر لنيفيل المغطى بأعين ذابلة ودعا له بكل صدق أن يكون مسروراً الآن حيث ذهب.. ألكسندر وآلاس وآرسن لم يتخلفوا عن ذلك أيضاً منذ أنهم قد وقفوا بجانبه يشاركونه الدعاء الصامت في وقفة حدادهم عليه.

تنهد إليان متنفساً بعمق وتحدث بعدها بنبرته المبحوكة الخافتة يحدث نيفيل:

- وعد بين موت وحياة، لا ينتهي حتى تصبح الحياة هي أيضاً موت.

نظر لألكسندر وآلاس.. زم شفثيه محاولاً ابتلاع غصته التي تكاد تخنقه.. مسح وجهه بكفيه بقوة ضاغطاً بأنامله على عينيه يجد بكاءها الذي شعر باقترابه مرة أخرى.. تنفس بعمق وتنهد مجدداً.. وبصوته الضعيف هو أفصح:

- روديون.. لنذهب له.



الفصل السابع

مُعْتَصِرُ الْأَلَمِ | رُودِيُونُ فِيرِيْتَاَسْ



"معتصر الألم كان قدرًا قدر لقلبي الانغماس فيه بكل ما فيّ من أسى وأسف، وكنت أنا الوردية التي طفت على سطح الطوفان متهالكة تناضل لآخر نفس" ..

..

البدر ظل بأنقى طلة، مع نسيمات الهواء الباردة وهدوء المكان الذي صاحبه هند اليوم ونهامه ونباح الكلاب الضالة البعيدة، ها هي خطوات أقدامهم قد باتت على وشك خوض أرض القرية التي باتت فئات ذكرى سيئة في عقل إليان، والذي أراد إحراقه بشدة ليتحول لرماد ويتسنى له الطيران بعيدًا لينساه، تنهداتهم باتت متفاوتة إثر ما واجهوه من موقف فقد جديد مختلف، لإليان.. كان ما حدث مرارة فقد صعبة كاسرة جديدة، وللثلاثة الباقين كان حزنًا لفقدان روح بريئة ارتاحت لها قلوبهم في أول ثواني اللقاء الذي لم يدم طويلًا.

إليان يفكر مرارًا وتكرارًا في كيفية مواجهة روديون بالأمر.. تساءل عن ماذا ستكون ردة فعله لرؤية صديق طفولته مجددًا يحمل له خبر موت شقيقه الأكبر؟ كيف أصبحت ملامحه، أسلوبه وشخصيته.. هل سيتذكره أساسًا؟

أفاق من شروده مفزوعًا حالمًا وضع آلاس كفه على كتفه لينظر له إليان برهبة ويسحب آلاس كفه بسرعة متحدثًا:

- لم أقصد إخافتك.. لكن.. أنت تنظر للأرض إليان، كيف لك أن تعرف مكان روديون؟

هو محق.. حتما.. هدأت ملامح إليان ناظرًا أمامه للمباني الرثة بينما تبادل آلاس النظرات مع ألكسندر وأرسن، وتحدث ألكسندر فجأة بهدوء جاذبًا انتباه الجميع:

- إليان.. أنا سأنتظرك هنا..

نظر له إليان بهدوء.. لا أحد يحتمل المزيد من الحزن والألم.. ألكسندر لا يريد رؤية حالة روديون حال وصول الخبر له.. لكن إليان مجبر.. كلاهما قد تأذى بشدة، لكن ألكسندر مخير بينما إليان مجبر على تحمل المزيد من الأذى.

سأل أرسن:

- ستبقى هنا بمفردك؟ هل أنت واثق بأنك ستكون بأمان؟
تنهد آلاس متحدثاً:

- سأبقى معه أنا أيضاً لذا لا بأس!

نظر ألكسندر لإليان الذي كانت نظراته تنتقل بينهما بهدوء وابتسم بشكل خفيف وتحدث:
- تستطيع فعلها إليان.. عد به وسنتظر كما هنا.

ظل إليان ينظر له قليلاً بآلاف المعاني في عينيه حتى تنهد والتف مكملاً سيره مع آرسن ليتنهد ألكسندر شاعراً بالذنب الكبير تجاهه، لكنه حقاً لن يمتثل، وغير إليان مسار سيره بعدها بقليل معتمداً على ذكرياته القليلة وتذكره الضعيف للقرية.. وماذا غير ذلك؟ صراخ روديون بأن يفتح أي شخص له وضربه للباب كان عالياً مسموعاً بشكل بسيط فاجأ إليان وآرسن خصوصاً وأن الهدوء يعم المكان كما لو كانت القرية أشبه بقرية للأشباح.

حاول إليان تتبع الصوت الضعيف الذي سرعان ما انقطع، لكنه متأكد من أنه بات قريباً.. وفعلاً وصل.. نظر للباب المسدود بلوح الخشب المتين وتنهد.. ما الذي كان يفكر فيه نيفيل؟ منع روديون من اللحاق به؟ ماذا لو لم يقابل إليان ليوصيه على شقيقه؟ كان سيموت حتماً حال انتهاء طعامه وشرابه لعجزه عن الخروج.. محاولة حماية شقيقه كانت ستنتهي بالتسبب في موته حتى لو لم يكن قاصداً!

اقترب وحاول رفع اللوح ليساعده آرسن ونجحاً، وما أن طرّحاه أرضاً حتى فتح إليان الباب سريعاً باحثاً بعينه عنه، لتلتقي عيناه بعيني روديون الذي كان جالساً على الأرض بقلّة حيلة والذي قد وقف فوراً.

أخذ إليان نفساً عميقاً بهدوء.. روديون يبدو كما لو كان خارجاً من معركة للتو.. يبدو مرهقاً بشدة وهذا غير جسده النحيل الضعيف المغطى بثياب بدت واسعة جداً.. ماذا فعل هذا الوباء في البشر؟ لماذا كان أنانياً وحقيقاً لهذا الحد؟ تمكن آرسن من استنتاج أنه على مشارف العشرين رغم شعره البني الذي طال بإهمال ويكاد يغطي رأسه ووجهه لولا أنه يزيحه بعشوائية..

ودوامة التفكير التي أصابت إليان منعتة عن الحديث، أجبرته على النظر أرضاً من دون التفوه

بأدنى كلمة ليتقدم أرسن عوضاً عنه سائلاً:

- روديون.. أليس كذلك؟

ظل روديون صامتاً قليلاً، وعوضاً عن إجابته سأل بصوت هادي:

- من أنتم؟

رفع إيلان عينيه وعلقهما على روديون الذي استنكره للتو ولم يتعرفه.. لعق شفثيه ونظر لأرسن الذي نظر له، ومن ثم حرك إيلان قدميه ببطء متقدماً بضع خطوات باتجاه روديون ناوياً البوح باسمه، بكونه صديق طفولته المخفي منذ مدة، تحدث بهدوء:

- أنا...

قاطعته روديون متحدثاً باندفاع خفيف:

- إيلان؟

نظر له إيلان لثوان بتفاجؤ وسأل بنبرة مهتزة:

- تذكرني؟

تحدث روديون بينما عادت نبرته للهدوء:

- أجل أتذكرك.. أنا أفعل.

أوماً إيلان وابتسم بشكل خفيف بينما شعر برؤيته التي تشوشت عقب دموعه التي تجمعت في عينيه ليخفض رأسه محاولاً النظر لأي شيء عداه.. جل ما يجول في خاطره هو مصارحته بوفاة شقيقه.. كيف سيفعلها؟

وأقرب ما يوصف به روديون في تلك اللحظة كان عدم الاستيعاب، لم يستطع استيعاب أن الواقع أمامه الآن يكون إيلان، رفيقه في القرية وصديق طفولته الذي ظل يتذكره دوماً حتى اليوم.. يحاول التصديق وكلما استطاع استيعاب الأمر أكثر كانت ملاحظه تظهر لينها الكبير واشتياقها.. لم يتردد أبداً بشأن ما فكر به تلك اللحظة، وفي المقابل تمنى أن إيلان هو الآخر لن يمانع.

وإليان تفاجأ، حالما تلقت ذراعي روديون جسده يعانقه بقوة واضعاً وجهه على كتفه مخفياً ملامحه التي سرعان ما أظهرت حملها الذي بات ثقيلاً وهمس:

- هل أنت بخير؟ حال انتشار الخبر.. والدتك.. بحثت عنك طويلاً ولم أجذك، وعلمت بعدها من الأهالي بأنك هجرت القرية مع والدك.. لم أعلم كيف أصل لك بعدها.

بدله إليان العناق مخفضاً رأسه غير عالم بها عليه الرد به ليتحدث روديون بأسى:

- اقتنص المرض كل شيء كان حلواً وحوله لمرارة تكاد تقتلتي يا إليان.. أين كنت كل هذه السنوات؟ أين اختفيت فجأة؟ بات رنين أجراس الموسيقى مقيتاً منذ رحلت.

رفع روديون رأسه عن كتف إليان فجأة ناظراً للملامح إليان المستاءة وللمعة عينية الواضحة وسأل:

- لكن.. كيف عرفت مكاني؟

نظر له إليان بتشتت ليسأل روديون:

- هل قابلت نيفيل؟ هو الآخر اختفى قبل يوم وترك أغراضه هنا.. أخبرني قبلها أنه ينوي استطلاع المكان خارج القرية وذهب بينما كنت نائماً.

نادى إليان بنبرة مسموعة بدت متماسكة:

- روديون..

نظر إليان للمعة عينية.. روديون متعلق بشقيقه فعلاً وهذا ما يجعل إليان يفكر للمرة الألف حول قرار إخباره الآن.. لكنه لن يكذب.. لو كذب الآن حتى لا يكسر قلبه فكم سيكون مقدار كسره فيما بعد حالما يعلم بأن شقيقه توفي، وأن صديقه قد كذب وأخفى عنه؟ لا يجب عليه معالجة الخطأ بخطأ أكبر، يكفيه ذنباً، لا يشعر بأن في روحه جزءاً سليماً يسمح له بارتكاب المزيد من الأخطاء.. هو بالكاد لا زال يحاول العيش بعد كل ما حدث.. لعق شفتيه وهمس:

- التقينا.. تحدثنا أيضاً قبل مدة.

وماذا؟ نظرات روديون الراضية صعبت عليه الموقف أكثر.. لكنه لم يكمل وعوضاً عن ذلك

روديون من سأل:

- أين هو الآن؟ لماذا لم يأتِ معكما؟

لف إليان وجهه للجهة الأخرى آخذًا نفسًا مسموعًا ليختفي رضا روديون ويحل محله استنكار واستغراب وقلق، بينما قلب عينيه بين إليان وآرسن، عاد إليان ينظر له وتحدث بنبرة خافتة:

- روديون، شقيقك أيضًا كان..

حاول الإكمال، حاول الضغط على نفسه ليصارحه لكنه كان عاجزًا.. سأل روديون وبدأ
ينفعل:

- كان ماذا يا إليان؟!

حاول تهدئة نفسه وسأل:

- هل رحل وتركتني؟

تحدث إليان مجيبًا فورًا:

- أخبرني بمكانك قبل ذلك وأوصاني عليك..

عاد روديون يسأل بذات الهدوء:

- مات؟

تنهد إليان مخفصًا أنظاره وزم شفتيه ولم يستمع إلا لصوت آرسن الذي أفصح:

- نيفيل توفي.. أصيب بالمرض ولم يكن هناك أي حل حتى لا يموت، التقيناه في آخر مراحل المرض، ولم نستطع إنقاذه.

استل إليان نفسه مجددًا ومجددًا ونظر لروديون الذي ظل ينظر لآرسن وهمس:

- كنت أعلم.. بأن هناك خطب ما أصابه حال اختفائه من أول يوم.

كان روديون هادئًا لأقصى حد وهذا ما أقلق إليان عليه أكثر، حيث تحدث واضعًا كفيه على

كتفيه:

- نيفيل قد ارتاح الآن.. لقد كان يعاني وانتهت تلك المعاناة..

نظر له روديون وعاد يومئ بذات هدوئه.. وسأل بعد ثوان:

- أين هو الآن؟ أين التقيته؟

ورد إليان:

- عند أجراس الموسيقى..

سار روديون باتجاه الباب ليمسكه إليان من ذراعه سائلاً بقلق:

- روديون.. إلى أين؟

نظر له روديون ليردف إليان:

- المكان خطير وليس عليك البقاء بمفردك! على الأقل سآتي معك!

نفى روديون برأسه بقلة حيلة وتحدث بنبرة هادئة بدأت تهتز:

- سأذهب له.. لأخبره بأنه ليس عليه تركي الآن إليان.. وعدني بأننا سنبقى معاً.. جميع من بالقرية ماتوا وهربوا حتى باقي عائلتنا.. وبقينا سوياً.. فلم؟

هدأت ملامح إليان القلقة لأخرى بائسة.. ماذا بوسعه القول؟ هذه الأعين لا يكفيها الحديث لينتهي حزنها.. ومهما حاول التخفيف عن هذا القلب لن يشفى أبداً..

وشعر روديون حينها بأن الأرض تهتز أسفل قدميه، حاول التمسك بذراعي إليان والتماسك متنفساً بقوة، ولم ير شيئاً بعدها، سقط فاقدًا لوعيه ليمسكه إليان جيداً بذعر قبل سقوطه كلياً ويقترب آرسن مساعداً إياه على إراحة جسده على الأرض.

عند ألكسندر وآلاس

كان ألكسندر مقرصاً على الأرض فاردًا ذراعه يسندها بركبته واضعاً كف ذراعه الأخرى

على عضدها بينما كف ذراعه المفرودة قد أمسكت بعضها صغيرة كان يغرزها في الأرض عابثاً من دون هدف محدد، ينظر لها شاردًا وربما قلقًا، آلاس كان يتحرك ماشيًا بضع خطوات من وقت لآخر ناظرًا حيث الطريق الذي سلكه كل من آرسن وإليان منتظرًا ظهورهما، ونظر لألكسندر بهدوء وتحديث:

- تأخرا..

نظر له ألكسندر وتنهّد زامًا شفثيه وتحديث:

- أنا أخشى عودتهم.. أخشى مدى السوء الذي وصلوا إليه ولا أريد أن أعرفه.

أخفض رأسه للأرض وعاد يعبث بالعصا مكملًا:

- أصبحت أحدث نفسي أحيانًا عن ما أنا الآن وإلى أين سأرسو؟ أرضي قد هلكت وكل ما فيها فني، وهذا أشد ما أحاول تجاهله وتناسيه لكنني لا أستطيع فعلها بينما أنا طوال الوقت أرى ذات الواقع يتكرر باختلاف المشاهد، وأشعر بأنني لست وسط عائلي وناسي.. وأتذكر بأنهم قد رحلوا وبقيت أنا كالطير مكسور الجناح الذي تخلى عنه سربه ورحل.. ومن ثم أتجاهل لأتماسك.. وأعود لأتذكر.. أشعر كما لو أنني أركض في دائرة مغلقة، بدايتها هي نفسها النهاية ولا أستطيع الخروج.. ماذا نحن الآن بينما نسير متنقلين من مكان لآخر من دون مرجع ومنزل بأوينا آلاس؟ ماذا نحن بينما ليست هناك عائلة في انتظارنا لنعود قبل غروب الشمس؟ الإنسان بفقدان عائلته يفنى حتى لو كان لا يزال على قيد الحياة وهذا ما أشعر بمرارته بكل بطء وقسوة.. أنا نادم على كل اللحظات التي أمضيتها بعيدًا عن والدي والتي صادف وكأن قدرتي قد رتبها لي في آخر لحظات تواجدهما في هذه الحياة أيضًا..

كان آلاس ينظر له بأسى، دموع ألكسندر قد هطلت منذ منتصف حديثه وهو لا يلومه.. هم فعلاً يسرون من دون هدف وهذا شيء لا يطاق ولا يحتمل، واقترب منه مقرصًا أمامه مجبرًا إياه على التوقف عن العبث بتلك العصا.. مسح ألكسندر دموعه بكم قميصه وهمس بنبرته الباكية:

- أعتذر.. لو كان كلامي قد أزعجك.

نفى آلاس برأسه وتحديث:

- لم تقتل إلا الحقيقة التي نحاول الهروب منها جميعاً يا ألكسندر.. يقال بأن الأقوياء يولدون من رحم المعاناة.. وما نحن الآن إلا عائلة بعضنا البعض.. تربطنا نفس الظروف التي لا نستطيع تغييرها مهما حاولنا.

تحدث ألكسندر مندفعاً:

- لسنا عائلة.. أنت ليس عليك الثقة بي وبإليان لهذا الحد.. أنا حتى لا أستطيع الثقة بنفسى بعد.. فكيف أثق بمن حولي تلك الثقة العمياء؟ ماذا لو فعلت.. واستيقظت يوماً ووجدتني قد خلفتُ وحيداً مجدداً ماذا عساي سأفعل حينها وبكائي وانهارى لن يعيداً شيئاً؟ الأمور تصبح أكثر صعوبة بمرور الوقت.. الحياة ليست كما ظننتها أبداً..

تنهد آلاس وهمس:

- ربما تكون محقاً.

وأردف بنبرة أعلى:

- لكنني لا أعتقد بأنى قادر على فعلها.. أتعلم ماذا؟ أنا دوماً ما أشعر بالسكينة الغربية حال تواجدك حولي بشكل ملحوظ ولا أدري ما السبب، لكن تلك السكينة تريحني، تُشعرنى بالرضا عن نفسى وعن كل ما حولي وأنا أبداً لم أشعر بشيء كهذا من قبل.

نظر له ألكسندر متفاجئاً وأجاب:

- فعلاً؟ أُمى كانت تخبرني بذلك أيضاً لكنى اعتقدت أن شعورها نابع فقط لكوني ابنها.

ابتسم آلاس بشكل خفيف وتحدث:

- أنا ارتحت لك ولإليان منذ أول لحظة رأيتهما فيها ولهذا قررت المساعدة من دون التفكير في العواقب، اعتدت عليكما ولم أرد أبداً أن ترحلا، أتذكر أول مرة عانقتني فيها؟ شعرت فيها بشعور غريب جداً.. كما لو أنك لمست أحلك نقطة في قلبي تحاول إنعاشها.. كان ذلك عظيماً.. صدقتى!

همس ألكسندر:

- يا رجل أنت تجعلنى أشعر كما لو كنت شخصاً خارقاً أو ما شابه.

زادت ابتسامة آلاس وأجاب:

- إنها هبة من الإله أنا متأكد.

ابتسم ألكسندر ليومئ آلاس مؤكداً حديثه، نهض مردفاً:

- ما رأيك في الذهاب لهما؟

نهض ألكسندر تباعاً وتحادث متنهداً بخيبة:

- كنت السبب الأول في مجيئنا لهما من أجل روديون ونيفيل، وكنت أنا أيضاً أول من تراجع.

ربت آلاس على ظهره وسارا حيث دخلا القرية متلفتين يميناً ويساراً، عينا ألكسندر لم تفارق المباني التي لا تزال حديثة، علم بأن الوباء انتشر قبل مدة ليست بالطويلة.. كفه اليمنى تسللت لصدرة متحسناً القلادة متمسكاً بها رغم كون ملابسه تغطيها.

التف ينظر أمامه حال آلاس الذي همس باسم إليان ليراه قادما رفقة أرسن يحملان روديون، توقف حال رؤيته لحالة إليان، ليس بخير البتة.. هو لا يطيق رؤية وجهه الباكي ولا حتى روحه التي تعصر ألماً وبؤساً كما هو الآن يحاول التحامل ليحمل روديون..

آلاس تقدم سريعاً لهما ليتوقفا منزله روديون أرضاً.. ولمس إليان بكفه المرتجفة وجنة روديون منادياً عليه بصوته المختنق لعله يفيق لكن لا فائدة..

استفسر آلاس عما حدث من أرسن وأخبره، بينما ألكسندر لا يزال يراقب عن بعد.. يخشى التقدم أكثر.. تنهد مخفضاً رأسه رافعاً كفيه لوجهه قاصداً فكره بتعب.. استل نفساً عميقاً أخرجه ببطء شديد وتقدم حيث جلس مقابل إليان ينظر لروديون الممدد على الأرض وسأل بهدوء:

- هل هو بخير؟

أجاب أرسن بينما تقدم ليجلس بجانبه ومعه آلاس:

- فقد وعيه، حاولنا إيقاظه أنا وإليان بلا فائدة، أظنه يعاني من فقدان متكرر للوعي ناهيك عن جسده الضعيف.. أشك بأنه أكل طعاماً جيداً للشهور، وأيضاً لا بد وأن وقع الخبر كان صعباً عليه.

تنهد آرسن وأردف:

- لقد مرت عليّ حالة مشابهة لحالته تمامًا كما هو الآن، ولا أتمنى أن تسوء حالته كما رأيت في تلك الحالة.

وهمس إليان فجأة:

- كل ما حدث كان بسبب هذا الوباء اللعين..

نظروا له جميعًا بهدوء، هو محق على أية حال.. وأكمل حديثه بنبرة يائسة من هذا الوضع:

- أكل ما فعلناه سيذهب سدى؟ أبعدهما واجهنا سنفقد كل من أحبيناهم بهذه البساطة؟ وبعدها نموت نحن؟ بعدما دافعنا عن أرواحنا عدة مرات.. حتى أنني...

قاطعه ألكسندر منبهًا:

- إليان..

نظر له إليان ورد بتعب:

- ماذا يا ألكسندر؟ هل تظن بأننا قد ننجو بعد كل ما حدث؟ نحن ضحايا.. هذا المرض ينتشلنا واحدًا تلو الآخر بينما نحن مقيدون رغم أننا لسنا كذلك فعلاً.. اللعنة على هذا العالم.. اللعنة..

وأخفض رأسه قاصدًا تغطية عينيه بكفه ليحجب عينيه عن الرؤية، بينما ألكسندر وآلاس جُل ما ركزا عليه هو آرسن والذي لم يندهش، لكن ذلك لم يردعه عن السؤال حيث سأل بهدوء:

- حتى أنك ماذا؟ إليان.. أفتلت شخصًا ما؟ ذلك سيفسر تصرفاتك مسبقًا..

نظر له إليان بهدوء شديد وكاد يجيب، لكن أنظاره انتقلت لآلاس الذي تحدث ناظرًا لآرسن:

- بالتأكيد لم يفعل! أنت تعلم بالحالة التي وصلنا لها، لذا أرجو منك ألا تأخذ حديث أي منا على محمل الجد.. لو سمحت.

أوماً آرسن مجاريا حديثه، ومن ثم عاد ينظر لإليان الذي أخفض عينيه عن آلاس وتأكد بأن

آلاس لم يقل الحقيقة، وبأن ثلاثتهم يخفون شيئاً ما.. وقطع تفكيره ألكسندر الذي سأل:

- هل سنبقى هنا طويلاً؟

تحدث إليان بضيق:

- لا أطيع البقاء هنا.. لكن روديون ليس بخير.. أعتقد بأن علينا الانتظار.

أوماً آرسن متحدثاً بهدوء:

- لتدارك ما قد تصل إليه حالة روديون من سوء وحسب لنبقى هنا لمزيد من الوقت.

أوماً أجميعاً بهدوء.. جميعهم باستثناء آرسن لا يملكون مكاناً معيناً يرغبون الذهاب له، لذا بقاؤهم هنا أو رحيلهم كلاهما سواء! وانتهى بهم الأمر بقضاء ليلة أخرى لكنها كانت في العراء هذه المرة، جميعهم قد ناموا من تعبهم باستثناء آرسن الذي أخبرهم بأنه سيبقى متيقظاً لمراقبة الوضع وفي هذه المرة إليان لم يجرؤ الحديث بأن الوضع خطير.. لم يوجد حل آخر كما في السابق.. وهو فقط استلقى قريباً من روديون ينظر للملحمة الهادئة بحزن على حاله حتى غرق في النوم فجأة من دون أن يشعر.

أسند آرسن ظهره لأحد جدران المباني حالماً تأكد من نوم ثلاثتهم مظهرًا تعبهِ وأخيراً.. طوال الوقت كان متماسكاً يحاول إظهار كونه لا زال يمتلك الطاقة للمزيد لكن ذلك لم يكن حقيقياً، هو يدرك بأنه في حاجة للراحة لكنه لم يفعل.. شرب القليل من الماء وأراح رأسه على الجدار، رفع رأسه.. ساء الليلة صافية جداً كما أن الجو بارد.. تنهد ونهض بتعب باتجاه حقيقته يخرج منها بعض الملايا، كان مستاءً كونها قد صنعت لتغطية الموتى بينما هم لم يكونوا كذلك، كان فقط شعوراً بالذنب نحوهم كونه يقوم بتغطيتهم بها لكنه لم يجد حلاً أفضل!

عاد ليجلس مغطياً جزءه السفلي هو الآخر مكتفياً ذراعيه لصدره مفكراً بالكثير والكثير، ما ينوي فعله في الغد والذي ستحكمه حالة روديون، دراسته وابتكاراته، والأهم من ذلك ألكسندر والذي بسببه كان مصراً على عدم تركه.

مراقبة آرسن للوضع كانت مراقبة من قبل إيفان الذي جاء للاطمئنان على روديون عن بعد.. كان قلقاً ومطمئناً في نفس الوقت، لم يرَ نيفيل رفقتهم وهذا ما أقلقته عليه.. أراد لو يسأل

عنه.. لكنّه لم يرغب الظهور أمام آرسن مجدداً بعد الانطباع العظيم الذي تركه آرسن عنه وعن أسرته لديه، والذي جعله يكرههم أكثر!

عقد ذراعيه يمشي بكفيه على ذراعيه يحاول تدفئة نفسه وقرر الرحيل.. وقبل أن يفعل هو نظر نظرة أخيرة لروديون.. ومن ثم لألكسندر النائب وتنهّد.. ألكسندر يبعث الراحة الكبيرة في قلب أي شخص ينظر له مجرد نظرة..

كان متحيراً.. هل عليه الثقة به فعلاً أم أن ما فعله يعد غباء؟ لكنه بالفعل استمع لطلبه ووجوده هنا هو أكبر دليل لكن ماذا بعد ذلك؟ هل عليه تصنيفه ضمن أعدائه الذين حتم على نفسه قتلهم؟

تنهّد والتف، تاركاً القدر ليأخذ مجراه، اعتقد بأن دوره قد انتهى ها هنا، ولا أحد قد يعلم بما يحمله المستقبل بجعبته.

بعد الفجر وقيل الإشراق كان الجو ساكناً جداً، ومضات من أحداث الماضي تشكلت على هيئة كابوس، والدته التي ماتت أمام عينيه، نار القرية، لحظة طعن مانبوس، صراخ ألكسندر وقتل آرسن لخائن أسرته وموت نيفيل وأخيراً انهيار روديون.. بشكل متسلسل وأصوات متداخلة مزعجة وصورة مخيفة مضمحلة،

شهق إلان مستيقظاً واعتدل جالساً بسرعة.. نظر لكفيه المرتجفتين بشدة وسط أنفاسه السريعة.. وحين قام بتغطية وجهه بكفيه ليهدئ من روعه تفاجأ من دموعه المنسابة على وجهه لا إرادياً.. كان خائفاً بارد الأطراف بشكل مقلق.. شعر بالشفقة على نفسه وبالخزن عليها.. تمنى لو يستطيع احتضان روحه التي شعر بمقدار كسرتها تلك اللحظة.. كان ضائعاً لكنه فجأة تذكر روديون.. نظر بجانبه بسرعة ولم يجده وحينها خوفه قد انقلب رعباً، وأنفاسه السريعة ازدادت سرعة.

نفض بشكل عشوائي ناظرًا حوله ليرى آرسن وألكسندر وآلاس ما زالوا نائمين.. مسح دموعه بكفيه اللتين لا تزالان ترتجفان بشكل واضح ومشى بسرعة لمكان واحد كان متأكداً من أن روديون قد ذهب إليه

وحين وصل وجده، جالسًا عند شجرة مقابلة لشجرتهم، ضامًا ساقيه لصدره بذراعيه مخفضًا رأسه يخفيها بين ركبتيه وبجانبه بضع أقمشة صغيرة من القطن.. هذأت أنفاس إليان.. نظر لجنّة نيفيل ليرى وجهه المكشوف ويدرك بأن روديون هو من فعلها باستخدام تلك الأقمشة.

أغمض عينيه لثوان لتسكن روحه في لحظة مرور نسيم هواء قام بتحريك الأجراس لتصدر أنغامًا.. واقترب منه بعدها بهدوء.. جلس بجانبه يسند ظهره للشجرة كما روديون وهمس ناظرًا له:

- أنت بخير؟

رفع روديون رأسه ليدرك إليان بأنه قد بكى لوقت طويل جدًا بسبب ملامح وجهه.. تساءل عن وقت استيقاظه فعلاً.. اقترب إليان منه قليلاً بجلسته وهمس مجددًا:

- أعلم أن الأمر صعب جدًا روديون.. أعلم بأنك تشعر كما لو كنت تحتضر، وبأنك لا تطيق نفسك وتتمنى لو تستطيع اللحاق به.. لكنك لا تستطيع اعتراض القدر أبدًا.. مهما حاولت ومهما فكرت.. لن تجد حلًا سوى التعايش مع هذا القدر بدلًا من طعنه لك أكثر لو حاولت مواجهته. تنهد إليان وتحدث:

- كنت مسرورًا حين رأيت نيفيل ورأيتك مجددًا.. كان شيئًا أسعدني بعد سنوات حزن ووحدة طويلة.. لكن سروري لم يشأ الظهور منذ أن علمت بأن نيفيل مصاب.. وبأنه مات أمام ناظري.

انكمش روديون على نفسه أكثر ناظرًا للأرض ليعثر إليان شعره بلوم لنفسه على ما قاله من حماقة.. هو يحاول التخفيف عنه لا زيادة الأمر سوءًا عليه! وتحدث بينما اقترب أكثر ونظر له عن قرب لأمسًا ذراعه بكفه:

- لم أقصد إيلامك أكثر روديون.. أنا أعتذر لم أقصد قول ما قلت.. لساني مفلوت ولم أفكر في كلامي..

رفع روديون إحدى ذراعيه فوق ركبتيه ساندًا رأسه عليها.. تنهد إليان زامًا شفثيه ناظرًا للأرض لكنه عاد ينظر لروديون مجددًا حين تحدث بصعوبة وصوت مبجوح:

- أصبحت أعاني من فقدان للوعي بشكل مفاجئ منذ أشهر.. وكان نيفيل يحاول قدر استطاعته أخذني للأطباء للعلاج، لكن الأطباء باتوا يخافون من أي مريض خشية إصابتهم بالوباء، فبات هو من يعتني بي ويتعامل مع ما أصابني ويحاول توفير الطعام رغم أن هذا كان صعباً.. خصوصاً بعدما دخل الوباء للقريّة وهرب الجميع.. وكنت كلما أفقت أبحث عنه وأناديه فأجده على الفور، لكن هذه.. كانت أول مرة أناديه فيها ولا يجيب عليّ.. كان عائلتي الوحيدة التي خسرتها دفعة واحدة يا إيلان..

كاد إيلان يتحدث إلا أن روديون أكمل قبلها:

- أعلم بأن حزني لن يغير شيئاً ولن يعيده للحياة.. لكن لمن سأعيش؟ ولماذا وهو كان كل شيء بالنسبة لي؟

نظر لإيلان مردفاً:

- لو لم ينتشر هذا المرض لما مات.. لكننا نعيش بسعادة حتّى ولم أكن لأصاب بهذا الضعف، ولما كانت العائلات لتضيق ولا الأرواح لتموت.. أيعقل بأننا مجرد ضحايا ننتظر دورنا لنموت؟ ظل إيلان ينظر له بهدوء.. روديون يفكر كما هو يفكر بالضبط.. أخفض رأسه بينما أكمل روديون متحدثاً:

- الطاعون ليس مجرد مرض يسلب الأرواح وحسب.. كان وباء للمشاعر والعلاقات كذلك..

تنهد روديون وأكمل:

- لا أستطيع التعايش من دون أخي.. لن أستطيع معها حاولت.. كلي كان هو.. وحتى لو عشت بعده.. أنا ميت.

تحدث إيلان بعدما أطبق شفتيه يمسك نفسه عن البكاء:

- إذا هل تريد إخباري بأنك ستبقى حيّاً حتى تصاب بالوباء وتموت؟

نظر لعيني روديون الحمراوين اللتين كانتا تنظران له بقرار واضح فأردف:

- إذا أنا أيضاً سأفعل.. لقد جئت لأجلك وسأبقى معك.. لقد كانت وصية شقيقك وكلماته الأخيرة لي وأنا وعدته.. بأبني سأكون وفيًا لسؤاله حتى أموت.

زم شفتيه وأكمل باندفاع:

- وليس فقط لأنني وعدته!! بل لأنك صديق طفولتي الوحيد الذي وأخيراً رأيته.. والذي لا أريد أن أبتعد عنه مجدداً.. روديون هل تفهمني؟ لم آتخاذل عن المجيء لك رغم أنني أمقت هذه القرية مقتاً عظيماً، لأن حبي لك فاق ذلك المقت.. لذلك سأبقى معك حتى لو اضطرت للتلخيل عن بقايا حياتي والاستسلام عن المضي والمحاربة لأجل العيش.. أريد الشعور بتلك الأيام رفقتك مجدداً.

ظل روديون ينظر له لثوان بهدوء قبل أن يغمض عينيه ساعماً لدموعه بالهطول مجدداً وابتسم بخفة، عاد يفتحهما ليرى ملامح إيلان المتفاجئة.. فرق شفتيه وتحدث بنبرته المنهكة:

- لطالما كنت رائئماً ولم تخيب أبداً نظرتي التي احتفظت بها في عقلي عنك.. لا أعتقد بأنك عشت حياة تقل سوءاً عن حياتي منذ رحيلك مع والدك بعدما حدث هنا.. لكنك رغم هذا بقيت تحاول العيش يا إيلان؟ كيف استطعت التفكير بهذا الشكل بعد كل ما حدث؟

أوماً إيلان وأفصح:

- لم أنس كل ما حدث.. لكن الحياة لم تتوقف على حزني.. لقد كانت قوية حتى بعد أن قامت بنهي كل ما أملك بشكل صعب ولم تتعاطف معي.. بل على العكس.. زادني سوءاً يكاد يقتلني من كثرة التفكير فيه فعلاً.

تنهد روديون مرخيّاً رأسه على الشجرة وهمس:

- توأسيني كما لو كنت صحيحاً.. بينا أنت لم تستطع مواصلة نفسك والتصالح معها!!

أسند كفيه على الأرض ناهضاً ليسأل إيلان:

- إلى أين؟

نظر له روديون وتحدث:

- إكرام أخي.. سأدفنه.. هذا كل ما بوسعي فعله وحق من حقوقه علي.

نهض إليان بجانبه ليستمع لروديون الذي أكمل:

- تحت أجراس موسيقانا سيقبع.. تقابل أفضل حدث وأسوأه، لعل هذا يخفف وطأة الأمر عني لو حتى قليلاً..

ألكسندر كان واقفاً مقابل قرار إليان وروديون ببقائهما هنا مصدومًا، بينما أرسن يقلب ناظريه بين كل من يتحدث بتملل..

تنهد ألكسندر قبل أن ينس هدهوء ناظرًا لإليان:

- أنت الآن تجربني بأنك لا تريد الاستمرار، وبأنك ستبقى هنا حتى يتشلك المرض وتموت..
أوماً إليان بحزم مظهرًا رغبته البحتة للبقاء ليتحدث ألكسندر بعدها مندفعًا:

- لكنني لن أسمح لذلك بالحدوث!

لف وجهه يحاول تهدئة نفسه حين بدأ يغضب، إليان هو من حثه على ترك القرية والهروب من الوباء، والآن هو من يطلب البقاء ليواجه! ونظر لآلاس الذي تحدث:

- لا أفهم دافعكما في الحقيقة، لكنه خاطئ أيا كان.

نظر آلاس حوله وأردف:

- المنازل ليست آمنة للبقاء فيها.. كما أن مصادر الطعام تعتبر.. حسناً في الحقيقة هي لا تعتبر وإنما معدومة.. بقاؤنا سوياً هو أفضل حل..

تحدث روديون هدهوء:

- أنا لن أترك هذه القرية أبداً.

تحدث ألكسندر مندفعًا:

- هذا انتحار!

ربت آلاس على كتفه وتحدث إليان:

- ألكسندر.. أنت بنفسك تريد الاستسلام، لماذا لا زلت تظهر نفسك بمظهر القوي؟

نظر له ألكسندر متفاجئاً ليكمل إليان:

- أنت، آلاس، روديون وأنا.. جميعنا لن نحتمل المزيد.. حملنا بما لا يوافق أعمارنا ونحملنا وكانت النتيجة سيئة للغاية كما ترى..

استل نفساً وأردف:

- لذا أرجوك.. دعني على راحتي.. لأحافظ على بقاياي ولأللم شتات نفسي.. حتى لو كان لأيام قليلة.

تحدث ألكسندر:

- آخر شخص فكرت في أنه سيستسلم عن المضي كان أنت.. رغم ذلك لا أستطيع تركك..

صمت لثانية وأردف بضيق:

- سأبقى معك، مع أي لم أقتنع ولو قليلاً برأيك.. وآلاس؟

نظروا جميعاً لآلاس ليتحدث:

- أرجوكم لا تنظروا لي بهذا الشكل.. سأكون مجنوناً لو رحلت وحيداً بدونكم!

نظر ألكسندر لروديون وتحدث:

- طبعاً لو كان هذا لا يزعجك سيد فيريتاس!

تحدث روديون:

- رغم أن هذا سيحد من الموارد أكثر، إلا أن زيادة الأنس ليست بالشيء السيء.

تنهد آلاس:

- وقع جديد انضم لنا..

تبادلوا النظرات فيما بينهم ليقاطعها آرسن الذي سأل:

- انتهيتم؟

نظروا له جميعاً ليتحدث ألكسندر:

- آه أجل، وشكراً لك أيها الأمير على بقائك معنا وتحملنا كل هذا الوقت.

تحدث آرسن مبسماً:

- ألكسندر أرجوك.. لماذا تتحدث كما لو أنني سأتركك هنا لتموت فعلاً؟



الفصل الثامن

سلام | إيلاريون بينفيتو



"يمكن العثور على السعادة حتى في أحلك الأوقات إذا تذكر المرء فقط أن يضيء النور.."

- ألباس دومبلدور

..

حرك ألكسندر رأسه بشكل خفيف مظهرًا استنكاره دلالة على طلبه لأرسن بالتوضيح ليتحدث أرسن:

- أتعلم؟ لقد كنت مؤمنًا.

كاد ألكسندر يتحدث.. لكن أرسن مشى باتجاه خيله يفك قيده عازمًا الرحيل بينما رسمت شفثيه ابتسامة خفيفة وحين فعل، عاد ليحمل حقيبتة ناويًا وضعها على خيله، حينها سأل ألكسندر:

- مؤمنًا بماذا؟ هل بإمكانك التوضيح لي؟

تحدث بينما توقف مقابله:

- على والدي رؤيتك في أقرب وقت.. لأثبت له بأنها لم تكن رغبة وهمية وبحثًا بلا طائل! وحينها ستفهم كل شيء.

تنهد ألكسندر بحيرة ليتحدث أرسن:

- الأمر يخص والدك.

باتت عينا ألكسندر مهتمة.. وامتنى أرسن خيله ناظرًا لألكسندر الذي ظل ينظر له بذات هدوئه حتى سأل:

- لماذا ليس هنا؟ بإمكاننا الحديث بمفردنا.

أجاب أرسن:

- هذا ثالث يوم لي خارج القصر يا ألكسندر والأخير وقد ضاعت ساعات منه.. إنه الوقت

الذي حدد لي، ولا أحد يعلم عن مجيئي هنا سوى والدي.. وأيضاً...

تنهد وأردف بنبرة أخفض:

- لو علم الملك بأنني جئت إلى هنا بالذات من دون علمه..

تنهد ألكسندر مومناً بتفهم متأماً أن يسأله عن كل ما يعرفه عن والده.. لكن ليس أمام الجميع، التف للثلاثة المتبقين بينما زم شفتيه ليربت آلاس على كتفه مبتسماً ليبتسم هو بدوره بخفة وطلب:

- رجاء، لتبقوا أحياء حتى أعود..

ابتسم كل من آلاس وإليان على طلب ألكسندر الغريب والذي أضحي مناسباً للموقف فعلاً.. بينما نظر له روديون بملامح منفرجة نوعاً ما.

وسأل ألكسندر الأمير:

- حين ننتهي وأود العودة، بالتأكيد لن تجعلني أقطع كل هذه المسافة مشياً صحيح؟

ضحك آرسن وأجاب:

- أكيد لن أفعل.

وعاد ينظر لأصدقائه لثوان قبل أن يتنهد محرّجاً وتحدث:

- سيبدو هذا طفولي لكن، دعونا نقطع وعداً.. لا يخلفه أيّ منا، بأن نبقى أحياء حتى نجتمع مجدداً.

ورفع قبضته تجاه إليان باسماً بنصره ينظر لعينييه بقلق، ورفع إليان بالمقابل قبضته باسماً بنصره هو الآخر يعانق بنصر ألكسندر ورد مبتسماً:

- وعد، لا تقلق علينا.

وقطع ذات الوعد مع آلاس الذي بدا في هذه اللحظة متأثراً ولم يعلم لم شعر بسبب هذا الوعد أنه يودع ألكسندر للأبد، ولم يعلم ألكسندر إن كان يجدر عليه قطعه مع روديون فهما لم يصبحا

أصدقاء بعد، لكنه وجد نفسه يوجه بنصره له بعد آلاس، وروديون أتم الوعد رغم أنه شعر بالغربة من أسلوب الوعد الطفولي وهو يكاد يتم سنته العشرين وهمس بينا يتم وعده:

- لا أصدق بأنني أفعل هذا.

ضحك ألكسندر فاهماً كيف يشعر، هو أيضاً شعر بنفس الإحساس في البداية، ومن ثم تقدم بتردد راكباً خلف أرسن الذي سرعان ما تحرك منطلقاً بسرعة، والتف آلاس لخلفه ناظراً لروديون وهمس بحرج:

- آه... أهلاً.. مجدداً.

ومن ثم عاد ينظر للطريق الذي سلكه أرسن وألكسندر، وشم بصمت شعوره الداخلي بكونه غير مرغوب فيه الآن بجانب إليان وروديون.

عند ألكسندر وأرسن

كان ألكسندر متمسكاً بكتفي أرسن غير راغب في السقوط من على خيل يركض بسرعة كبيرة لم يسبق له أن شعر بها قبلاً، أرسن كان هادئاً مركّزاً على طريقه، بينا من حين لآخر كان يخرج بوصلة ليضمن صحة طريقه لذلك لم يشأ ألكسندر أن يتحدث حتى قفز الخيل بقوة ليحاوط ألكسندر أرسن بذراعيه متمسكاً به بقوة وصرخ بفزع:

- اللع... لماذا أنت متهور لهذا الحد!!

ضحك أرسن بينما تحدث:

- تحدث بأرجيتك ألكسندر لا بأس! ثم إنني أحاول ضمان وصولنا قبل الغد.. حين قابلتك أول مرة قضيت ساعات طويلة في الطريق أما الآن فأنا لا أعلم كم سنستغرق.

تنهد ألكسندر، الوقت مرّ سريعاً وها هو ذا غروب الشمس قد أتى بعد الكثير من الطرق الوعرة والمسدودة والمدمرة، كان مصدوماً لرؤيته تلك الطرق متسائلاً عن سبب وصولها لهذا السوء!! وحين سأل أرسن عن سبب عدم إصلاحها هو لم يجب.. ببساطة لأنه لا يعلم لماذا لم

يتخذ الملك إجراء كهذا!

توقف آرسن بعدها بفترة بعدما عمّ الظلام المكان بجانب كوخ من حجر، كان تابعا للأسرة وواحدًا من أكوأخهم المتوزعة بمناطق مختلفة في محيط واسع مدروس من القصر، وظل ألكسندر ينظر حوله للمكان مستغربًا ليتحدث آرسن:

- أكره هذا.. لن نستطيع الوصول اليوم مع الأسف.. سنبقى هنا الليلة.. ليس من الآمن السير ليلاً.

ونزل من على الخيل ليتبعه ألكسندر الذي سأل:

- ما هذا المكان؟

ربط آرسن خيله بأحد الأشجار واضعاً له بعض الطعام مثبّثاً عليه وأخذ حقيقته ودخل الكوخ مشعلًا شعله ليتبعه ألكسندر، وأخرج آرسن خريطة المملكة من حقيقته وفردها أمام ألكسندر وأشار لموقع القصر متحدّثاً:

- انظر، هذا قصر الأسرة، وأترى هذه الدائرة المرسومة حوله؟

أوماً ألكسندر ليردف آرسن:

- لو جئنا للواقع ستجد أن هذه الدائرة شغلت جزءاً كبيراً من المملكة من حول القصر الذي يعتبر مركزها.. وتم توزيع عدة مقرات تابعة لنا فيها بشكل سري ومدروس.. وهذا أحدهم.

وجلس آرسن على أحد الأرائك بعدها تاركاً ألكسندر في دهشته لبعض الوقت، وساد الصمت حتى تحدث آرسن:

- لا بد وأنك جائع؟

كان ألكسندر متوتراً أكثر من كونه جائعاً، ولأن توتره كان الغالب فقد همس رغم جوعه:

- لا بأس.

ابتسم آرسن مخرجاً بعض الطعام وقدمه له وأرغمه على الأكل.. وألكسندر طوال الوقت انتظر أن يتحدث.. بأي شيء يخصه، عنه وعن والده.. لكن آرسن ظل يكتفي بالحديث عن كم

أن الدنيا مليئة بالتفاصيل الجميلة التي لا يلاحظها أغلب الناس.. وألكسندر كان يجاريه بهيمته بينما عقله كان منشغلاً بحقيقة مكنونه ومن يكون فعلاً.. وحال انتهائهما تحدث آرسن:

- بإمكانك النوم على الفراش.. سأبقى أنا مستيقظاً.

تحدث ألكسندر بغضب طفيف جراء تجاهل آرسن للتوضيح:

- أيها الأمير! ما زلت لم أعلم سبب إصرارك على أخذني معك! أخبرني بأنك تعرف الكثير عن والدي.. لقد جئت لأنني أريد أن أعرف ولأنني لم أرد إيقاعك في أي مشاكل مع عائلتك! سأله آرسن:

- ألكسندر، ألم تستوعب؟! ورغم أنني جلبتك هنا ما زلت لم تتبه؟

عقد ألكسندر حاجبيه، ونظر آرسن لعنق ألكسندر حيث سير قلادته وتحدث:

- أخرج قلادتك.

وحين فعل ألكسندر، نظر لها بتمعن وكيف كان الذهب الخالص يلمع بشكل أخاذ بسبب الشعل المنتشرة بالمكان، ومن ثم نظر لآرسن الذي تحدث:

- والدك كان الابن الثاني، كان أميراً، يدرس الطب ويستطيع الكتابة كما بقية الأسرة، كان من المفترض أن يكون هو الملك لكن الخلافات الكبيرة التي حدثت آنذاك، جعلته منسياً من قبل تاريخ الأسرة الحاكمة.. لوريس.. أليس هذا هو اسم والدك؟

تنهد آرسن بينما رأى نظرات ألكسندر المصدومة، وأخرج ألكسندر الرسالة التي تركها له والده حين تذكر أمراً وفتحها وقرأ اسمه المدون بالأسفل بعينيه لمرة وكرره بصوت مسموع:

- ألكسندر.. بينفيتو.. كيف لم أنتبه من المرة الأولى..

تنقل بعينيه بين الرسالة والقلادة واستمع لآرسن الذي أكمل:

- حدث الكثير.. الكثير من الأشياء التي أود أن أعرفها ولم أستطع.. لكنك كنت الشيء الأكبر بعد والدك.

صمت لثانية وأكمل:

- الفلادة التي تمتلكها.. عائدة للأسرة الحاكمة، ولي العهد لوريس.. كان شقيق والدي، وهذا يعني بأنه أيضًا شقيق الملك الحالي.

نظر له ألكسندر حينها ليكمل آرسن:

- والدك.. أحب امرأة من عامة الشعب ورغب الزواج بها، وكان هذا كالخروج على عادات وتقاليد الأسرة، حيث كان من المفترض أن يتزوج بأميرة من نفس طبقته.

همس ألكسندر:

- كانت أمي.. فيوليت.. صحيح؟

تنهد آرسن وأوماً مكملًا:

- لكن المشاكل في سياسة المملكة وفي علاقاتها مع الممالك المجاورة طرحت بهذا الموضوع جانبًا لبعض الوقت.. شنت حرب بين هذه المملكة ومملكة مجاورة بعدما قامت بإعلان الحرب ضدنا، لم تكن المملكة في أتم استعدادها ولذلك.. فقد خرج جميع رجال الأسرة للقتال مع الجيش، وانتصرنا في الحرب، لكن الخسائر كانت مهولة، فقد مات الملك ويلفريد، ومات الابن الأول وولي العهد أدريان، والعديد من رجال الجيش، وسادت الفوضى في المملكة، والدك حين عاد من الحرب لم ينتظر، لأنه كان يعلم بشأن رفض الجميع أفكاره ومعتقداته، قام بترك السلطة والمنصب واختفى مع والدتك، ولم يتبق للمنصب سوى الابن الثالث.. جوليان.

همس ألكسندر:

- الملك الحالي..

تحدث آرسن:

- بالضبط، ومنذ اللحظة التي أمسك فيها الحكم.. صرح بشأن موت الملك وشقيقه الأكبر.. وأيضًا...

سأل ألكسندر:

- والدي؟

نظر للملامح أرسن الهادئة لبيتسم بسخرية هامسًا:

- بالطبع.. يا له من خروج على القانون قد دمر العالم!!

أكمل متحدثًا بضيق:

- وتناسى كونه شقيقه الذي لا زال حيًا يرزق.. ولهذا أنت جئت إلى هنا من دون علمه، لأنه لا يريد لوالدي أن يظهر مجددًا!

تحدث أرسن:

- اسمع ألكسندر.. كل ما حكيته لك بشأن والدك هو مجرد استنتاج ونتيجة بحث طويل قمت به.. الحديث بشأن هذا الأمر محرم في القصر.. ولم يخبرني أي شخص هناك بأي شيء.. لذلك ربما أكون قد أصبت وربما لا.. تلك الحرب قد حدثت بينما كنت صغيرًا جدًا ولم تكن أنت قد جئت للحياة بعد.. هل تفهم؟

تحدث ألكسندر:

- لكن النهاية نفسها.. لقد تبراأتم من والدي!

وقف ألكسندر وتحدث:

- وتريدني أن آتي معك؟ وتأمل موافقتي بهذا الشكل؟

تحدث أرسن بهدوء:

- القلادة التي تحملها، هي قلادة متوارثة.. لا يرتديها إلا الملك.. والدك أخذها معه ليضمن حقك.. لكنها ليست لك الآن أتفهمني؟

تحدث ألكسندر:

- لو سمحت.. هلا أعدتني لأصدقائي؟

نادى أرسن:

- ألكسندر!

وبالمقابل رد ألكسندر منفعلاً:

- لن أستمع لشيء بعد! ألا تستطيع تخيل ما سيحدث لي لو أنني فعلاً ذهبت معك و...
مرحباً أنا ألكسندر ابن لوريس فرد عائلتكم الذي تخلّيتم عنه لأنه تزوج بعامية.. أتمنى أن تعتنوا
بي! هذا ما تريد مني فعله.. صحيح؟ صحيح؟

أخذ ألكسندر نفساً وأكمل:

- وماذا ستكون ردة فعلهم؟ أه يا عزيزي أهلاً بمكانك الحقيقي؟ الآن سنستطيع النوم
براحة بعدما وجدنا فردنا المفقود؟ هل أنت مجنون؟!

أخذ نفسه وتحدث:

- أرجوك.. أعدني لأصدقائي.. لقد عرفت كل ما كنت أريد معرفته، وأما عن القلادة..
فأنت مخطئ.. إنها لي.. عمك لن يموت بدونها وها هو الملك من دون أية مشاكل.. أما أنا فإنها
الذكرى الوحيدة لوالدي، لذا لا تتوقع مني أن أعطيها لك.

ظل ينظر لآرسن الذي بدأ يبحث عن شيء في حقيبته منتظراً استجابته ليتحدث:

- لو لم ترد إعادتي فأنا أنفهم بأنك تريد الوصول للقصر بسرعة.. سأمشي أنا حتى أصل..
أملك ذاكرة قوية لذا اذهب لعائلتك من دون أن تقلق علي!

التقط عصا وقام بإشعالها من الشعل التي أوقدها آرسن ناوياً العودة متجاهلاً نظرات آرسن
المصدومة منه.. وألكسندر لم يتوقع أي ردة فعل من آرسن ولا حتى تمسكاً بسيطاً منه بعد سماعه
لرأيه والذي يعد كافياً لردعه عن أخذه معه.

نظر لآرسن وتحدث:

- شكراً لأنك أطلعتني على كل شيء.. شكراً على كل شيء فعلته لأجلي أنا وأصدقائي فعلاً.
نمض آرسن سائلاً:

- هل صار مستحيلاً أن تأتي معي؟

تحدث ألكسندر بيننا ولاه ظهره واتجه للباب وفتحه عائداً من الطريق الذي سلكاه ناظرًا حوله:

- انس الأمر.. يا أيها الأمير..

ولم يلبث حتى سمع خطوات أرسن السريعة القادمة من خلفه.. ولم يكذ يلتف حتى شعر بذراع أرسن التي قيدته مسقطه العصا من كفه وبشيء يوضع على أنفه وفمه يمتلك رائحة غريبة لم يعطه الفرصة ليصرخ.. اتضح له فيما بعد بأنه قطن مشرب بسائل.. وحاول إبعاد أرسن عنه حينما شعر به يسحبه لداخل الكوخ مجددًا واستمع لأرسن يتحدث:

- لقد كان آخر خيار أرغب فيه.. لكنك لم تترك لي سواه.

أبعد أرسن كفه عن وجه ألكسندر بعدما تأكد من استنشاقه للمادة الموضوعة في القطن ليحاول ألكسندر الحديث بينما شعر بقوته تسلب منه، وبالتالي لم يخرج صوته إلا مخمليًا.. لكن أرسن قد فهم ما يريد قوله ليتحدث بينما شعر بارتخاء جسد ألكسندر بين ذراعيه:

- اطمئن.. إنه مهديئ سيجعلك تنام لبعض الوقت.. ستكون بخير أنا لن أؤذيك.

وشعر ألكسندر بالتفاف الدنيا من حوله وبقدميه اللتين لم تعودا تحملانه ليسقط ويمسكه أرسن بحرص أكبر واضعًا إياه على الفراش، مدخلًا القطن في حقييته مجددًا.

وعاد لألكسندر مخرجًا القلادة من ملابسه يتفحصها ويقبلها بين كفيه متأكدًا بأنها القلادة الأصل.. وأدخلها في ملابسه مجددًا.

عند مخزن المحاصيل

تحدث إليان مشيرًا للوح الذي طرحه أرضًا مسبقًا مع أرسن:

- هذا اللوح هو ما كان يسد الباب عليك.

تنهد روديون، كانوا في طريقهم للمخزن حيث أنه المكان الوحيد الآمن بشكل مؤكد حاليًا.. دخل ثلاثتهم ليغلق آلاس الباب كونه آخرهم، وتلقائيًا اتجه روديون لحقيته هو وشقيقه مخرجًا

منها بعض الطعام الذي يكاد يفسد وقام بفرزه وسط الدائرة التي صنعوها بجلوسهم وتحدث ناظرًا لهما:

- أعتذر.. أنا لا أمتلك سوى هذا الطعام.

ابتسم آلاس بينما تحدث مع إليان الذي كان مستاء لرسميته:

- لا بأس حقًا!

التقط كل منهم ما كان يشعر بأنه قادر على ابتلاعه من دون أية مشاكل، وأخذ آلاس من الخيار الصغير الذابل مقتنعًا نفسه بأن لا بأس فعلاً.. وتمنى ألا يشعر بالآم المعدة لهذه الليلة.

تنهد إليان الذي كان يشعر بانعزال آلاس عنهما وحاول فتح بعض المواضيع وانتهى به الأمر بالحديث عن ألكسندر سائلًا:

- أنا أنساءل عما كان يقصده الأمير بخصوص والد ألكسندر.

نظر له آلاس وسأل:

- هل تعتقد بأن للأم علاقة بقلادته؟

نظر له إليان مستغريبًا وسأل:

- أي قلادة؟

نظر له آلاس همدوء مستوعبًا بأن إليان لم يعلم بعد وتحدث:

- إلهي.. لم تكن هناك فرصة ما لأخبرك.. اسمع..

وشرع يحكي له كل شيء بخصوص القلادة وشكلها ورسالة الوداع وأنهى حديثه قائلاً:

- أظن بأن ألكسندر ليس مجرد شخص عادٍ.

ولم يستطع إليان الرد لدهشته الكبيرة، وقضى تلك الليلة بينما خلدوا للنوم يفكر طويلاً مرارًا وتكرارًا حتى ألمه رأسه.. لكنه لم يستطع إيقاف أفكاره.. يتساءل عن حال ألكسندر الآن تارة، وتارة أخرى يحاول ربط الأحداث المريبة بداية من هجوم البربريين على قريته وانتهاء بظهور

هذا الأمير الذي لم يرحل إلا بالكسندر، وفكر في والده كثيرًا وتساءل أكثر.. لماذا قام بشجاره وإخراجه رغمًا عنه من المنزل صباح ذلك اليوم ليتعد ويخرج من القرية.. هل كان هذا تحليًا صريحًا عنه؟

توقفت أفكاره لحظة شعوره بروديون الذي نهض فجأة ليدرك بأنه هو الآخر لا يستطيع النوم.. التف ينظر لظهره وكاد يحادثه إلا أنه قد تراجع حين رآه يجلس متربعا مقابل حقيبة شقيقه وحاجياته.. مرت عدة دقائق حتى بدأ بترتيبها بهدوء وهذا الهدوء هو ما سمح لآليان بالاستماع لبكائه الذي كان خافتًا جدًا.

وشعر بالآلم لأجله.. كيف أنه لا يظهر مشاعره أمامه هو وآلاس.. بينما من داخله هو منهار.. ونهض تلقائيًا ماشيًا باتجاهه حيث قام بالجلوس على ركبتيه بجانبه وعانقه من الجانب وهمس:

- لا بد له أن يكون فخورًا بتماسكك روديون.. لم يمت.. إنه يعيش داخلك.. في قلبك وعقلك، في كل ذكرياتك كان وسيكون الذكرى الأمل والأفضل.

أوما روديون مبتسمًا محاولًا تمالك نفسه، بينما من مرأى آخر كان آلاس يراقبهما بعينين لمعتا بشدة من دموعه..

عند آرسن

على مطلع الفجر كان آرسن على خيله يسير بينما أجلس ألكسندر الذي لا زال مخدرًا أمامه مريحًا رأسه على صدره مثبتًا إياه بحبل قام بربطه حول خصره حتى لا يسقط.. وعلى الرغم من انزعاجه من ضربات رأس ألكسندر المتتالية على صدره بسبب حركة الخيل إلا أنه لم يمتلك حلاً آخر غير الصبر حتى وصل وأخيرًا بعد عشر ساعات.. ولا زال ألكسندر نائمًا.

وكان القصر بمكان معزول عن بقية الأبنية السكنية بمكان بعيد، ومن خلفه تواجد النهر الواسع بعدة أشجار، وكان على الطراز القوطي حيث تواجد العديد من أجزائه مع نهايات مدنية، وكان مقسمًا للعديد من الأجزاء، فحين تدخل من البوابة الضخمة تجد قسمًا لمكوث الجنود والحرس، ومن ثم حديقة ضخمة تصل في النهاية لقسم العاملين والعاملات والمطبخ، وللقصر

المتصل من إحدى قاعاته الرئيسية بممر طويل يوصل لقسم السجن، ويمتلك ذلك الممر بوابتين من حديد ثقيل على كلا جانبيه، أما عن السجن فكان بمكان منزوٍ عن هيكل القصر ومعزول، ويحده النهر من أحد جوانبه وبه طابق أسفل الأرض وطابق علوي وله مدخل رئيسي غير الآخر المتصل بالقصر.

أما عن القصر فكان ذا أربعة طوابق وقبو، أول طابق تواجد فيه بهو ضخم ودهاليز كثيرة توصل لداخل وخارج القصر وتوصل كذلك لأقسامه المختلفة والمطبخ، وهناك قاعات الاجتماع والطعام والاحتفالات وعرش الملك مع جزء كبير من الطابق خصص كمضيفه مع غرف عدة مجهزة لأي ضيوف.

وفي الطابق الثاني تواجد جناح الملكة إيريني وجناح الملك جوليان وجناح ولي العهد إيلاريون وجناح شقيقه الصغير سيلفانوس.

وفي الطابق الثالث تواجد جناح الأمير فيتالس وجناح الأمير آرسن وجناح الأمير ليام وهذا الطابق بالتحديد كان كالطابق الأول من حيث امتلاكه للدهاليز العديدة التي تربط أقسام القصر ببعضه.

وفي الطابق الرابع تواجد جناح الأمير ليرهام، وجناح الأمير لوريس.

ومن ثم سقف القصر الذي امتلك قبة نصف دائرية من زجاج تغطي مساحة البهو وتكشف السماء في أجزاء وأجزاء أخرى كانت مزخرفة لإضفاء طابع الجمال والمثالية أكثر.

وأما عن الأميرة إيلينا ابنة الملك والأميرة روزين زوجة ولي العهد الراحل أدريان فقد امتلكتنا قسماً خاصاً من أربعة طوابق مع جناح لكل واحدة فيهما وبه عدة أجنحة فارغة لبقية الأميرات كذلك، وكان جناح الأميرة روزين بالطابق الثالث كابنها ليام بينما جناح الأميرة إيلينا بالطابق الثاني لتكافئ موضع جناح والدها وشقيقها.

قام الحراس بمساعدة آرسن على فك ألكسندر وإنزاله من دون سؤال أو تعجب.. وحملوه خلف آرسن الذي سار تجاه والده الذي بدا غاضباً حيث تحدث حال اقتراب آرسن منه:

- ماذا كان اتفاقنا؟! -

نظر خلفه حيث ألكسندر وتحدث:

- ومن هذا؟

تحدث آرسن:

- أبي.. حدثت الكثير من الأمور أريد أن أحدثك عنها.. أما عنه فهذا ألكسندر.. ألكسندر بينفيتو، ابن الأمير لوريس.. لتعلم بأنني كنت على حق دائماً!

نظر للملاح والده المتفاجئة بابتسامة منتصرة ليتحدث والده:

- ماذا لو لم يكن هو؟ من أين أتيت به؟

تحدث آرسن:

- من إيرينيا.. يحمل قلادة الملك التي ورثها عن والده.

هدأت ملاح والده ليشوبها بعض الاستياء حين سأل بنبرة منخفضة أوضحت خيبة أمله:

- مات لوريس؟

تنهد آرسن ليزم والده شفتيه ويتحدث بصوت مرتفع للحراس:

- أدخلوه للغرفة التي سيوصلكم لها الأمير آرسن.

نظر لآرسن وتحدث:

- اذهب به للجناح والده.

وما كان من آرسن إلا أن أوماً، متمنياً ألا يعلم أحد عما ينوي هو القيام به من الذهاب لجناح القصر المهجور منذ سنين طوال، لكونه كان ملكاً للأمير لوريس، وقد فعل، وشكر الحراس ليرحلوا وينظر هو نظرة أخيرة لألكسندر المغطى جيداً قبل أن يغلق عليه الباب.. قاصداً بعدها الذهاب للملكة، جدته.. والتي في الأصل هي من قامت بإعطائه بداية خيوط الوصول لعمه لوريس.

رغم مرور السنوات آمنت دوماً بأن ابنها موجود في مكان ما وبأنه سيعود، ورغم أنه قد

أصبح منسياً من قبل الجميع إلا أنها لم تنسه، لم تنس ابنها العزيز الذي فاجأها باختفائه بعد الحرب التي فجعتها بفقدان زوجها وابنها الأكبر.. لقد كانت قوية.. قوية بما يكفي لحمل جبال العالم فوق كتفيها من دون تعب أو نصَب.

نظر أسفله للبهو في الطابق الأول حيث كان الملك جوليان.. ابتلع ريقه ناظرًا له ظانًا بأنه ينتظر نزوله إلا أن ظنه قد خاب حينما رأى ابنه وولي العهد إيلاريون قد دخل بهدوء منحنياً وتحدث:

- صباح الخير لجلالتك، أوامرك.

سأل جوليان:

- كيف هم الجنود الجدد؟ وأنت؟ كيف يسري تدريبك؟

تحدث إيلاريون بنبرته الحازمة التي لطلما أعجبت آرسن:

- الجنود تحت التدريب، وأنا أبذل قصارى جهدي لأحقق ما تتمناه وتتوقعه مني جلالتك. ابتسم جوليان وتحدث:

- وأنا أعلم.. بأنك ستفوق توقعاتي.. أستطيع رؤية مستقبل مشرق لمملكتنا من خلالك.

تنهد آرسن بينما تحرك لينزل السلام ليستمع لإيلاريون الذي تحدث بحزم أظهر ضيقه:

- أركز على تدريباتي هذه الأيام جلالتك.. لست مستعداً بعد لأفكر في هذا الأمر.

وكان هذا كافياً جداً ليتحدث جوليان غاضباً:

- إيلاريون! انظر جيداً لنفسك! أنت ابن الملك وولي العهد.. من غيرك سيأخذ مكاني؟! لديك رد؟

نظر له إيلاريون وتنهد قبل أن ينحني متحدثاً:

- أوامرك..

ومن ثم انصرف بسرعة لينادي به آرسن الذي نزل ناوياً للحاق به لولا نداء الملك الذي أوقفه

ليغمض آرسن عينيه بقوة زامًا شفثيه متمنيًا أن تنشق الأرض وتبلعه حالاً.. والتف ناظرًا للملك الذي أشار له بالاقتراب قبل أن يباشر:

- أين كنت في اليومين الماضيين؟

ابتلع آرسن ريقه وأجاب:

- أستطلع.. بعض الأماكن في المملكة.. هناك الكثير من الأماكن التي تتطلب إصلاحًا مستعجلًا و...

قاطعه الملك الذي سأل:

- لماذا لم تأخذ إذني؟ أليس لديك علم بأنك مستهدف؟ أنت مهم لهذه المملكة، لكنك تتصرف بتساهل دومًا ومن دون إطلاعي على أي شيء بخصوصك!

أخفض آرسن رأسه ليسأل الملك بعدها:

- ومن هذا الذي أحضرته معك؟

أجاب آرسن فورًا:

- فتى تجارب..

حاول تهدئة ملامحه المثيرة للريبة وأكمل:

- أحضرته.. لأعطيه جرعة من دواء جديد صنعته لمرضه.

أومأ الملك وتحدث:

- كن حذرًا.. أرجو ألا تكرر خطأك مجددًا حتى لا تضطري لعقابك.. بإمكانك الانصراف.

تنهد آرسن وانحنى قبل أن ينصرف خارجًا من القصر مظهرًا ارتياحه ناظرًا لإيلاريون الجالس مع جدتها ليتقدم ناحيتها مُلقيا التحية مقلًا كف جدته مطمئنًا على إيلاريون الذي بدا مرتاحًا هو الآخر الآن، وتحدث إيلاريون مازحًا:

- أين كنت في الأيام الماضية؟ إيلينا ستقتلك.. لقد رحلت فجأة من دون أن تخبرها صحيح؟

تنهد آرسن جالسًا مقابلها وتحدث:

- إلهي لماذا تطلعك على أشياء كثيرة؟ وماذا أيضًا؟

تحدث إيلاريون بلؤم:

- أخبرتني بكل شيء!

وضحك حين رأى نظرات آرسن الخائبة وتحدث:

- أمازحك.. لكنها مستاءة جدًا منك، رأيتها تبكي مرارًا لأنها ظنت بأنك لن تعود، أو ستعود ميتًا.

نهض متحدثًا:

- تريد مني إخبارها بعودتك؟

نفى آرسن برأسه وتحدث:

- سأذهب لها بعد قليل.

أومأ إيلاريون مريبًا على كتفه واستأذن مغادرا، ونظر آرسن لجدته وهمس:

- وجدته!

في مخزن المحاصيل

فتح إيلان عينيه على صوت روديون الذي يئن أثناء نومه.. نهض بسرعة ناظرًا له ليجد وجهه متعرقًا.. حركه هامسًا باسمه مرارًا ليشهق روديون مستيقظًا ناهضًا بسرعة كاد بها أن يصدد رأسه برأس إيلان الذي تراجع بردة فعل سريعة غير متوقعة من نفسه وهمس بانفعال:

- يا إلهي!

ظل إيلان ينظر لروديون الذي كان يتنفس بسرعة ليهدي من روعه، رفع كفه يمسح بها وجهه المتعرق ونظر لإيلان الذي سأل:

- كابوس؟

أوماً روديون ليتنهد إليان ويتحدث روديون بعدها:

- أنا بخير الآن.. لا تقلق.

ابتسم له إليان قبل أن ينظر حوله باحثاً عن آلاس مستغرباً عدم تواجده ولم يلبث حتى رآه واقفاً عند باب المخزن متحدثاً:

- صباح الخير أولاً.. ثانياً؛ لا مزيد من النوم.. وثالثاً.. من الآن وصاعداً سنبحث عن فرصة عيش أفضل، توفير الطعام اللازم هو أمر مهم وأولية علينا القيام بها، وهذا غير الملابس التي أكاد أتقيأ من الرائحة التي تفوح منها.. وآخرًا.. لن أكون رسميًا فيما يخص معونتنا وحاجياتنا الهامة.. كلامي مفهوم؟ والآن انهضوا.

نهض إليان مذهولاً من طاقته بينما استمع لروديون الذي همس بينما ينهض هو الآخر:

- لماذا يتحدث كثيرًا؟

أكمل آلاس:

- ملأت سطلًا من الماء.. اغسلا وجهيكما.. وأيضاً.. هناك مزرعة صغيرة مقسمة بجانب أحد المنازل.. أعتقد بأن ما فيها من خضراوات وفواكه سيكون جيدًا، وهذا إذا سارعنا بقطفها قبل أن تموت وتذبل.

سأل إليان:

- سحقاً.. من أين لك هذا النشاط؟

ابتسم آلاس وتحدث:

- آلام المعدة مزعجة للغاية، ولو بقيت على هذا الحال فسأحصل عليها يوميًا.

تحدث روديون بينما يمشي خارجًا:

- لقد سبق واعتذرت ووضحت بأنها كل ما أملك!

مشى آلاس تجاه المزرعة وتحدث:

- الحقا بي حين تنتهيا.

تهدد روديون ليربت إلبان على كتفه مهوئاً وتحدث:

- ثق به.. إنه رائع صدقني.

غسلا وجهيهما سريعاً ولحقا به وبدأوا بقطف ما نضج وما يصلح للأكل حتى وفجأة أشار آلاس لإلبان وروديون بالاقتراب بجدية، وحين فعلا قرفص آلاس على الأرض مشيراً لنبته تبدو جديدة وتحدث:

- إنها حديثة زراعة..

نظروا لبعضهم ليتحدث روديون:

- لا أعلم إن كان لا يزال هناك أحياء في القرية.

ومن ثم انتقلت نظراتهم للمنزل بينما نهض آلاس ببطء.. وانفتحت النافذة بشكل مفاجئ لينخفض ثلاثتهم متفادين القدر الصغير الذي انطلق من النافذة بسرعة كبيرة.. نظروا للقدر الذي استقر على الأرض ومن ثم للنافذة في ذهول واعتدلوا واقفين بعدما اطمأنوا بعدم وجود المزيد.

نظر لهم إلبان وكاد يتحدث لولا انخفاض كلا من آلاس وروديون واضعين كفيهما على رأسيهما.. ولم يكدهم يلتفت ليرى ما رمي مجدداً حتى شعر بالضربة القوية التي أصابت رأسه وأفقده توازنه ليسقط أرضاً ويصرخ آلاس:

- لسنأ لصوَصاً!!

وانتهى الأمر بإلبان الجالس الذي وضع قليلاً من بن القهوة على رأسه ليوقف نزيفه بينما لم يتوقف عن إصدار الأصوات الغريبة تعبيراً عن ألمه.. وبجانبه يجلس روديون وآلاس على نفس الطاولة مع امرأة بدت في أواخر الثلاثينات من عمرها والتي كانت تشعر بالأسف نحو الفتى الذي كادت تقتله منذ لحظات بقدرورها المتينة.. والتي عرفت بأن اسمه إلبان.

تطارت الاعتذارات من جهتها بسبب أذيتها لإليان ومن جانب روديون وآلاس بسبب إقبالهم على أخذ الطعام من مزرعتها، وهذا الأسف كان نقطة التساوي بينهم جميعاً بخلاف إليان الذي كان يهذي بكلمات غير مفهومة بسبب آلام رأسه التي أشعرته بالدوار، وظنه روديون لوهلة قد فقد عقله، وكم كان آلاس سعيداً بشكل مفرط لتناوله فطور لذيذ ساخن لن يجعله يعاني مجدداً من آلام المعدة!

في القصر الملكي

كانت الغرفة هادئة بشكل كبير ساححة لأنفاس ألكسندر بأن تكون واضحة.. أشعة الشمس محجوبة بواسطة الستائر الزرقاء الداكنة المخملية، لكنها رغم ذلك قد نشرت القليل من الضياء الذي سمح للملكة بتأمل ملامح هذا النائم بينما عانقت كفها كفها تدلكها بلطف، لم توقظه ومع ذلك كانت تشعر بالشوق والترقب لاستيقاظه.. مرت نصف ساعة وهي على ذات الحال لم تتحرك، وبذات الابتسامة القلقة والعينين الدامعتين حتى فتح ألكسندر عينيه دفعة واحدة ببطء وأخيراً.. يشعر بالخدر الكبير في جسده والذي شعر به مع مرور اللحظات يندثر.

مسح بناظريه الغرفة من حدود مراه حتى شعر وانتبه لوجودها لينهض جالساً ساحباً كفها من كفها وسأل بقلق:

- أين أنا؟!

نفث برأسها وتحدثت بلطف بصوتها المهتز الناعم المطابق لعمرها:

- لا تخف.. اهدأ.

تنهدت قبل أن تهمس بصوت استمع له ألكسندر:

- يا إلهي.. تبدو كأنك..

مدت كفها لوجه ألكسندر تتلمسه إلا أنها شعرت بخوف ألكسندر حين أبعد وجهه قليلاً، ورغم ذلك هي لم تراجع ولمست وجنته بأناملها قبل راحة يدها، وهمست بينما أومأت:

- لا بأس.. أنت في أمان الآن ألكسندر..

سأل ألكسندر بينما أبعد ناظره عنها:

- كيف عرفت اسمي؟

سحبت هي كفها حينما رأت عدم ارتياحه، علمت بأن عليها أن تكبح مشاعرها قليلاً بعد حتى لا تخيفه بشوقها الكبير.. والذي تمت لو أنه قد وصل لصاحبه.. لوريس.

ابتسمت بينما تحدثت:

- أعرف كل شيء عنك.. وأيضاً أرسن أخبرني.. إنه حفيدي كما أنت.

ظهر عدم الرضا على تقاسيم وجهه لتحدث:

- أخبرني بكل شيء.. وبأنك لم تكن تريد المجيء.. لكن أرسن عنيد لا يكف عن المحاولة، ينفذ ما في رأسه مهما تطلب الأمر.. سامحه، كان ذلك طليبي.

تنهدت بينما أكملت:

- قلادتك.. بإمكانك رؤيتها؟

زم ألكسندر شفثته.. كاد ينفي برأسه إلا أنها طمأنته حين قالت:

- لن آخذها.. أريد رؤيتها وحسب.. أعدك بذلك.

تنهد قبل أن يخرجها من داخل ملابسه لتمسك بها تنفقدتها.. عدة ثوان حتى سحب ألكسندر القلادة من سيرها ليفاجئها وتحدث بضيق بينما هم النزول من على السرير:

- أريد الذهاب من هنا.. والعودة.. أريد أن أعود من حيث جئت.

تحدثت هي بينما تمسكت بذراعه:

- لماذا؟

نظر لها ألكسندر وتحدث بهدوء واستنكار بينما سحب ذراعه:

- لماذا تتعاملين معي بهذا اللطف؟ ماذا لو كنت محتالاً؟ أو.. أو ماذا لو لم تكن القلادة قلادتي، كأن أسرقها من فردكم الحقيقي مثلاً؟!

تحدثت هي:

- فيوليت.. والدتك، ولوريس هو والدك.. عشتم في قرية إيرينيا أليس محقة؟

تنهد ألكسندر متحدثاً بضيق:

- آرسن أخبرني بأنكم تكونون الكره لوالدي.. لا أستطيع الثقة فيكم بينما أنتم فقط.. تخليتُم عنه.

نظر في عينيها وأكمل:

- وبكل سهولة.. أعلنتم موته!

نهضت ليستقط غطاؤها الخفيف السماوي عن كتفيها وسارت تجاه النوافذ الكبيرة المحجوبة بالستائر، وتحدثت بهدوء كبير:

- لم يكن سهلاً.

ظل ألكسندر ينظر لظهرها بينما عانقت بكفيها ذراعيها كما لو كانت تواسي نفسها ليرفع كفه بتردد يدلك عنقه شاعراً بالذنب تجاه نبرتها المكسورة، ونظر لغطاءها واقترّب ليحمله.. وسار باتجاهها حيث تفاجأت هي حين وجدته يضعه على كتفيها مجدداً وتحدث:

- آخر ما طلبه مني والدي.. هو العيش لأجله ولأجل والدي..

نظرت له وتحدثت:

- لقد كان شجاعاً يعتمد عليه.. مشكلته معنا كانت بسبب إعلانه رغبة زواجه بفيليت.

نظر لها ألكسندر وأوماً محاولاً إقناعها متحدثاً:

- ليست شخصاً سيئاً.. لقد كانت الأفضل.. أقسم لك كانت.

تنهدت بينما أدمعت عيناها حين أفصحت:

- لقد وافقت.. في حين كان الجميع رافضاً وأخبرته بأنني أسأله في أي قرار يتخذه.. لكنني لم أتوقع أبداً بأن يتخذ قرار تعذيب قلبي بفقدانه هو الآخر بجانب شقيقه ووالده.

مسحت دموعها ليخفف أسسندر رأسه واستمع لها تكمل:

- وانتظرت.. لسنين وسنين، ظن الجميع بأنه مات في الحرب.. حتى من في القصر صدقوا الكذبة، لكنني بقيت أنتظر ظهوره ولم يظهر.. حتى عرفت مكانه.. وبقيت أراقبه عن بعد لكن في الفترة الأخيرة توقفت.. وعلمت الآن بوفاته.

نظرت لأسسندر الذي لا زال مخفصاً رأسه وربت على رأسه وتحدثت بينما ابتسمت بحزن:
- لكن انظر.. أنجب فتى يشبه كثيراً.. وأنا متأكدة بأنك شاركت أباك معظم صفاته إن لم تكن كلها.

تحركت لتفتح الستائر وحين فعلت التفت لأسسندر وسألته:

- هل تعرف ما هو اسمي؟

نفى أسسندر برأسه لتتحدث هي بينما زادت ابتسامتها الرقيقة:

- إيريني.. السلام.

وعم الصمت.. بينما كان أسسندر متفاجئاً للغاية.. أخيراً قد علم سبب تسمية قريته.. ولماذا والده هو من أطلق هذا الاسم..



الفصل التاسع

وَطَنٌ بَارِدٍ



"الوطن ما هو إلا مكان تنتمي إليه بغض النظر عما هو، لربما كان مدينة، عائلة.. ولربما كان قلباً احتضنك وحماك.. وأشعرك بطعم الحياة الحلو.."

..

ها هو ذا آرسن، قادته قدماه لحيث باب غرفة إيلينا بعدما دخل جناحها والذي سرعان ما طرقة غير سامح لصراعه الداخلي بانتهاز أية فرصة.. لكنه قلق بشأن مدى ردة فعلها.. يعلم بأنها غاضبة عليه ساخطة.. لكنه تساءل عما إذا كانت قد لاحظت رسالته الصغيرة التي وضعها في إحدى علبها حتى لا يثير الريبة؟

استمع لصوتها الذي أذن له بالدخول بغض النظر عن من كان.. إيلينا كانت نحيفة معتدلة الطول، ترتدي فستاناً بنفسجي اللون داكناً، بينما كان شعرها الطويل الكثيف المموج مسدولاً واصلًا لنصف ظهرها، وسواده قد أوضح شدة بياض بشرتها وعينيها الخضراوين الكحلاوين الفاتنتين.

وحين أذنت لآرسن دخل هو فوراً معانقاً بعينه عينيها التي التمس فيها ذلك القلق عليه والاطمئنان بكونه قد عاد سالمًا.. لكنها أشاحت بناظرها عنه ليخرج هو من إسهابه وتحدثت بجمود بينما ولته ظهرها:

- أراك عدت سالمًا.. حمداً للإله على ذلك.. هل هناك شيء ما أردتني فيه؟

وفوراً فهم بأن غضبها تشكل على هيئة خصام ليتحدث:

- إيلينا تركت لك رسالة! وحسنًا.. أنا أعلم بأن مكانها غير متوقع لك...

قاطعته هي بينما التفت تنظر له وتحدثت:

- لكنني وجدتها يا أيها الأمير.

قامت بإخراج الورقة الصغيرة وأكملت بنبرة سخرية:

- ويا لها من رسالة قد طمأنتني!

"سأخرج من القصر لثلاثة أيام" ..

فقط! هذا ما كتبته فقط!

تحدث آرسن بهدوء:

- كان الأمر مستعجلاً إيلينا صديقي.. لم أمتلك وقتاً لأخبرك بكل شيء.

تحدثت إيلينا:

- أتفهمك آرسن.. أتفهم كيف أن المهام تخطر على عقلك فجأة لتسعى لإنهائها في لحظتها.. لكن لماذا لم تستوعب أنت بأنك في خطر؟!!

صوتها والذي بدأ يعلو مهتراً ومختنقاً بدموعها لم يسمح لآرسن بالحديث ليخفض رأسه.. وفضل أن يصمت حتى تخرج كل ما في فؤادها لترتاح.. وربما لتوقظه من تساهلاته التي يدركها هو الآخر، وعاد ينظر لها حين أكملت بذات النبذة:

- أتحدّثك بأنك لم تواجه خطراً كدت تلقى حتفك بسببه!! هل تعلم حتى كيف كدت أموت من قلقي عليك؟ من خوفي ورعبي من ألا أراك مجدداً! أنا لا أستطيع الاحتمال أكثر آرسن هذه ليست المرة الأولى ولا أعتقد بأنها الأخيرة كذلك!

تنهد آرسن بينما رآها تمسح دموعها التي سقطت خلسة بظهر كفها المرتجفة بسرعة.. صدرها يعلو ويهبط بشكل ملحوظ بسبب أنفاسها غير المنتظمة.. لم يجد شيئاً ليرد به عليها، وشعر بأنها ترغب منه الخروج.. لكنه لم يفعل تمسكاً بأي لحظة قد تكون سبباً في رضاها عنه، كاد يتقدم مقترباً إلا أنها طلبت بينما أبعدت ناظريها عنه:

- دعني بمفردتي الآن آرسن.

تفاجأ.. وتحدث بنبرة خائبة:

- إيلينا.. انتظري..

نظرت له بينما نفت برأسها هامسة:

- لا يا آرسن.

وأصبحت هي بمفردها جليسة غرفتها بعدما خرج خائبًا محبطًا ليتنهد بضيق.. النف ناظرًا لإيلاريون الذي تحدث:

- لم يسر الأمر على ما يرام؟

كان واقفًا في البهو قريبًا من باب الجناح مكتفًا ذراعيه لصدره.. تنهد آرسن وتحدث:

- ما الذي تفعله هنا الآن؟! ألا تمتلك جدول تدريبات؟

تحدث إيلاريون بنبرة هادئة حادة:

- آرسن.. إيلينا شقيقتي الصغرى! تدريبات ماذا التي تسألني عنها؟!

تنهد قليلًا وأكمل:

- أنت بذاتك تعلم بأنك مخطئ.. وأنا لن أسمح لك بالتمادي في جرحها.. لو كنت تنوي الخوض في مغامراتك المجنونة أكثر.. فمن الأفضل أن تبقى بعيدًا عنها.

ظل آرسن ينظر له بهدوء قبل أن يكمل إيلاريون:

- أنت أخي قبل أن تكون ابن عمي.. أخاف عليك أيضًا.. ولعلك تعتقد كذلك بأن هذا هو الحل الصائب!

تحدث آرسن:

- إيلار.. هل تعلم مقدار الدمار الذي رأيته في هذه المملكة في الأيام الماضية؟ لا تعلم بالتأكيد!

اقترب من إيلاريون مرتبطًا على كتفيه وتحدث:

- أنت الملك الموعود.. أتمنى أن تمتلك خلفية عن مقدار السوء الذي وصلنا إليه خارج أسوار القصر بدلًا من شغل بالك بما يحدث بيني وبين إيلينا.

نظر للملاحه التي تغيرت.. تخطاه ماشيًا للخارج شاعرًا بالندم فورًا على ما قاله، يعلم بأنه قد أزعج إيلاريون لدرجة كبيرة بكلامه اللفظ بينها يدرك كل الإدراك مدى كراهيته الحديث في أمور

الحكم.. لكنه فقط قام بردها له.. إيلاريون أيضًا قام بإزعاجه بحديثه! رغم أنه متأكد بأنه على حق.

نظر إيلاريون لظهر آرسن الذي مشى مبتعدًا.. تنهد واقترب من باب غرفة إيلينا.. تنفس بعمق محاولاً تعديل مزاجه حتى لا يزعجها حيث دخل ليجدها جالسة على طرف سريرها تمسك ذات الورقة بأطراف أنامل كفيها.. رفعت رأسها تنظر له لتقف مقتربة منه بينما تركت الورقة جانبًا وفي المقابل هو أيضًا اقترب يسمعها تسأله:

- إيلار.. أنت بخير؟

ابتسم هو متحدثًا:

- أنا بخير لا تقلقي!

سألت مجددًا:

- هل أزعجك والدي بحديثه مجددًا؟

خفت ابتسامته.. وضع كفه على كتفها مرتبطًا بمرح وتحدث:

- لم يفعل.. كما أن وجهة نظري واضحة له، لذا لا بأس.. حتى لو كرر الأمر لمئات المرات هو يعرف قراري الذي أطلعته عليه منذ اللحظة الأولى!

ابتسمت ليسأل هو:

- ماذا عنك؟

تنهدت بينما بهتت ابتسامتها وأخفضت رأسها.. أخفض رأسه ليرى عينيها وسأل:

- همم؟ هل تبكين؟

ضحكت بينما ضربت كتفه وتحدثت ناظرة لعينيها بعدما اعتدل:

- لا أبكي توقف عن إظهاره كشخص باك! أنا فقط قلقة عليه وفي نفس الوقت أشعر بالغضب.

تنهدت قبل أن تكمل:

- سأنتظر قليلاً حتى أهدأ.. وحينها سنتحدث سوياً بهدوء وستتوصل لحل يرضي الطرفين.

ابتسم مطمئناً وتحدث:

- دوماً أنتِ رائعة.. فخور بتفكيرك إيلينا.. كما أن آرسن.. يحبك كثيراً.. ذلك الأحمق قام بالتحدث معي بشكل فظ لأنني تحدثت معه عن أمر كذا!!

ابتسمت هي ليقبل جينها متحدثاً:

- لا تتأذي أبداً.. وعد؟

وردت بهدوء ولا زالت مبتسمة:

- وعد.

لا زال ألكسندر في نفس الغرفة.. تبادل أحاديث عدة مع الملكة التي بدا يقتنع فعلاً بأنها جدته.. حدثها عن والديه وعن قريته المزدهرة قبل أن تفنى، وكانت هي تستمع له بكل اهتمام وحب.. وهذا أكثر ما أشعره بالدفء والاطمئنان وأخيراً بعد وقت طويل.. طرق الباب ليقاطعها ويدخل بعدها والد آرسن الذي سرعان ما نادى إيريني باسمه باسمه:

- فيتالس.. أخيراً جئت! أين كنت؟

ابتسم بينما تحدث:

- بعض الأعمال المهمة.. وجلالتك كيف حالك؟

تحدثت هي بينما تمسكت بكف ألكسندر تغلفها بكفها:

- خير ما يرام.

ابتسم ألكسندر بشكل خفيف.. ونظر لفيتالس حينما تحدث مقرباً منه:

- بالتأكيد لم تأكل شيئاً منذ استيقظت.

اختفت ابتسامة إيريني وكأنها لاحظت للتو بأنها أمضت الوقت كله برفقة ألكسندر متناسية أمر الطعام لتتحدث:

- يا إلهي! كيف نسيت شيئاً كهذا؟!

ابتسم فيتالس بينما تحدث:

- لا بأس.. الطعام سيكون جاهزاً بعد أن تغتسل وتبدل ملابسك.. المكان المخصص للاغتسال ستجده في نهاية هذا الجناح وستجد هناك كل ما ستحتاج من ملابس.. أرسن سيأتي بعد اغتسالك ليغير ضماد جروح ذراعك.. حاول ألا تمسها بالماء حتى لا تؤلمك.

نظرت إيريني لألكسندر باستغراب وقلق حول جروحه التي ذكرها فيتالس سابقاً.. بينما ألكسندر ظل ينظر لفيتالس قليلاً حتى تحدث بنبرة عطوفة هادئة:

- إنك تشبه والذي كثيراً..

زادت ابتسامة فيتالس بينما تحدث:

- هناك الكثير من الحديث الذي علينا الخوض فيه.. أيضاً.. عليك التعرف على عائلتك جميعها.. لذا باشر بفعل ما طلبته منك الآن.. حسناً؟

أوماً ألكسندر بينما رآه يأخذ بكف والدته برفق يساعدها على النهوض رغم أنها لم تحتاج ذلك.. ومن ثم خرجا لينظر ألكسندر حوله منتهزاً فرصة خلوته ليختلس النظر على الغرفة الواسعة عن قرب.. كانت كبيرة للغاية وكانت أوسع غرف الجناح، وطلبت جدرانها بالأبيض مع زخارف مذهبة منتشرة على طول كل جدار عدا جدار كان بالأزرق الداكن يحتوي هو الآخر نفس الزخارف بعدد أقل، وحوى العديد من اللوحات المرسومة المحفوظة في براويز فخمة معلقة تعزف على أصحابها سريعاً.. وعلى السقف تواجدت زخارف كثيرة ولوح مصنوعة من الفسيفساء والألوان، وقرب الشرفة طاولة وكريسيان وأريكة، بينما أمام النافذة كان خالياً من أي أثاث عدا الستار المخلي الذي غطى من أعلى النافذة وحتى الأرض وكان مزخرفاً هو الآخر بالذهب، وهناك مكتب وضع عليه الكثير من الكتب بشكل مرتب ومتناسق، حتى مدفأة الغرفة وضعت عليها براويز صغيرة ممتلئة بلوحات صغيرة ورسائل لطيفة وساعة رملية، وهذا غير

بقية الغرف الموجودة في الجناح الذي ينوي استكشافه.. لم يعلم بأن إحداها كانت معمل خاص مليء بالكيميائيات ووصفات العقاقير، وإحداها الأخرى مكتبة مصغرة ممتلئة بالكتب مع بعض الأرائك في جو مهيباً للقراءة.

كان هناك المزيد والمزيد من الأشياء التي لفتت انتباهه.. لكنه قرر تأجيل الأمر لبعد استحمامه وخرج من الغرفة متجهًا لآخر باب وجد في الجناح حيث فصل بين كل باب وآخر أزواج من الأعمدة الكورنثية البارزة عن الجدار، وحين وصل وفتح الباب ودخل تفاجأ من الحوض الأرضي الكبير الذي ملئ بالماء الدافئ بينما رغوة الصابون غطت معظم سطح الماء! وعلى حواف الحوض كان هناك حامل وضع عليه مختلف أنواع الصابون والليف، وعلى يمينه نظر لبرى ملابس تشع من بياضها معلقة بجانب المناشف.. شعر بالسعادة وبالحماس لكونه سيقوم بتجربة شيء جديد لم يكن يحلم حتى بتجربته.. ولم ينتظر.. نزع ملابسه ورمها جانبًا.. وأرخی جسده بكامله في الماء الدافئ الذي ساعده بشكل أكبر على الاسترخاء.. ولوهلة تمنى لو كانا آلاس وإليان معه الآن.. وتساءل.. ما الذي يفعلانه في هذه اللحظة بجانب روديون؟

في مخزن المحاصيل

كان آلاس مستلقياً على أرض المخزن المليئة بالبرسيم الأصفر اليباس يحدق في سقفه البعيد العالي وبجانبه روديون وإليان، كانوا صامتين بشكل غريب بعدما عادوا من منزل السيدة التي عقدوا معها اتفاق تبادل منفعة.. حيث سيقومون بمساعدتها في أي شيء تطلبه مقابل توفير الطعام، وبالطبع، كمية الطعام مقابل حجم العمل.

تنهد آلاس بينما سأل:

- هل تعتقدان بأن ألكسندر سيعود؟

أجاب إليان فوراً بنبرة قليلة الصدمة:

- كنت أفكر فيه للتو.. خيف..

نفض آلاس سائلاً:

- كيف كان لقاءكما الأول إيلان؟

تحدث إيلان ناظرًا له بينما ظل مستلقيًا:

- أول لقاء كان فور وصولي لإيرينيا بعد تركي هذه القرية لكنه لا يتذكره بتاتًا.. أما عن ثاني لقاء.. فقد كان يوم هجوم البربريين على القرية.. خرجنا سوياً منها وجئنا لقريتك.

تنهد آلاس متحدًا:

- أمر البربريين غريب.. لماذا إيرينيا بالذات؟!

تحدث إيلان:

- لقد كنت أظن بأن للأمر علاقة بالمعالم المتواجدة فيها.

تحدث روديون أخيرًا:

- هناك جماعات تقف ضد سياسة المملكة وملكها، من الممكن أن تكون إحداهن هي من قامت بإرسال البربريين ليثيروا الضجة.

أومأ إيلان:

- أنا أيضًا أرى ذلك.

قهقه آلاس وتحدث:

- ضجة؟ أي ضجة؟ لم تظهر أي ردة فعل بعد الحادثة من أي جهة مسئولة!

صمت ثلاثتهم واعتدل كل من إيلان وروديون حين دخلت ذات السيدة بصينية تحمل كؤوس ومشروبات دافئة مبتسمة وتحدث:

- الجو سيكون باردًا اليوم قليلًا.. احرصوا على أن تدفئوا أجسادكم جيدًا.

ابتسموا جميعًا بينما شكروها.. وحين خرجت عاد إيلان وروديون للاستلقاء وعم الصمت مجددًا وتنهّدوا جميعًا بتفاوت، بينما عاد آلاس ليتحدث بعد فترة:

- أشعر بالملل.. لنلعب!

نمض، إلیان جالسًا وتحدث بحماسة:

- موافق.. ما هي اللعبة؟؟

تأتا آلاس بحرة قبل أن یردف:

- في الحقيقة لا أعلم.. توقفت عن اللعب منذ زمن.

تحدث إليان:

- لدي لعبة.. أرسم مربعات متصلة على الأرض، وعليك القفز عليها دون لمس الخطوط.. لو وجدت مربعًا واحدًا فقف عليه بقدم واحدة.. لو وجدت اثنين متصلين فقف على كل مربع بقدم!

نهض إليان باحثاً عن حجر قد يترك أثراً على الأرضية حتى وجد... قام بتنحية البرسيم جانباً وبدأ بالرسم على الأرضية وتفاجأ آلاس من كثرة المربعات والتي شكلت شكلاً طويلاً، بينما تعتمد إليان تكبير المربعات بشكل مبالغ فيه ليزيد من صعوبة اللعبة، ووقف إليان عند البداية وتحديث:

- أبداً أنا.. راقباني.

وبدأ بالقفز واقفاً على أطراف أقدامه عادةً:

- واحد.. واحد.. اثنان.. واحد.. اثنان.. اثنان.. واحد.. واحد.. واحد و....

قاطعه آلاس، صارخا:

- توقف لقد دست على الخط!!

نهض آلاس وفقاً عند البداية بينما تنحى إليان جانباً متذمراً بصوت منخفض كبير مساحة المربعات التي في الأصل هو من قام برسمها للضحك كل من آلاس وروديون.

نظر آلاس، أمامه وبدأ:

- واحد.. واحد.. اثنان.. واحد.. اثنان.. اثنان.. آه.. إلهي!! أنا لا أمتلك أقدام ضفدع

إليان!!!

ضحك إليان متحدثاً:

- لم أعتقد بأنها ستكون صعبة هكذا.. روديون؟ أَلن تجرب؟

نظرا له ليجداه قد قام بلف جسده معطياً إياهما ظهره كإجابة لرفضه، ولم يشعر إلا بأيديهما التي تجره جرّاً.. حيث أوقفه آلاس عند البداية وتحدث:

- لو كنت تتكاسل عن العد فسنفعل نحن!

نظر لهما روديون بملامح متعبة مصطنعة.. وقفز لأول مربع.. وتعمد أن يخطئ في الثانية ولم ينتظر ملاحظتهما.. لأنه قد عاد لحيث كان مستلقياً مجدداً وتحدث:

- لو اقتربتما مني مجدداً فاعتبرا نفسيكما ميتين!

نظر للماحهما المصدومة لبيتسم واستمع لآلاس الذي همس لإليان:

- لماذا هو خامل؟

وأجابه إليان:

- صدقني لا أعلم لقد افترقنا لسنوات.

تحدث آلاس بينما جلس بجانب روديون وسحبه ليجلس:

- أمتلك لعبة أخرى.. خطأ ودائ...

وبسرعة أجاب روديون:

- موافق!

وحينها تحدث إليان بينما هم يجلس بجانبهما:

- فهمت.. أنت ضد الحركة إذّا.. ممتاز.

في القصر الملكي

كان ألكسندر جالسًا على أحد مقاعد بهو الجناح بعد استحمامه منتظرًا آرسن بأمر من فيثالس.. ولم يتأخر.. نظر ألكسندر لباب الجناح حين طرق وفتح ودخل آرسن ليلف ألكسندر وجهه عنه.. شعر بغضب كبير يعتري قلبه تجاه تصرف آرسن العدواني معه.

فتح أزرار قميصه مخرجًا ذراعه اليسرى بحذر بينما جلس آرسن بجانبه ممسكًا ذراعه يرفعها حيث تحدث متنهّدًا:

- الجروح عميقة.. ستأخذ وقتًا حتى تلتئم، لذا لا تبذل أي مجهود يرهق ذراعك ألكسندر.. حسنا؟

أوما ألكسندر بخفة بينما لا زال لافًا وجهه عنه، لبيتسم آرسن بينما بدأ يطهر جرحه محذرًا:

- ستؤلمك قليلًا.

كان يشعر بانتفاضات ألكسندر الذي حاول جاهدًا إخفاءها والبقاء ثابتًا حتى ينتهي.. وحين انتهى بعد مدة سأل بهدوء:

- القلادة.. ما زالت معك؟

نظر له ألكسندر بينما أدخل ذراعه في قميصه وتحدث:

- أجل.. وتوقف عن شغل نفسك بها.

تحدث آرسن متجاهلاً نبرة ألكسندر الحادة:

- انتبه عليها جيدًا.. أبقها معك ولا تعطها لأي شخص أيًا كان ولو كلفك ذلك حياتك ألكسندر تفهم؟ حياتك.

نظر له ألكسندر مستكبرًا بينما همس:

- ما الذي تتحدث عنه؟

تحدث آرسن:

- لو كنت أريد قلاذك لكنت أخذتها ورميت بك في الغابة حتى تفيق.. كنت لتكون أكثر استياء.. أليس كذلك؟

للم آرسن حاجياته وهم بالخروج لولا ألكسندر الذي سأل:

- من هو ليرهام؟ من أرسل لك ذلك الرجل الذي أراد قتلك؟

تحدث آرسن بنبرة بدت غاضبة ناظرًا لألكسندر:

- ليس هو من فعلها! إياك وقول ذلك أمام أي شخص ألكسندر هل تفهم؟

ظل ألكسندر ينظر في عينيه قليلًا حتى تحرك آرسن وخرج مغلقًا الباب خلفه بقوة ليتنهد ألكسندر مخفضًا رأسه.. وعاد يرفعها ناظرًا لفيتالس الذي دخل وعلى ملامحه رغبة المعرفة سائلًا:

- هل حدث شيء ما؟

ونفى ألكسندر سريعًا، ولم يفكر ولو للحظة في إخباره بأي شيء.. واستأذن منه بأن يبقى في الغرفة لهذا اليوم متحجبًا بأنه لا زال مشوشًا وغير مرتاح لفكرة مقابلة بقية الأسرة سريعًا.. بينما هم حتى الآن لم يعرفوا بوجوده بعد، وفعل ذلك ليبقى جالس أغراض والده ليتأملها.. كما لو كان يشعر بأنها فرصة لن تعوض ولحظات قليلة الأمد.

تناول الطعام الذي وضع في بهو الجناح.. لا ينكر بأنه لذيذ.. لكنه شعر بالسوء الشديد تجاه كل سكان قريته الذين كانوا يشتكون قلة الطعام.. بينما لكثرة الطعام الموضوع أمامه لم يظهر عليه بأنه قد أكل منه حتى.

لم تجتمع الأسرة على مائدة الغداء كالعادة.. مرت سنين على آخر مرة قد جلسوا فيها سوياً.. جوليان الملك يترأس الطاولة، على يمينه والدته إيريني يتلوها فيتالس وزوجته، ومن ثم مقعد آرسن يتلوه ليام صاحب الثمانية عشر عامًا ابن أدريان -الشقيق الأكبر المتوفى-.. وعلى يساره جلست زوجته وبجانها طفلها سيلفانوس ذو السبعة أعوام، يتلوه إيلاريون ومن ثم إيلينا ومن ثم زوجة أدريان.. وكان آرسن مفقودًا حتى الآن.

تحدثت إيريني بهدوء ولم تقصد شخصاً بعينه:

- هل ما زال ليرهام رافضاً الخروج من غرفته؟

تحدثت إلينا:

- طعامه قد ذهب لغرفته جديتي.. مررت به اليوم وكان منعماً في القراءة للعديد من الكتب.

تنهدت إيريني بينما نظرت لها وسألت:

- ماذا عن آرسن؟

نفث برأسها بمعنى لا أعلم.. وفي لحظتها دخل آرسن معتذراً عن تأخره.. وجلس بجانب والدته مقابل إلينا ناظرًا لها بينما كانت هي تتحاشى النظر له وعوضاً عنها كان إيلاريون هو من ينظر له بنظرات ترسل له أسهم التحذير، بينما تمسك بكف شقيقته بقوة داعماً لها موقفها لتبتسم له ويتنهد آرسن شاعراً بالضيق من تصرفات إيلاريون الطفولية.

لماذا يشعره دومًا بأنه سيؤذي شقيقته؟ ولماذا هو خائف لهذا الحد عليها منه؟ والأهم من ذلك! لماذا يرى رسائل تهديد متشكلة حوله بهذا الشكل المخيف؟!!

ومن جهة أخرى كان ليام مبتسماً مستمتعاً بالمشاهدة عن بعد دون تدخل.

ورغم أن الجو كان يسوده التوتر.. إلا أن إيريني لم تفشل أبداً في فتح الكثير من المواضيع منها ما كان مضحكاً لتتقصد سماع ضحكاتهم.. وتمنت لو كان ألكسندر معهم الآن.

مضى بعض الوقت.. وأخيراً ها هو ألكسندر في غرفة والده.. قرر البدء باللوحات أولاً واقترب ليرى كل صورة عن قرب.. يرى في الصورة الأولى رضيع في أحضان والدته الجالسة، بينما كانت هي تنظر له بحب مبتسمة.. هذه المرأة حين دق في ملامحها عرف بأنها إيريني.. وبما أنه قد عرف بأن هذه الغرفة لوالده من صوره الكثيرة التي تملأ المكان.. فبالتأكيد هذا الرضيع هو..

همس ألكسندر بينما مد كفه متلمساً ألوان الصورة:

- والدي..

نظر للصور التالية، كل صورة كانت لوالده مع بعض أفراد العائلة والمعارف في مراحل مختلفة من حياته حتى أصبح شاباً.. وكانت الصورة العاشرة هي آخر صورة ليعرف ألكسندر بأن الحرب قامت وقتها.. ولم يعد هو بعدها لحياته المعتادة مجدداً ليلتقط المزيد من الصور.

اقترب من المكتب ناظرًا للعناوين الكتب يقلبها بين يديه هامساً بعناوينها:

- طب الأعشاب.. العناصر الكيميائية.. أنواع العقاقير وكيفية صنعها.. النباتات النادرة وأين تجدها.. بداية الحياة.. الأجرام السماوية.. علم الأرض.

تنهد بينما توقف عن القراءة.. والده بالتأكيد كان مجتهداً طوال حياته.

نظر لكتاب قد خرج من بين أوراقه طرف صورة ما.. سحبه وقرأ عنوانه.. الأزهار؟

فتح الكتاب على الصفحة التي وضعت فيها الصورة بينما سحبه ليندهش حين رآها لوالدته.. كانت تبدو فيها في العشرينات من عمرها، جميلة للغاية كما عهدا.. ابتسم بحزن.. لكنه كان سعيداً في ذات اللحظة لأنه وجد صورة لها منذ أنه قد ترك كل شيء في القرية.. وقلب الصورة ليجد رسالة مكتوبة بخط والده: "الحب يجعل من الإنسان شاعراً، ويقوده ليتصرف على غير سجيته، عزيزي فيوليت، دوماً أتمنى لو كان بإمكانك القراءة، فأتمكن حينها من إرسال كلماتي لك طوال الوقت، لكن سأكرس من وقتي لأعلمك، حينها ستمكن من الاطمئنان على بعضنا طوال الوقت بدلاً من لحظات اللقاء القليلة القصيرة".

عاد ألكسندر ليبتسم بدفء، ونظر للكتاب المفتوح ناظرًا لصورة الزهرة التي حملت عنوان (زهرة البنفسج).. بينما اسم والدته يعني اللون البنفسجي.. شعر بالغرابة في قلبه حين حاول الشعور بمدى الحب الذي كنه والده لوالدته.. وتأكد بأنه لو فعل المستحيل لينهم عظم مشاعر والده.. فلن ينجح أبداً.

وها هي عيناه تدمعان.. حين شعر لوهلة بأنه لم يستطع التعرف بعمق على والديه اللذين قضى معهما ستة عشر عاماً كاملة..

ومن جهة أخرى.. كان إيلاريون واقفاً بجانب والده الجالس في غرفة الاجتماعات يستمع كلاهما لخطط الدفاع التي طلبها والده من نبلاء مجلس الشعب وينظران للورق والمخططات

الموضوعة على الطاولة.. كان إيلاريون هادئاً، لم تعجبه كل الخطط التي بدا على والده الإعجاب الشديد بها.. لا يرى بأنهم في حاجة لمعدات دفاع زيادة.. على العكس.. أراد لو اهتم والده بشأن فرص الحياة والموارد لجميع الشعب عوضاً عن حمايته المكثفة لنفسه..

نظر للبارون إيكاريوس الذي كان يشرح خطته بثقة كبيرة، وكان أكثر بارون مقرب للملك والحائز على ثقته بالكامل، وكان ذا بنية قوية وصلبة وملامح هادئة دائماً ما كانت بلا تعبير معين يكشف مكنونه، وشعر ذي لون بني وأشقر مدرج الطول لنهاية أذنيه.

تحرك إيلاريون ناحية النوافذ الكبيرة المطلة على الحديقة ناظراً لغروب الشمس حيث توقف مكتئباً ذراعيه لصدره وتساءل بشروء.. ما فائدة كل تلك الحماية وهناك شعب يكاد يموت جوعاً وفقرًا.. ألم يخف من أن الهجوم الذي يخشاه ويصنع الدفاعات لأجله لن يأتيه من الخارج؟ بل من الداخل.. من شعبه.. وحينها ستتهار المملكة أكثر من انهيارها حالياً.. ألا يكفي بأنها فقدت كفاءة اسمها وأصبح متناسى من قبل الجميع مستبدلاً بألفاظ مهينة؟ حتى هو.. أحياناً لا يتذكره.. نابولي؟

نادى جوليان:

- يا ولي العهد؟ هل هناك شيء ما يشغل بالك؟

نظر له إيلاريون بسرعة وتحدث:

- أبداً جلالتك.. بعض الأفكار الضبابية وحسب.

سأل جوليان:

- أي الخطط يروقك؟

تهنئ إيلاريون ليفهم جوليان نفوره الواضح عن الأمر ليصر عليه متحدثاً:

- ما ستختاره سأختاره...

نظر إيلاريون في عينيه بعدما كان ينظر في الأوراق وكأنه يعاتبه.. إيلاريون يعلم بأن والده يراه أفضل مختار ليقود المملكة.. لكن ماذا لو كان هو لا يستطيع رؤية نفسه بهذا الشكل؟ أحياناً

يود لو أن بإمكانه الصراخ عليه لعله يفهم عظم المسؤولية التي يرميها على عاتقه بهذا الشكل المهرق.. والده لا يستطيع الفهم بأن فكرة الاستحواذ على الحكم ترعبه، وبأنه لا يريد أن يظلم أي شخص حتى لو كان من غير قصد.

قاطع صمت الغرفة دخول أحد حراس والده الذي اقترب منه هامساً في أذنه بشيء غير ملامحه ليقلق إيلاريون.. ولم تمض لحظات حتى أمر والده الجميع بالانصراف وتأجيل الاجتماع لوقت آخر، وخرج هو مع حارسه تاركاً إياه في القاعة بمفرده.

تنهد إيلاريون متقدماً بهدوء.. جلس على مقعد والده الذي يترأس الطاولة ناظرًا للمقاعد الخالية وكأنه يتخيلها مليئة بذات الأشخاص وهو في هذه اللحظة الحاكم.. أسند كوعه على الطاولة بينما غطى وجهه بكفه متنهداً مجدداً بثقل.. ومرت الدقائق حتى عاد بجسده لظهر الكرسي مريحاً إياه مفكراً في الكثير من الأفكار بينما لم تتوقف عيناه عن النظر لكل إنش في السقف المزخرف.

وهناك تساؤل قد أضيف لوابل تساؤلاته المتعبة.. من هو ألكسندر الذي سمع الحارس يهمس باسمه لوالده؟

ظل ألكسندر يتقلب على الفراش غير مستطيع النوم رغم محاولاته.. في النهاية هو لا يمتلك شيئاً ليفعله.. ويكاد يموت من الملل لذا فكر في أن ينام قليلاً، لكنه لم يستطع أبداً! نهض بانزعاج متأففاً.. وتنهد فاركاً وجهه.. في لحظات كهذه كانت والدته تعد له كوب حليب دافئ ليتمكن من النوم.. لكن ذلك كان يحدث في الليل لا في وقت غروب الشمس.

نظر حوله مشتتاً تفكيره حتى لا يخوض في ذكرياته والتي باتت ككابوس يكرهه بشدة.. أخرج قلادته ولوهلة صارح ذاته.. لربما كان آرسن محققاً.. هذه القلادة ليست له.. كلما نظر لها هو فقط يتذكر والديه ولا يستطيع الابتسام حتى لهذه الذكرى.. يبدو كالبابض على الجمر الملتهب لأنه من شخص عزيز على قلبه لا أكثر.

لكن لماذا كان جاداً بشكل غريب حين طلب منه عدم إعطائها لأي شخص؟ وتنهد خالماً القلادة مقررًا إخفاءها بعيداً عنه وعن أي شخص.. حاداً لذكرياته التي لا يريد تذكرها ومانعاً

لأي شخص من الحصول على ذكره الأخيرة.

لم يعلم أين عليه وضعها.. لكن استمعه لوطئ أقدام سريعة قادمة وتره.. وبشكل سريع قام برفع مفرش بداية السرير واضعاً إياها أسفل المفرش وجلس بسرعة على السرير تزامناً مع الباب الذي انفتح بدون أي طرق.

تقابلت عيناه بعيني من دخل، والتمس فيها اللهب الغاضب الذي يكاد يحرقه.. وارتعد قلبه بسماعه انغلاق الباب القوي.. حيث أصبحت تلك العينان قريبتين منه للغاية بعد مرور لحظات.. كاد يقف لكن قدميه فقدتا قدرتهما حين صرخ عليه جوليان بصوته المرتفع جاذباً إياه من شعره:

- كيف دخلت هنا؟! ومن أنت؟!

وضع ألكسندر كفيه على كفه يحاول إبعادها عن شعره الذي آلمه بشدة بينما طلب بصوت مسموع مرتعد:

- ابتعد عني!

جذبه جوليان من شعره ليقف ألكسندر مكشراً بالأم وقام بهزه بعنف شاداً قبضته على شعره أكثر، بينما صرخ مجدداً سائلاً بنبرة مرعبة أكثر:

- سألتك من أنت.. لماذا لا تخبئ؟!

وحينها أجاب ألكسندر متلعثماً:

- أ.. ألكسندر.. بينفيتو!

ولم يشعر بعدها سوى بجسده الذي اصطدم بالأرض بقوة بعدما دفعه جوليان بعنف تاركاً شعره هامساً:

- مستحيل!

ولم يترك ألكسندر فرصة لنفسه ليشعر بالألم.. نهض عن الأرض جالساً متراجعاً زحفاً محاولاً الابتعاد قدر الإمكان عن هذا الذي توسط مقلتيه المرعوبتين.. كانت أنفاسه غير منتظمة عالية.. وارتعش جسده حين صرخ عليه الآخر بغضب:

- ما الذي جاء بك هنا؟!

نهض ألكسندر مستنداً على الحديد الموجود نهاية السرير سائلاً بخوف:

- هل تعرفني؟! من أنت؟!

تراجع ألكسندر حال مشي الآخر ناحيته متحدثاً بنبرة حادة منخفضة مخيفة:

- جوليان بينفيتتو.. وأنت؟ ابن اللعين لوريس!

نظر ألكسندر خلفه وقت تراجعه ليتجه لجانب السرير مجدداً من الجهة المقابلة.. أراد الصعود عليه والقفز ليعود حيث كان.. ومن ثم سيركض بأقصى ما يستطيع للباب ليخرج هارباً منه بعيداً.. وبالتأكيد حينها سيجد فيتالس أو أرسن أو إيريني.. أو أي شخص سيستطيع نجاته وحايته.

هذا الغضب الواضح في نبرته أعماه.. وألكسندر قد جاء هنا قسراً.. كان خائفاً من مواجهة شيء كهذا وقد حدث ومن من؟ من الملك نفسه! وعاد ينظر لجوليان الذي سأل بهدوء:

- أين القلادة؟

تنفس ألكسندر بهدوء وعمق.. مدرّكاً بأن هذا ما كان آرسن يحذره منه، وكاد ينفي برأسه لكن جوليان كان أسرع منه في اقترابه حيث جذبته ناحيته من ذراعه ضاعطاً عليها بقوة ولم يحتمل ألكسندر الألم ليصرخ محاولاً إبعاد كفه التي تمسك عضده المجروح، ليتفاجأ الآخر من صراخه المتألم وسرعان ما فهم السبب حين أفلتته ووضع ألكسندر كفه اليمنى على ذراعه اليسرى متأوهاً مكشراً.

رفع ألكسندر رأسه ناظراً لجوليان لتقابلته عيناه المشتعلة.. خوف ألكسندر قد صار أضعافاً.. لكنه يشعر بقلبه قد أوقد بالغضب.. بالغضب القليل وعدم الرضا الذي يحاول مزاحمة خوفه.

وتوسط جوليان مقلتيه، يسمعه وهو يتحدث:

- أعطني القلادة.. وفي المقابل لن أدخلك السجن.. وسأطلق سراحك لتخرج من هنا وتعود من حيث أتيت!

وفورًا تحدث ألكسندر مندفعًا بنبرة مهتزة جراء أنفاسه الواضحة المرتبكة:

- أدخل السجن؟! لماذا سأدخل؟! لقد قتلها بنفسك قبلًا! أنا ابن لوريس! لوريس بينفيتو فرد هذه الأسرة وشقيقك الأكبر!

وكان حديث ألكسندر كالنار التي أشعلت الفتيل.. لكمه جوليان بقوة ليتراجع ألكسندر مصطدماً بالطاولة الصغيرة المتواجدة بجانب سريره، تقدم جوليان منه وأمسكه من ذراعيه ودفعه ليسقطه على السرير بينما لم يفلته.. وتعمد إمساك ألكسندر من ذراعه التي تؤلمه مجددًا كما لو كان يعاقبه على كلامه! وتحدث بينما قيد ألكسندر تمامًا أسفله:

- لا يوجد فرد من أسرتي بهذا الاسم لتتحدث بكل هذه الوقاحة! لقد كان ماضٍ وانتهى.. هل تفهم؟!

وعاود تكرار جملة الأخيرة عدة مرات بينما انهال عليه ضربًا على وجهه وجسده.. هوى ألكسندر وجهه بذراعه المجروحة وحاول دفع جوليان عنه بذراعه السليمة الأخرى، وكلما حاول ألكسندر الدفاع عن نفسه مرة.. كانت ترد له ضربًا بالضعف عددًا وقوة.

وأمسك جوليان عضد ألكسندر المجروح بقوة، شعر حينها ألكسندر بألم فظيع، وصرخ بقوة حين شعر بذراعه تتمزق مجددًا.. بشكل مؤلم أكثر من أول مرة حتى.. وأمسك جوليان بوجهه بكفه الأخرى وتحدث بحدة:

- لتصرخ كما تشاء! مهما صرخت لن يستطيع أي شخص سماعك!

بكى ألكسندر حينها بضعف واضعًا كفه على كف جوليان المسكة بعضضه الذي انفتحت جروحوه وبدأت دماء جروحوه تغطي على بياض ما ارتداه وتحدث من بين بكائه وألمه:

- دعني.. سأرحل لكن دعني أرجوك.. أرجوك..

كم شعر بالشفقة على نفسه.. واستمع لجوليان الذي تحدث:

- لن ترحل لمكان.. سأقتلك بيدي هاتين حالاً!

وأفلت وجهه وذراعه مخرجًا خنجره ومن دون أي انتظار هوى به على صدره بقوة ليدفع

ألكسندر بباقي قوته كف جوليان موجهًا إياها للجانب ليصيب الفراش بدلًا منه حتى أن الخنجر علق بداخل القطن المنجد.

حاول ألكسندر الهرب بتعب، وترك جوليان الخنجر وأمسك بتلابيب قميص ألكسندر يعيده حيث كان ورفع له لآلئاً إياه بكل قوته، ولم يعد ألكسندر يقوى على حماية نفسه بعد، كان ضعيفاً أمام قدرة جوليان.. يحاول كتمان أنفاسه حتى لا يصرخ من الوجع متحاشياً النظر له.. لا يفهم.. لماذا ينكر شقيقه هذا الحد؟ ولماذا يشعر بأن صرخاته التي جاهد ليحشرها في حلقه تشعره بالغثيان؟ حتى رجلاه اللتان كان يحاول إبعاد جوليان عنه بهما رفساً قد فقد تحكمه فيهما.. وهدأتا لتسقطا وتلامس أطراف أصابعه الأرض.

الآلم يتوالى عليه متدرجاً من سيئ لأسوأ.. حتى أن الأسوأ لا يسمح له بمحاولة تحمل السيئ. لقد كانت ثوان.. لكن ألكسندر شعر بها كساعات بينما نظر بعينه المتعبتين الدامعتين لهذا الذي يصرخ عليه بشدة مفزعاً قلبه.. قلبه؟ هل عاد بعد كل هذا يمتلك قلباً؟ وإن لم يكن.. لماذا يسمع صوت انكسار شيء ما بداخله بهذا الوضوح؟ لماذا يشعر بأنه مجروح لدرجة أنه يريد الصراخ والبكاء لعل هذه الحياة تشفق على حاله وتفك قيده متخيلة عنه ليموت؟ لماذا فقط.. تخلى عن والده ولم يبق معها؟

شعر ألكسندر بأفكاره المتدفقة السريعة تخنقه.. يحاول كتمان دموعه لكنه لا يستطيع.. شعر بأنه منعزل عن العالم ولا يشعر إلا بالآلم الجسدي المتجدد، صدره بات يوجعه بشدة وضافت أنفاسه من ضرب جوليان المتتالي لجسده، يشعر وكأن عظام صدره تكاد تنكسر.. فلو أراد جوليان قتله لكان حاول قتله مجدداً بدل إذاقته هذا الآلم كله، بدا أنه يتنقم.. أو يفرغ غضبه عليه أكثر من رغبته بقتله.. وكأنه يراه لوريس بهذه اللحظة..

وحاول ألكسندر إنقاذ نفسه حين شعر بأنه لم يعد يحتمل أي ضربة بعد، وهمس بهوان وأنفاس مرتبكة:

- توقف.. يك....

ولم يستطع إكمال كلمته بسبب اللكمة القوية التي تلقاها على وجهه.. شعر معها بأن صوته قد سلب منه.. وبتنفسه ينقطع تاركاً رثيته اليتيمتين تصرخان طلباً للهواء وتشوشت رؤيته.

شعر بدموعه التي سقطت بانهار كما المطر واستمع لصوت يناديه قد أصبح بعيداً.. وازدادت رؤيته تشويشاً ولم يستطع مقاومة روحه التي سحبت بعيداً مغمضة معها عينيه.

لم يدرك بأنها إيريني التي دخلت فور استماعها لصراخ جوليان حين دخلت ليهو الجناح تنوي زيارته لمدة.. وبأنها هي من أبعدت ابنها عنه وتلمست خده تصرخ باسمه تحاول إفاقته بقلب ويدين مرتعتين بينما شعرت بأنفاسه المسلوية وتراءى لها مظهره المنهك بشدة، ورغم مسحها اللطيف لوجنتيه ودموعه وتحريكها لرأسه عدة مرات لتفيقه إلا أنه لم يستجب أبداً كما لم تتوقف دموعه.. وكأنه يبكي دون إدراك ورغبة.. وزادت صرخاتها والتي أصبحت تنادي على آرسن حينما أغلقت عيناً ألكسندر التي كانت في الأصل نصف مفتوحة موقفة معها دموعه التي أظهرت كم يأسه وحزنه.. وانكساره.

نظرت إيريني لجوليان بذعر وصرخت بانهار:

- اذهب لآرسن! أحضره!

وعادت تمسد شعر ألكسندر الساكن تنادي عليه.. وحين لم تجد من هذا الواقف خلفها أي استجابة نهضت هي خارجة تصرخ على الحراس القريبين ليحضروا آرسن.. تقدم فيتالس مع زوجته وإيلينا متسائلين بينما هموا بسندها خشية انهيارها في أية لحظة.

ولم يتأخر آرسن أبداً.. جاء راكضاً ودخل للغرفة ناظراً لجسد ألكسندر الهامد الموضوع على السرير بالعرض مصدوماً.. التف لجهة ألكسندر يواجهه ناظراً لوجهه المجروح الساكن ولملابسه الدامية من ذراعه التي علم فوراً بأن جروحها قد انفتحت.

حاول إنعاش جهازه التنفسي أولاً ضاغطاً بقبضته بشكل خفيف على صدره وبإجراء التنفس الاصطناعي.. فشل لأول مرتين.. وشعر كما لو أنه لن يستطيع إنقاذه أبداً.. لكنه رغم ذلك لم يتوقف.. وظل يحاول بأمل ضئيل منادياً عليه في كل مرة.. وكاد يستسلم.. إلا أنه شعر بتنفس ألكسندر قد عاد مع آخر ضغطة ليتنفس بارتياح كبير.. جلس بجانب ألكسندر متنفساً بعمق مهدئاً روعه.. وضع كفه على جبهته وبداية شعره قبل أن ينظر حوله لمن دخل الغرفة.. وكان الجميع متواجداً بالفعل.

نظر لجدته التي جلست بتعب على الكرسي بينما كانت أعصابها مشدودة خشية فقده.. لم

يحتمل أكثر حيث سأل غاضبًا:

- هل لي أن أعرف ما الذي جرى؟

ولم يسمح لأحد بالإجابة لأنه وقف ناظرًا لجوليان متأكدًا بأنه السبب لأنه الوحيد الذي تواجد في الغرفة حين دخوله وتحدث صارخًا:

- لقد فقد والديه دفعة واحدة! كاد يموت من صدمته ومن شعور اطمئنانه الذي تلاشى طائرًا مع الهواء! لم أستطع فهم شعوره المعقد منذ أنه كان يبكي أثناء نومه مناديًا والديه.. لماذا فعلت هذا به؟! ما ذنبه لو كنت تكره لوريس؟! أجبنني! هل تعلم حتى كيف أصيب بهذه الجروح المتواجدة على ذراعه والتي قمت أنت بزيادتها سوءًا؟! دفاعًا عني من عدو حاول قتلي! عرض حياته للخطر لعديد من المرات لأجلي ولم يخف أبدًا.. قدم لي المساعدة بصدر رحب ونسي نفسه الموجوعة على ما فقد.. أي قلب تمتلك.. لتفعل هذا به؟!!

كان الجميع متفاجئًا من ثوران آرسن الذي انتهى بنبرته المخدولة في عمه وبعينيه اللتين لمعتا من دموعه، وتفاجأ الجميع أكثر بجوليان الذي رد عليه بغضب وكأنه قد فقد تحكمه في نفسه:

- وهل تصدق بأنه فعلاً فرد من هذه الأسرة؟ إنه ليس منا آرسن! ولو سألتني عن رغبتني فسأخبرك بأنني أريد قتله.. دام أنه من طرف ذلك الملعون فسأقتله!

كان آرسن مصدومًا منه.. حيث رد عليه بنبرة أكثر علوًا وسخطًا:

- أنا أشعر الآن بأنني حقير للغاية لأنني أحضرته هنا رغم نفوره! كان يعلم بأن هذا سيحدث منذ أنك تخلّيت عن والده وأعلنت وفاته! كان يحاول تخطي فقدان والديه والاستمرار في العيش.. لقتله أنت؟! أي حق تمتلك.. لتمد ذراعك عليه?!!

ظل آرسن يراقب جوليان الذي حدق فيه لثوان قبل أن يخرج مسرعًا.. مسح وجهه بعنف وتحدث بنبرة هادئة:

- اخرجوا جميعًا.. سأعالجه.. ولا أريد أن أستمع لشيء.

اقرب آرسن مجددًا من الفراش ورأى حينها خنجر جوليان العالق بالمرتبة، ونقل عينيه لألكسندر فاتحًا أزرار قميصه ليخلعه ناظرًا للصدره الذي بدأت كدماته تتضح متجاهلاً خروجهم

واحدًا تلو الآخر.. وقد بقي ليام لفترة ينظر لألكسندر يهدوء وكان آخر من خرج بعد أن نادته والدته.

نظر آرسن لوجه ألكسندر إثر الضربات التي تلقاها ولشفته التي نرفت وتنهد زامًا شفثيه بينما حاول كبح دموعه من منظره.. وهمس بينما بلل وجه ألكسندر بالماء:

- يا إلهي.. ساحمني.. كل ما كنت أريده هو أن توصل دفء قلبك لهذا الوطن البارد ألكسندر.. والذي كتب عليك أن تكون جزءًا منه رغمًا عنك.



الفصل العاشر

اهْتِدَامٌ بِوَاسِطَةِ غَافِلٍ



"حتى كلمة الأبد كنت أعلم بأنها لا تدوم طويلاً، ورغم ذلك تمسكت بكل التفاصيل التي اعتدتها.. وها أنا أشعر الآن بأني ساخط كل السخط وأنا أراها تغادرنى من دون ترك أي ذكرى ومن دون مقدرتي على فعل أي شيء يذكر" ..

..

مرّت ساعتين منذ انتهى آرسن من علاج ألكسندر، كان جالساً في غرفته على طرف سريره يحرق في الفراغ شاردًا، على الرغم من أنه قد غسل وجهه بالماء عدة مرات ليستفيق من شروده لكنه لم يلتمس أي فائدة.

طرق الباب وانفتح.. وحين نظر آرسن لمن دخل وجدها إيلينا التي أغلقت الباب خلفها بهدوء، واقتربت لتجلس بجانبه واضعة كفها على كفه تمسكها مسكة خفيفة ناظرة له.. وكادت تتحدث إلا أن آرسن قد تحدث أولاً:

- أنا آسف فعلاً إيلينا.. خروجي من القصر كان لأجل ألكسندر.. هذا ما لم أرد لأي شخص أن يعرفه حتى عودتي.. آسف لإثارة قلقك في كل مرة.

تنهدت إيلينا باستماعها لنبرة صوته التي لا زال الحزن واضحاً فيها.. وابتسمت ابتسامة خفيفة متحدثة:

- لكن هذا لا يهم الآن آرسن.. لقد جئت لأجلك.. للاطمئنان عليك أنت.. أنت بخير؟

أوماً آرسن وتحدث كما لو كان يجاوب غضباً:

- بخير.. مع قليل من الندم الذي احتل تفكيرى.

أوماً هي بينما تمسكت بكفه أكثر وتحدثت بدفء:

- لكنني فخورة بك جداً.. هل تعلم؟

نظر لها وابتسم بتكلف لتكمل هي:

- لقد كنت كالبطل وأنت تحاول بكل جهدك وأمانيك لتتقده.. أرجوك يا ألكسندر هيا!!

أرجوك!!

قامت بتقليد نبرته القلقة بإتقان ليضحك أرسن ضحكة خفيفة وتبتسم هي متحدثة:

- أنتما بخير.. وهذا هو كل ما يهم وبالتأكيد أنت تعلم.. بأن ما حدث هو..

سكنت لتسمح له بالإكمال.. وكما أرادت هو تحدث:

- ماض وانتهى.. سواء أكان مقصوداً أم لا.. وبأن علينا السعي لتصحيح أخطائنا.

أومأت وابتسمت ناظرة لعينييه مباشرة.. ولم يستطع تجاهل هذه النظرات وتلك الابتسامة اللطيفة والتي تسببت في ابتسامته هو الآخر.. لكنها كانت من كل قلبه هذه المرة، وربتت على ظهره بينما سألت:

- هل أنت بحاجة إلى قليل من الحنان والعطف والاهتمام المركز؟

خفت ابتسامته، بينما بقي ينظر لعينيها من دون أن يتحدث كما لو كان يجاوبها بعينييه.. وضحكت هي متحدثة:

- أنا أمزح.. ما بك؟!؟

نظر لها مذهولاً وبدأ مستاء حيث أفصح:

- لكن أجل!

واختتم حديثه ضاحكاً لتضحك بينما لفت جسدها مقابله.. وجذبتة برفق تعانقه لينقاد لها مرخياً رأسه على كتفها وأعلى صدرها بينما حاوط خصرها بذراعيه هو الآخر يبادلها العناق.. شعر بكفها التي كانت تربت بها قبلاً على ظهره قد شارك تربيتها مشيها المواسي على ظهره بلطف، وبطبطبة كفها الأخرى على خده المكشوف وشعره.. لا ينكر بأن عينييه قد عادتا تدمعان.. لا يعلم السبب بالضبط.. لكنه دوماً ما شعر بالأمان الكبير كلما تواجدت هي حوله.. وبكل لمسة منها كانت تزهو آلاف الورد المنعشة في صدره.. فما باله بعناقها الذي يهد كل دفاعاته التي يحمي نفسه خلفها.. معطيًا إياه الحياة المطلقة ويشعره بالطف المشاعر وأجملها.. ويزداد حبه لها بشكل يشعر معه بأن قلبه على وشك الانفجار.. لكنه لم يكن قلقاً أبداً بشأن هذه النقطة.. فمهما حدث

له لأجلها.. سيكون راضياً كل الرضا.

تنهد آرسن بينما تحدث:

- إيلينا.. أشعر الآن بأنني قادر على محاربة تين ضخيم يمتلك ذيلًا يرمي به أشواكًا سامة من دون أن أشعر بالتردد للحظة.

ضحكت هي بشكل خافت بينما تحدثت:

- التنانين مخلوقات خيالية.. قل شيئًا أكثر واقعية.

ابتسم بينما سأل:

- ألا تشعرين بالفضول حول ألكسندر؟

وأجابت فورًا:

- الفوضى عارمة في الخارج بسبب ما دار بينك وبين أبي.. جميع العائلة تتساءل حول ما قيل.. لكنني أهتم لك أكثر.

فك عناقها ناظرًا لها بينما أكملت:

- وبالتأكيد أنا أمتلك الفضول أيضًا.. لكنني لن أطلب منك أن تحكي لي شيئًا حتى تشعر أنك بخير.

تحدث آرسن:

- سأبقى بجانبه لهذه الليلة.. بالتأكيد حين يستيقظ سينهار.. أخشى ما سيحدث وقتها.

زمت شفيتها كأنها تفكر في حل.. وتحدثت بعد لحظات:

- جميعنا ضد تصرف أبي.. لكن.. آرسن.. حين كنت في الغرفة، شعرت لوهلة كما لو أنه ليس أبي، ليس الملك جوليان الذي نعرفه.. كان هناك حزن كبير حملته عيناه، وحتى نبرته التي رد بها عليك كانت مهتزة.. أعتقد بأنه يشعر بالذنب لكنه لا زال ساخطًا.

سأل آرسن:

- أين هو الآن؟
- أجابت هي بهدوء:
- ذهب لغرفته ولم يسمح لأي شخص بالدخول بعدها حتى والدتي.
- تنهد آرسن وتحدث:
- لكن مهما حدث.. ذلك لا ينفي بأنه قد أخطأ.. وبأنه كاد يقتل فتى لا يزال في السادسة عشر!
- وأومأت إيلينا هامسة:
- أجل.. أنا أعلم.
- نهضت إيلينا بينما تحدثت:
- سأدعك لترتاح الآن.. أفرغ عقلك من أفكاره واسترخ قليلاً.. سأخبر الجميع بالأياتوا للجناح.
- أوماً آرسن لتخرج، وجدت ليام يقف بالخارج ويبدو كما لو كان ينتظرها.. تقدم منها ماشياً بجوارها سائلاً:
- هل عرفت من هو ألكسندر؟
- نظرت له وتحدثت:
- لم أتحدث مع آرسن بهذا الشأن.. اكتب فضولك يا ليام.
- تحدث ليام متنهداً:
- سمعت بعض الأحاديث بين أمي وأمك.
- نظرت له بهدوء بينما تحدثت بعد لحظات:
- ماذا سمعت؟

ورد بنبرة ساخرة:

- اكبت فضولك يا ليام!!

نظرت له بسخط وأسرعت من خطواتها مبتعدة عنه ليمشي هو خلفها يوقفها ممسكاً بذراعها متحدثاً بتهوين:

- انتظري كنت أمزح.. يا إلهي!! سأخبرك سأخبرك!

تنهدت بنفاد صبر ليتحدث:

- سمعت اسم الأمير لوريس كثيراً.. وبالنظر لآرسن الذي يعرفه هو والملك جوليان.. هل تعتقدين بأن ألكسندر ابنه؟

سألت هي ساخرة:

- كيف يكون؟ الأمير لوريس مات قبل سبعة عشر عاماً!

تحدث هو مندفعاً:

- ماذا لو لم يكن؟؟ لماذا يتكتم الجميع ويعدلون عن الخوض في الموضوع؟!

تنهدت هي بينما فهمت ما يريد الوصول له لتتحدث:

- هذا احتمال ضعيف ليام.. وأرجوك...كـ...

قاطعها هو سائلاً بنبرة آلمة:

- ماذا لو كان أبي أيضاً لا يزال حياً؟ ماذا لو أنهم نجوا من الحرب!

تحدثت إيلينا بحزم بينما ظهر الضيق على قسماات وجهها:

- لا تعط نفسك الفرصة لتعيش على ضوء وهمي يا ليام! وحتى لو افترضت ذلك.. لماذا لم يعودا لهما بعدها؟! كلاهما مات!

وأدركت هي سوء ما قالته حين خف سرور ليام حتى لم يعد موجوداً بينما انخفض كتفاه.. مرت ثوان ليزم شفثيه مومئاً عدة مرات ناظراً للأرض هادئاً.. وتنهدت بينما فركت جبينها

وتحدثت برق بعدما بينا مدت كفها تضعها على كتفه:

- أعتذر يا ليام.. لكني خائفة عليك.. وعلى قلبك.. لا أريد أن تعيش على أمل غير موجود هل تفهمني؟

أوماً ليام بينا أبعد كفها بلطف متحاشياً النظر لها وتراجع للخلف بينا أشار لخلفه بشكل عشوائي وتحدث:

- سأذهب لغرفتي الآن.

والنف ماشياً بسرعة لتتهد هي بينا زمت شفيتها تحاول كبج دموعها بينا تنظر له ورغم ذلك قد امتلأت عينها دموعاً حتى اختفى عن أنظارها تماماً.. هي لم تقصد.. لكن رؤيته متألاً طوال الوقت ظهور والده الذي لم يره يوماً يؤلم قلبها.. كانت تتساءل كثيراً.. كيف يحبه لهذه الدرجة وهو لم يعيش معه؟ لم يعرف طباعه ولم يعرف أسلوبه وشخصيته.. فكيف يبدو متعلقاً به بهذا الشكل؟

دخلت لجناحها لتجد إيلاريون واقفاً بالداخل.. وبدا وكأنه هو الآخر ينتظرها! رمت بجسدها على الأريكة ليتقدم هو سائلاً بإحباط:

- إلهي لماذا هذا التعبير على وجهك؟ هل جرحك بحديثه لأذهب حالاً وأرمي به من نافذة غرفته؟

تحدثت هي بضيق تنفي التهم الملقاة على المسكين آرسن:

- تحدثت بشكل فطيع مع ليام.

تحدث هو متوقفاً:

- أفترض بأنه جلب سيرة والده مجدداً؟

أجاب:

- مؤمن بأنه ما زال حياً.. لا أفهمه.. لقد مات والده بينا لم يتم هو السنة حتى!

تحدث إيلاريون:

- لا تكوني حقاء.. لا تخبريني بأنك تظنين بأنه يتأمل حياته لأنه محبه!

نظرت له إيلينا مستفهمة ليتحدث بينا جالس بجانبها:

- الأمر أعمق من أن يكون مجرد حب.

تنهد بينا عاد بظهره للأريكة مكتفياً ذراعيه وتحدث:

- هل تذكرين حينما كان في الخامسة؟ أحدث ضجة ذات يوم بعدما انفجر بسخطه على الجميع وقام بضربي حالما سألته عما يغضبه وكنت وقتها في الثالثة عشر.. حدث ذلك لكونه يرى الجميع في القصر يمتلكون أباً عدا.. هذه هي النقطة، ليام يشعر بالفراغ، أو بأن هناك ما ينقصه.. أعتقد بأنه يمتلك الفضول أيضاً حول المشاعر بين الأب وابنه.. ولا أعتقد بأنه قد تخطى كل ذلك بعد.

ظلت إيلينا تنظر له بشروء كما لو أنه ذكرها بشيء كانت قد غفلت عنه.. وتحدثت بهدوء ونبرة خائبة حزينة:

- لكنه يؤلم نفسه.

وفوراً تحدث إيلاريون:

- وذلك ليس بإرادته كذلك.

ما حدث زاد تشتت الأسرة تشتتاً.. مائدة العشاء لذلك المساء لم يجلس عليها عدا والدة ليام، والدة أرسن ووالده ووالدة إيلاريون مع أبنائها الثلاثة وحسب، وكان ذلك محبطاً لإيلينا أنها لم تر أرسن منذ خرجت من غرفته، وكان القلق يساورهم جميعاً حول الجدة إيريني التي استكفت البقاء في غرفتها والملك جوليان الذي فعل المثل غير قابل للتحدث مع أي شخص.

وحتى ليام لم يظهر.. وذلك زاد إيلينا إحباطاً وشعوراً بالذنب.

أصوات تصادم المعالق والشوكات بالأطباق كان مزعجاً للجميع بسبب الصمت السائد على غير العادة موضحاً سوء غياب صاحبة البهجة، وقد تساءل سيلفان عدة مرات ببراءة عن

الأشخاص المفقودين، لكن الجميع كانوا يجيبونه بسكوتهم ليستسلم هو عن السؤال مجدداً. ورغم قلة المدة التي أكلوا فيها حتى بدأوا ينسحبون واحداً تلو الآخر.. شعر إيلاريون كما لو أنهم أكلوا لوقت طويل جداً.. وكان ممتناً لأن هذا الجو المتوتر الساكن قد انتهى حيث ذهب كل منهم لما يشغله.. وذهب هو ليتدرب مع بعض الحرس لعدة ساعات متتالية على القتال بالسيوف في الظلام هادفاً تقويه حسه الإدراكي لأقل الحركات من حوله، وحال انتهائه شكر الحراس بينما نال منهم مدحاً على تطوره المستمر.

وقصد جناحه فوراً نائياً الاستحمام والنوم.. ورأى في طريقه آرسن الذي دخل لجناح ألكسندر بهدوء ليتنهد.. متمنياً لو استطاع هو وعائلته التعرف على الفتى الذي ظهر فجأة كفرد من عائلته.. متسائلاً لو كان ذلك حقيقةً فعلاً؟ أم أن الجو الغريب الذي يسود الأسرة بسبب تواجده بني على وهم وكذب؟ ونظر لضوء القمر الساطع من نافذة الممر بجانبه لثوان قبل أن يتنهد مجدداً مكتملاً مقصده.

حدود ناظرية مألها البياض الناصع، وتداخل الأصوات العديدة بشكل غريب ومخيف كان كل ما استمع له، مرت ومضات لحظية لكل ما مر به، استمع من بين تلك الأصوات لأصوات يعرفها جيداً.. والديه.. إيلان وآلاس.. وحتى روديون! سرعة تلك الومضات لم تسمح له حتى بالصراخ لينادي.. كان لسانه معقوداً بينما شعر بالرهبة الكبيرة في قلبه، يبدو كما لو أنه خاض في جولة سريعة لماضيه.. انتهت باستماعه لصراخ عالٍ غاضب كان آخر ما استمع له حين كان واعياً.. وانقلب الوميض لضوء أسود وهمسٍ برقة "ألكسندر؟".

كان آرسن غارقاً في النوم على كرسي بجانب سرير ألكسندر الذي كانت ملامحه منقبضة إثر كابوسه.. حيث فتح عينيه شاهقاً مفزوعاً.. ونهض بسرعة جالساً شاعراً بالعرق الذي يغطي وجهه ويبلل شعره.. نظر حوله لتقع عيناه على آرسن الذي قد استيقظ لتوه من صوت حركة ألكسندر المسموع وأنفاسه العالية.. نهض آرسن بسرعة قاصداً الجلوس على طرف السرير إلا أنه تفاجأ حين رأى ألكسندر يتراجع لبداية السرير محاولاً الابتعاد عنه، نظر لعينيه المفزوعتين ووجهه المغطى بالعرق وتحدث برفق بينما جلس ببطء:

- ألكسندر! أنا آرسن.. لماذا تفزع؟ اهدأ.

شعر بالسوء.. رهبة ألكسندر كبيرة وواضحة في عينيه لدرجة أنه استطاع الشعور بها.. عيناه مليئتان بالدموع لكنها ساخطة غاضبة، وتحدث آرسن بهدوء:

- أنت في أمان الآن.. حسنًا؟ لن يجرؤ أحد على لمسك.. أعدك ألكسندر.. أنا أعلم الآن بأنك تلومني.. وأنا أعترف بخطئي.. لكن صدقني يا ألكسندر لم أعلم بأن الأمر سيصل لهذا الحد.

مد كفه ليلمس كف ألكسندر المرتجفة بشدة يأمل لو يستطيع بث الاطمئنان لقلبه من خلالها ليوقف ارتجاجها القوي هذا.. نظر لألكسندر مجددًا بأسى وتحدث:

- هل تستطيع التنفس جيدًا؟ هل هناك أي ألم في صدرك؟

ظل ألكسندر ينظر له قليلاً قبل أن ينفي برأسه بشكل خفيف بطيء ليقرب منه آرسن معانقًا إياه بقوة متحدثًا:

- شكرًا للإله.. لقد كدت أموت قلًا عليك.

ظل ألكسندر متصنمًا لعدة ثوان ينظر للفراغ بعينين خاملتين بشروء.. وكأنه كان ينتظر هذا العناق ليفرغ محتوى قلبه.. وقام بوضع وجهه على كتف آرسن وبكى بقوة أفلقت آرسن عليه مجددًا.. شعر بكفيه المرتجفتين تحاوطه بضعف واستمع له يتحدث من بين بكائه:

- لقد رأيت والدي.. أخبراني بأن أذهب لهما لكني بقيت واقفًا أحرق فيهما ولم أتحرك.. كانا يريدان عناقني لكنني لم أفعل..

تحدث بنبرة عميقة مهتزة جراء بكائه:

- قلبي يؤلمني.. أشعر كما لو أن هناك من يعتصره بقوة بكفه لأتألم وأختنق.. يا إلهي.. أشعر بالاختناق الوهمي.

دفع آرسن عنه ليقابله بوجهه.. لا زالت دموعه تنساب بغزارة، لكن ملامحه كانت آملّة بشدة حين تحدث:

- هل رأيت ما حدث؟ هل الجميع سعيد الآن؟ يكفي.. صحيح؟ أخرجني من هنا كما

أحضر تني أرجوك.. أعدني لإليان، وأعدك بأنني لن أحدث عن أي شيء واجهته داخل القصر.. حسناً؟

ظل أرسن ينظر له بأسى ليكمل ألكسندر بينما ابتلع ريقه ومسح دموعه بكفيه محاولاً إقناعه:
- اسمعني.. لو بقيت هنا لوقت أطول.. أقسم بأنني سأموت.. أنا لا أحتمل البقاء هنا.. لا أستطيع الشعور بالهواء الذي يدخل رئتي ولا حتى بنفسني وحياتي.. أنا لا أأتمني هنا.. حتى لو كان والذي كذلك.. أشعر بأنني في كابوس..

مد كفه متمسكاً بكف أرسن بقوة بينما تحدث بنبرة بدت واضحة من بين ثنايا اهتزازات صوته وبكائه:

- أرجوك أخرجني.. سأكون ممتناً لك لبقية حياتي..

مرت ثوان ظل ألكسندر ينظر فيها بعينه اللامعة لعيني أرسن بترجٍ ينتظر رده بالموافقة..
تهدد أرسن ليزدرد ألكسندر ريقه.. ها هو ذا.. سيوافق.. سيوافق..

وقام أرسن بسحب كفه من بين كفي ألكسندر بينما نظر لألكسندر هدهوء وأفصح:
- لا أستطيع.

ظل ألكسندر ينظر له لثوان قبل أن يغلق عينيه بضجر متألماً لأفأ وجهه للناحية الأخرى مخرجاً نفسه الذي كان يترقب إجابته هو الآخر بصوت مسموع.. وها هي عيناه بدأت تمتلئ بدموعه مجدداً.. حيث عاد ينظر لأرسن وصرخ بألم:

- إذا لماذا جئت؟ لتراني مكسوراً منهاراً أترجأك لتخرجني؟ هل يا ترى أنت سعيد الآن برؤيتي بهذا الشكل؟ وهل تعتقد بأن كل ما أفعله الآن لا أدعس به على قلبي لأحطمه أكثر؟
التقط نفساً بارتجاف وصوت مسموع ألم قلب أرسن لأجله أكثر.. ونظر لعيني ألكسندر حين نطق بنبرة حاول بها كبج بكائه القادم:

- اخرج.

قبض أرسن كفيه بشكل خفيف بينما زم شفتيه.. ونهض.. ظل ينظر لألكسندر الذي أبعد

وجهه عنه لثوان قبل أن ينبس بهدوء:

- تعايش يا ألكسندر كما اعتدت التعايش دومًا.. احظ بليلة هنيئة.

وحرك أقدامه ليخرج.. وما أن أغلق الباب خلفه حتى هوى ألكسندر بجسده بقوة على سريره تعبيرًا عن ضيقه وغضبه بينما سحب الغطاء ليغطي به جسده بالكامل متكورًا على نفسه.. وثوان، وكان بكأوه الهادئ هو كل ما يستمع إليه في الغرفة.

بينما من جهة أخرى حين خرج أرسن نظر لجدته التي كانت تقف على مقربة منه تحديق فيه بأعين هادئة ظهر فيها الحزن.. لم يستطع أن يرتدي قناع الصلابة أمامها مطلقًا.. هو مهدوم ويشعر بأن مشاعر ألكسندر المعقدة قد أفقدته طاقته فما عاد يستطيع التماسك أكثر.. مشى.. واستند على أقرب طاولة صغيرة بجانب باب الغرفة محدقًا بسطحها بفراغ.. وتنهد مغمضًا عينيه أخذًا نفسًا عميقًا ونظر لكف جدته التي غلفت وجنته بعدما شعر باقترابها منه، حيث رفعت رأسه ناحيتها بكفها وتحدثت:

- آرسن؟

غلفت وجنته الأخرى بكفها الأخرى وحرسته برفق ليستقيم واقفًا من انحنائه تاركًا استناده على الطاولة، ورغم ذلك لم يستطع النظر لعينيها.. وتحدثت هي بينما لا زالت تعانق وجنتيه بكفيها من دون ملل:

- أخبرني بالذي يؤلمك؟ لم أرك أبدًا رغم تحريج الظروف والأقدار لقلبك هكذا! أهو بسبب ألكسندر؟

تنهد آرسن وتحدثت:

- أسألك دومًا يا جدتي.. لماذا ليس بإمكاننا التصرف كما لو أننا عائلة؟ رغم أننا بالفعل كذلك؟ الطاعون.. لم يكن مجرد وباء يفتك بالأجساد مطيحًا بالأرواح ولم يصبنا.. أصابنا.. وأمات كل شيء جيد وجد في هذه الحياة.. حتى ألكسندر.. رغم أنه واحد منا إلا أنه يرفض التصديق.

أدمعت عيناه بشكل واضح نهاية حديثه، واستمع لجدته التي تحدثت بهدوء:

- استمعت لكل ما دار بينكما.

نظر لها وتحدث:

- لكنك لم تري نظراته.. لم يكن يكذب ولم يكن يبالي حين أخبرني بأنه سيموت لو بقي هنا أكثر.

ربت على شعره بينما تحدثت مبتسمة:

- آرسن.. سيكون بخير لا تقلق.. لقد نجا من الحالة الصعبة.. ألن يكون قادرًا على التخطي الآن؟

عاد ليتنهد مجددًا بينما تمالك نفسه ودموعه.. غلف كفها بكفه، واقترب منها مقبلًا رأسها لترت على ظهره وتتحدث:

- اذهب لترتاح الآن.. وغدًا عليك التفكير في الخطوات القادمة.

تحدث هو سائلًا:

- وماذا عنك؟

ابتسمت بينما تحدثت بدفء:

- سأبقى بجواره.

أوماً متحدثًا:

- فهمت.. ويا جدي.

همهمت بحماسة ندائه ليصمت بتردد لشوان قبل أن ييوح:

- بكائي.. هلا أبقته سرًا بيننا؟

توسعت ابتسامتها بينما تراءى لها مظهره اللطيف المحرج لتغلف وجهه بكفيها مجددًا بلطف متحدثه:

- هذا أكيد يا عزيزي.

وبادلهما هو الابتسام قبل أن يخرج، ودخلت لألكسندر من دون أن تطرق الباب لتراه هامداً على السرير معطيًا إياها ظهره ويقابل النافذة.. تقدمت بهدوء حتى رأت جانب وجهه الظاهر من نور القمر الضعيف المتسلل من النافذة لترى عينيه المفتوحتين قليلاً.. ويبدو كما لو أنه شارد لمكان بعيد كل البعد عن هنا، وكلما اقتربت زيادة.. كانت دموعه المسدولة على وجهه ووسادته تصبح مرئية أكثر.

زمت شفتيها.. جلست على طرف السرير واضعة كفها على شعره تربت عليه.. وانخفضت تقبل رأسه.. بينما لم يصدر هو أي ردة فعل، فتحدثت بهدوء:

- جوليان.. بات يغض لوريس بشدة ويغضب حين ذكر اسمه حتى.. لأنه يراه خائناً.. ترك المملكة والعائلة في عز انهيارهما وهرب.. من دون أن يهتم أو يسأل.. ولم يظهر في جنازة والده وشقيقه الأكبر وتهرب من الحكم باختفائه.. وفي يوم وليلة ألقيت المسؤولية بكاملها على عاتق جوليان الذي لم يتوقع أبداً بأن يصبح هو الملك.. وتقدم لهذا المنصب لأجل المملكة محاولاً ترميم قلوبنا المجرحة بسنوات مزدهرة جديدة، لكنه لم يعلم بأن حتى بمجيء مثل هذه الأيام في حياتنا لن نستطيع نسيان كل ما حدث.

تنهدت قبل أن تكمل:

- إنه مجروح.. لكنه لم يظهر ذلك، وظل يتجاهل مشاعره لسنوات حتى باتت كالبركان الذي يثور حال مرور ذكراه.. وظهورك أمامه فجأة جعله مصدوماً غاضباً.. لأنه لم يتوقع أبداً ظهور أي شخص من طرف لوريس.. ليس بعد خيانتته.

تنفس ألكسندر بشكل ملحوظ لتدرك بأنه عاد يبكي لتتحدث:

- لكن ذلك لا يعطيه الحق أبداً لفعلته.. ليس ذنبك أن والدك قد هجر عائلته.

كانت جملتها الأخيرة هادئة عن بقية حديثها، محبطة مخدولة.. وبذات النبرة أكملت:

- مرت سبع عشرة سنة.. كساعة.. جميعنا لا زلنا متأثرين بما حدث رغم مرور كل تلك السنوات.. ليرهام أصبح منغلماً على نفسه منذ عاد من الحرب.. رأى والده وشقيقه الأكبر يموتان أمام عينيه، وحين انتظر مواساة شقيقه الذي يحبه بشدة وجدته قد اختفى دون ترك أثر..

لقد كان مؤلماً يا ألكسندر.

عادت تربت على شعره بينما سألت:

- هل كنت تظن بأننا لا نمتلك أوجاعاً؟ وبأن بعضنا كرهوا لوريس بدافع التسلط فقط؟
حتى أنت يا صغيري حملت أوجاعاً أكبر منك.

تحدثت بعد مرور لحظات من الصمت:

- أعتذر لأنني أخبرك بهذا بينما لا زلت متعباً.. لكنه جزء حياتك المتوجب عليك معرفته،
وقع القدر المكتوب كالكابوس.. لكن بإمكانك تحويل هذا الكابوس لحلم جميل.. وهذا الحلم
الجميل لواقع أفضل.. نحن موطنك، وأنت جزء مفقود منا وجدناه أخيراً.

نهضت وكادت تخرج، لكنها توقفت حين تحدث ألكسندر بنبرة ضعيفة:

- الوطن لا يجرح.. الوطن لا يؤلم قلب فرد.. وطني الذي أنتمي إليه تلاشى.. مات
وانتهى.. وأصبحت بلا موطن يا سيدتي وسأبقى..

شعرت بالاستياء لتلقيب ألكسندر لها بسيدتي.. وردت بهدوء:

- لست بسيدتك ألكسندر.. أنا جدتك، حتى لو أنكرت وكرهت سأبقى جدتك.. تصيح
على خير.

كانت تلك آخر كلماتها قبل أن تخرج ليتنفس ألكسندر بعمق منقلباً على ظهره يحدق في
السقف العالي بشروء.. نهض وتألّم من كدمات جسده قليلاً، واقترّب من النافذة ناظراً لساحة
القصر الخارجية ليجدها مليئة بالحراس ليدرك بأنه لا يمتلك الفرصة ليهرب.. السماء معتمة
بشكل خاطف.. علم بأنها عتمة ما قبل الفجر والإشراق.. وعاد لسريه حين شعر بالنعاس بعد
بكائه الطويل.. وأخرج القلادة من حيث أخفاها وارتداها واستلقى يحدق فيها حتى نام رغماً عنه
بهدوء وسكينة.. كما لو أن كلام جدته كان تهويده أبعدت عنه أفرع الكوايس ليستغرق في نومه
بهذا الشكل.

بعد ظهرية اليوم التالي بشكل حربي كان آرسن يجر أقدامه جرًا بغير رغبة منه للنهوض وخوض يوم جديد.. دخل لغرفة الطعام بما أنه موعد الغداء عوضًا عن الإفطار الذي قضاه نائمًا ليتفاجأ بوجود عمه ليرهام الذي شاركهم المائدة، بينما لم يكن جوليان موجودًا كما توقع.

وكان ليرهام في الثامنة والثلاثين من عمره، يمتلك جسدًا طويلًا نحيفًا مع شعر أسود ناعم طويل يصل لكتفيه وعينين خضراوين وبشرة بيضاء شاحبة.

دخل آرسن ملقيًا التحية وجلس ليستغرب ردودهم البسيطة ليشعر بالجو المتوتر.. نظر ليرهام ليجدته ينظر له ليتحدث آرسن أولاً ملحنًا اسمه بجدية:

- الأمير ليرهام.

تنهد وأردف:

- متى قررت الخروج للعالم؟

بالنسبة لآرسن كان هو و ليرهام صديقين أكثر من عم وابن أخ، لم يكن فارق العمر كبيرًا لتلك الدرجة من وجهة نظره وهذا ما ساعد ليصبحا مقربين رغم انزعال ليرهام الدائم عن الجميع، وظل ليرهام ينظر له بهدوء قبل أن يتحدث بنبرته الهادئة البطيئة:

- ابن لوريس؟! وهنا؟!

نظر آرسن لجذته ليجدتها تصوب نظراتها نحو ليرهام قبل أن تتحدث:

- لقد سألتني مرة وجاوبتك! هل قررت الانضمام لنا فقط لأجل هذا الأمر؟

تنهد آرسن بينما وضع أول لقمة في فمه ناظرًا لإيلينا التي كانت تنظر له لتسأله بإيماءاتها إن كان بخير.. ابتسم بشكل خفيف بينما أومأ ناظرًا لإيلاريون ليرى إلى أي مدى ستصل غيبرته على شقيقته الآن.. وعلى العكس.. وجده يحقد في صحنه محرّكًا طعامه بالشوكة بغير رغبة في الأكل.

عاد ينظر لإيلينا التي نظرت لشقيقها هي الأخرى متنهدة، لكنها سرعان ما طلبت منه بناظرها أن ينظر لليام الذي كان يأكل بكل هدوء بجانبه مستمعًا بإحكام للحوار المشتد بين ليرهام وإيريني بينما البقية كانوا هادئين كما لو أنهم يريدون لهذا الحوار أن ينتهي باستثناء سيل

الذي ظل يسأل والدته وإيلاريون عن غضب العم والجدّة، وعاد آرسن ليركز مع ليرهام الذي يوجه حديثه له:

- ما كان عليك المجيء به إلى هنا.. لماذا أطلعتّه على الحقيقة في الأصل؟ كان بإمكانك تركه ليعيش حياته كشخص عادي!

كاد آرسن يجيب إلا أن إيريني تحدثت بنبرة عصبية:

- ألكسندر فرد من العائلة حتّى لو لم تكن موافقًا وسيبقى.. وأنا من سيحفظ له حقه لو كنتم تنوون التبرؤ منه أو قتله!

تحدث ليرهام بهدوء ناظرًا بتحدٍ لوالدته:

- والده مجرد حقير خائن أم أنك قد نسيت عاره علينا؟ وبالتأكيد بما أنه ابنه فسيمتلك نفس القدر من الحقارة.. سيخدعك.. إلا لو كنت تريد ذلك فعلاً.. يا والدتي!

تحدث فيتالس غاضبًا:

- ليرهام.. راقب كلماتك وحادث جلالته الملكة جيدًا!

وكاد ليرهام يرد عليه إلا أن آرسن قد نهض مقاطعًا حديثهم متحدّثًا بانزعاج بينما ينظر لليرهام بعتاب:

- شكرًا على الطعام.

وكاد يتحرك خارجًا.. إلا أن جوليان قد دخل ناظرًا له بنظرات تشتعل سخطًا، حيث أبعاد ناظره عنه متحدّثًا بصوت مسموع اتضح فيه شدته:

- إيلاريون.. أريدك حاليًا.

نهض إيلاريون بعدما أفاق من شروده مستأذنا الجميع ليسير خلف والده، بينما تبادل النظرات مع آرسن مرتبًا على كتفه.. وشعر آرسن بشيء ينغص معدته.. تلك النظرات لا تبشر بالخير أبدًا.. نظر لإيلينا التي كانت تنظر له باستغراب ليزم شفتيه خائفًا مما توارد لعقله.. وخرج مارًا بالقاعة التي توقع وجود إيلاريون وجوليان فيها ليقف ناظرًا لها لثوان شاردًا قبل أن يفيق

على صوت جوليان الذي علا...

وكل ما حدث حين دخل جوليان مع إيلاريون القاعة كان أمر جوليان للحراس بالخروج أولاً، ثم طلبه من إيلاريون بشكل مباشر وبدون أي مقدمات:

- أريد منك الابتعاد بشكل نهائي عن آرسن.

وحينها استثار إيلاريون الذي تحدث ضد حديث والده:

- لماذا؟ ما الذي فعله آرسن لتأمري بالابتعاد عنه؟!

نظر جوليان لثوان لعيني إيلاريون التي كانت تحرق فيه باستنكار ليتحدث بنبرة بطيئة:

- منذ متى.. تجادلني في أوامري؟

تحدث إيلاريون بينما تنهد بهدوء:

- أنا لا أجادلك.. أنا أطلب سبباً.. آرسن فرد من عائلتي جلالتك.

ظل جوليان ينظر له بهدوء قاتل ليكمل إيلاريون:

- وهل ستطلب من إيلينا إنهاء علاقتها به أيضاً؟ كل هذا بسبب تواجد ألكسندر بيننا؟ ولأنه دافع عنه؟

تحدث جوليان بنبرة حادة:

- حتى تصبح ملكاً عليك تنحية مشاعرك وأحداث حياتك جانباً إيلاريون! كل ما يهدد وضعك وحياتك عليك إنهاؤه!

رد إيلاريون بسخط:

- لكن ليس عائلتي! مبدؤك دوماً كان خاطئاً.. حماية نفسك، تقوية نفسك، قرارات لصالح نفسك.. كل شيء فكرت فيه كان لنفسك قبل أن يكون لغيرك! انظر جيداً حولك.. المملكة تنهار تدريجياً والمرض يطيح بأرواح البشر من حولنا، بينما لم نفعل شيئاً.. تريد مني تنحية مشاعري على حساب أرواح الشعب؟ بهذا الشكل ستسقط المملكة من الداخل قبل أن تسقط بسبب أي حرب

محتملة.. جلالتك!

صرخ جولييان بنبرة مرعبة:

- إيلاريون!

ظل إيلاريون ينظر له.. بينما من داخله أيقن بأن الجميع قد استمع لصراخه الذي لم يعد يخفيه كما السابق.. وكان هذا كجزء من نعيم حصل عليه إيلاريون من نفسه.

اقترب منه جولييان بخطوات بطيئة كما لو كان ينوي الهجوم عليه حالاً.. حتى تقلصت المسافة بينهما.. ونكز جولييان كتف إيلاريون الأيسر عدة نكزات قوية بينما تحدث:

- اقطع.. علاقتك.. بآرسن.. هذا أمر.. والآخر.. احصل على القلادة من ذلك الملعون بالأعلى.. فهمت؟

قال آخر كلمة تزامنا مع نكزة كانت أقوى من سابقتها جعلت إيلاريون يتراجع للخلف خطوة رغماً عنه.. ابتعد عنه جولييان وولاه ظهره قاطعاً اتصال عينيها ليشعر إيلاريون بالغيظ من تجاهل والده لحديثه الذي خص به الشعب ليخفض رأسه متحدثاً بهدوء:

- للمرء حق الرفض.. لن أبتعد ولن أحصل.. أعتذر، لكنك تعرف رأيي مسبقاً فيما يخص الحكم.. يا والدي.

التف جولييان بهدوء ناظراً له.. وعاد يقلص المسافة بينهما مجدداً بينما سأل:

- هل اعتقدت ولو للحظة بأنني آخذ رأيك في الأمر؟ بخصوص الحكم طبعاً!

تحدث إيلاريون:

- بالنظر لصاحب القلادة فهو ألكسندر.. وبالنظر أيضاً لمن كان من المفترض أن يمتلك الحكم فهو والده؟

سأل جولييان:

- بمعنى؟

وأجاب إيلاريون بهدوء:

- ألكسندر هو الموعود ليمسك الحكم.. من بعد جلالتك أكيد.

وسأل والده بنبرة غاضبة:

- هل تعصي أوامري؟

ظل إيلاريون ينظر في عينيه بكل هدوء بينما أمسك بكفه اليمنى ذراعه اليسرى بقوة خلف ظهره متوترًا يحاول تخفيف قلقه والتماسك أمام ثوران والده.. إنها المرة الأولى في حياته التي يجادل فيها والده.. كان قلقًا حد الجنون، لكن متماسكًا ليرى إلى أين سيؤول الوضع! لكن ما لم يتوقعه هو الصفعة القوية التي حصل عليها بعد ثنيتين من دخول إيريني وأرسن للقاعة، ظل ينظر للجهة التي استقر وجهه ناحيتها لثوان قبل أن يعاود النظر لوالده مصدومًا من فعلته.. وكان جوليان لا يزال غاضبًا وجذبه من عليه ملابسه غير آبه لنظراته المصدومة.. وقطع إيلاريون تواصلهما البصري ناظرًا للفتالس وجدته اللذين أبعداهما عن بعضهما.

اقترب أرسن من إيلاريون ناظرًا لجوليان لثوان لتحدث إيريني:

- خذه للخارج أرسن..

ولم تكذب تكمّل جملتها حتى تحرك إيلاريون ماشيًا للخارج بسرعة كبيرة غاضبًا لينظر أرسن لجدته مومًا لها قبل أن يخرج خلفه، ونظرت إيريني لجوليان بعتاب وسألت:

- هل تمزح؟ أهو صبي لتصفعه بهذا الشكل؟

تقدم جوليان لأقرب كرسي راميًا ثقله عليه بتعب.. وسألت إيريني بنبرة جامدة:

- ما الذي تريد الوصول إليه جوليان؟

نظر لها جوليان وتحدث بصوت هادئ عميق ظهر فيه الحزن:

- أرى نفس الشيء.. إيلاريون.. يعيد ما كان لوريس يفعله مع والدي.

تجاهل إيلاريون جميع الأسئلة القلقة التي وجهت له لحظة خروجه من قبل الجميع حتى إيلينا.. وظل آرسن يلحقه حتى دخلا لأحد دهاليز القصر متوسطة الحجم، بينما بقي ينادي عليه مرارًا وتكرارًا يسأله لو كان بخير ليتوقف إيلاريون ملتفًا ناظرًا له بغضب صارخًا بعصبية:

- أنا بخير آرسن هلا تركتني بمفردي الآن؟!

تحدث آرسن واضحًا كفيه على أذنيه:

- أحبالك الصوتية يا ولد!

ظل إيلاريون ينظر له لثوان بينما أظهر تعابيره المخدولة، ولمح آرسن عينيه الغاضبة قبل أن يتقدم إيلاريون من طاولة وضع عليها قطع أثاث تكمل فخامة المكان ممسكًا بإحداها راميًا إياها على الأرض بقوة.. وثوان أخرى حتى ذهب لبقعة أخرى حيث قطع أثاث أخرى راميًا إياها بنفس مقدار القوة حتى مع كبر أحجامها وظل آرسن يشاهده يفرغ غضبه المكبوت على الأثاث غير المذنب بهدوء ليهمس بقلق:

- إيلاريون اهدأ!

توقف إيلاريون بعد آخر رمية واضعًا إحدى كفيه على خصره والأخرى على وجهه يغطيه ماسحًا إياه بعنف تزامنًا مع صدره الذي يعلو ويهبط بسرعة ليخفض آرسن رأسه زائمًا شفثيه مستمعًا لأنفاس إيلاريون العالية، ورفع رأسه حين شعر باقتراب إيلاريون منه ليمسكه إيلاريون من ملابسه بقوة متحدثًا بنبرة ساخطة:

- كيف يضربني! ويهينني بهذا الشكل؟! وهل تعلم ماذا طلب مني؟ هل تعلم؟!

وضع آرسن كفيه على ذراعي إيلاريون سائلًا بهدوء:

- أيا حاول والدك إقصائي عنكم؟ وقام بالضغط عليك أكثر لأجل الحكم؟

ظل إيلاريون ينظر في عينيه صامتًا ليعلم آرسن بأنه محق.. شعر بوخز غريب في قلبه، بإحباط كبير.. لكنه تجاهل مشاعره متحدثًا بنبرة تودد:

- لو كنت لا تريد الحكم فلا تفعل إيلاريون!

رد إيلاريون:

- وكأن الأمر سهل! أن تتخاذل.. عما خلقت لأجله وأنت تعلم بأنه مصيرك وواجبك..
رغم نفورك.

تحدث آرسن بهدوء:

- لكنك لا ولن تؤذي إلا نفسك.

شعر آرسن بكفي إيلاريون التي خففت قبضتها على ملابسه وعلم بأنه سينسحب بهدوء
دون النبس بكلمة أخرى ليشدد هو مسكة كفيه لذراعيه سائلاً بنبرة هادئة قلقة:

- هل ستفعل؟ هل ستمثل لما أمرك بخصوصي؟

ظل إيلاريون صامتاً لفترة بينما لم ينظر لآرسن ليتحدث آرسن بنبرة حاول جعلها مبتهجة
بينما شد على ذراعيه أكثر:

- أنا أضعك في أي قرار تختاره لا تقلق! لكن لا تنس.. بأن أولويتنا هي العائلة يا إيلاريون..
هذا ما تربينا وكبرنا عليه.

نظر إيلاريون لعيني آرسن بخمول وتحدث بهدوء:

- أنا أشعر بالاختناق حقاً آرسن.

ظل آرسن ينظر له لثوان معدودة.. أصبح يستمع لهذه الكلمة بشكل واضح مؤخراً من
أشخاص مختلفين.. قاطع ثواني الصمت بينهما متحدثاً بابتسامة خفيفة محاولاً التخفيف عنه:

- أفعّل ما تراه صواباً! وكما أخبرتك.. أنا سأدعمك.

سحب إيلاريون ذراعيه من بين كفي آرسن ليتركه آرسن مستجيباً لطلبه الصامت.. وتراجع
إيلاريون ناظراً لعيني آرسن لثوان قليلة قبل أن يلتف مولياً إياه ظهره ماشياً تاركاً إياه واقفاً
خلفه ينظر له، حتى اختفى إيلاريون عن عينيه بعدما انعطف نهاية الممر سريعاً، وشعر آرسن
بغصة قوية تخنقه ليحاول تشتيت تفكيره وتراجع للخلف ملتفّاً هو الآخر ماشياً.. سالماً عكس
الطريق الذي سلكه إيلاريون، وهمس مخاطباً نفسه بأنه حتى لو أطاع إيلاريون والده وتطلب

ذلك الابتعاد عنه فعلاً.. فهو سيوفي بكلماته.. سيدعمه.. وقام بحبس نفس عميق داخل رثتيه محاولاً ابتلاع غصته مطبقاً شفتيه بقوة.

ها هو ليام يعود باتجاه الجناح المتواجد به ألكسندر بعدما عدل عن الأمر للمرة الخامسة.. يشعر بتوتر كبير يجعله يتردد فيها هو مقدم عليه.. تنهد بضجر من أفكاره التي توتره.. والتف عادلاً للمرة السادسة عن الدخول.. وكاد يتراجع إلا أنه توقف مكانه غاضباً من نفسه ولم يشعر بنفسه إلا وهو ينفش شعره بقوة، وفي أثناء ذلك قام بالطرق على الباب ليحبس أنفاسه بينما تضاعف توتره ليرتب شعره بسرعة كبيرة.. ومرت اللحظات ولم يجد أي استجابة ليتنهد بإحباط كون أسلوبه لخداع عقله لم يأت بفائدة!

تقدم لخطوتين.. طرق الباب بشكل أعلى وتراجع نفس الخطوتين.. ولم يجد أي استجابة أخرى.. زم شفتيه وتقدم فاتحاً الباب دافعاً إياه وتراجع بسرعة وحين لم يجد أي رد فعل تقدم داخلاً للجناح ببطء ناظراً حوله ليرى طعام الغداء الموضوع الذي لم يؤكل منه شيء.. ونظر لباب الغرفة المغلق ليدخل مغلقاً باب الجناح خلفه مقترباً من باب الغرفة طارقاً الباب بهدوء، عازماً بأنه سيرد لا محالة!

لكنه شعر بالإحباط حين لم يجبه.. وضع أذنه على الباب محاولاً استشعار إن كان في الداخل.. ولم ينتبه لألكسندر الواقف خلفه والذي تفاجأ هو الآخر بوجوده متوقفاً بعيداً بعدما كان قد خرج للتو من دورة المياه ناوياً العودة للغرفة، وظل ألكسندر صامتاً ينظر له بقلق.. مستمعاً لتأثأة ليام المنزعجة بينما أعاد الطرق سائلاً نفسه:

- هل قفز من النافذة، أم ماذا؟

تنهد بصوت مسموع مظهرًا إحباطه من عدم رد ألكسندر عليه، والتف ناوياً الخروج إلا أنه وقف متصنفاً حين وجد ألكسندر يقف خلفه بجانب أحد الأعمدة الكورنثية البارزة كما لو كان يحمي نفسه بها، بينما ينظر له، وحك ليام عنقه من الخلف سائلاً بإحراج:

- منذ متى وأنت هنا؟

ظل ألكسندر ينظر له بهدوء ليتحدث ليام:

- لا أنوي أذيتك صدقتي!

وثوان حتى تحدث ألكسندر بينها أشاح بنظره بعيداً عنه:

- هل قفز من النافذة أم ماذا.

شد ليام على خصلات شعره من الخلف بسبب خجله بشكل لم يكن واضحاً لألكسندر وتحدث:

- آه أجل.. تعلم وهكذا؟

عقد ألكسندر حاجبيه سائلاً:

- أعلم ماذا؟

ضرب ليام رأسه من الخلف شاعراً بغيبائه.. وشعر ألكسندر برغبة في الضحك، لكنه تحكم في نفسه وفي تعابيره منتظراً إجابته ليتحدث ليام:

- أنني لم أكن أقصد.. أعني أنت لست مجنوناً لتفعل ذلك؟

وحين نظر له ألكسندر رافعاً حاجبيه مستنكراً بمعنى "حقاً؟" تحدث ليام:

- أتعلم؟ بإمكانك نسيان أي جئت هنا.. أم أقول لك؟ أنا لم آتِ فعلاً!

وسار متقدماً من باب الجناح وخرج مغلقاً إياه وكاد يرحل شاعراً بأنه يريد قتل نفسه حالاً إلا أنه توقف قبل أن يترك المقبض.. دخل مجدداً بشكل مفاجئ لينظر له ألكسندر ماحياً ابتسامته التي لمحها ليام.. وظلا ينظران لبعضيهما لثوان.. ليام يريد محادثته بالفعل! لكنه لا يعلم ما الذي دفعه للدخول مجدداً بهذا الشكل، وألكسندر يشعر بالحيرة فعلاً.. لذا وأخيراً سأل ألكسندر قاطعاً الصمت:

- هل تريد شيئاً ما؟

حاول ليام تشتيت انتباهه ليخفي خجله، وحينها هو انتبه لجروح وجه ألكسندر، بينما ظهر

ازرقاق طفيف بداية صدره أشعره بالأسف، كان متأكدًا بأن قميصه يخفي أضعاف ما كشفه، فسأل بهدوء:

- هل يؤلم؟

ظل ألكسندر ينظر له فاهمًا قصده من نظراته المتفحصة ليمشي داخلًا لغرفته بهدوء ليتبعه ليام.. وتفاجأ حين دخل من الطاولة والكرسي الموجودين بجانب الباب متأكدًا بأن ألكسندر كان يسد الباب بهما قبل خروجه، وللمرة الثانية شعر بالأسف الشديد ناحيته، بينما نظر له وقد جلس على مكتب والده يقرأ كتبه بهدوء معطيًا إياه ظهره.. سأل ليام بهدوء:

- هل أزعجتك بسؤالي؟

التف ألكسندر بينما لا زال جالسًا على الكرسي ورد سؤاله بسؤال:

- هل تشعر بالشفقة علي؟

تنهد ليام.. اقترب جالسًا على طرف السرير المقابل لألكسندر متحدثًا:

- لا أعلم.. لكنني أريد الاعتذار لك عما حدث.. أنا أشعر بالغضب تجاه الملك.. وبالأسف نحولك.

زم ألكسندر شفتيه وتحدث:

- لوهلة ظننت بأن جميع الأسرة مثله.. باستثناء الجدة والعم فيتالس وأرسن.

أخفض ليام رأسه بينما ابتسم بشكل خفيف من "الجدة والعم" اللتين نعت ألكسندر بهما الملكة والأمير.. وتنهد مطولاً.. رغب سؤاله وبشدة عن شيء يجول في خاطره وقد كان السبب في مجيئه، لكنه لم يعلم لماذا نهض مستأذناً.. وخرج.

هبطت الشمس أخيرًا بعد يوم كان طويلًا وصعبًا على الأغلبية.. ظل إيلاريون مستلقيًا على سريره يحرق في قلاذته الذهبية ناظرًا للشعار الذي نُقش عليها.. شمس تظهر أشعتها القوية عبر الخطوط التي رسمت بها.. وحين وُضعها أسفل قلاذة الملك تكتمل الصورة، شمس مشرقة براقه

يحيطها جناحين قوين لحامة سلام بيضاء.

تنهد بضيق ناهضاً تاركاً القلادة لتسقط على صدره وخرج من غرفته متجهاً لغرفة شقيقته..
وحين دخل لغرفتها رآها تجلس على طرف السرير مقابله.. وحين رفعت وجهها تفاجأ من
الدموع التي غطته وعلم بأن دموعها تلك لا تسقط إلا بسبب عظيم، اقترب منها سريعاً جالساً
بجانبيها يعانقها من الجانب لتبكي هي بصوت مسموع، بينما بقي هو يريت على شعرها محاولاً
تهدئتها شاعراً بانكماش معدته من قلقه، وحين شعر ببداية تحكمها في بكائها سأل سريعاً:

- ماذا حدث إيلينا؟!

وهمست هي معاودة البكاء بينما عانقته بشدة:

- آرسن.. أنهى أبي علاقتنا.

وكان وقع تلك الكلمات على قلبه قاسياً.. وتذكر سؤال آرسن له إن كان والده سيقصيه
فعلًا.. وتمنى لو عاد بالزمن للخلف.. لو تحدى والده أكثر وصرخ عليه ليفيق من الحياة المزيفة
التي صنعها لنفسه.. يصرخ ويصرخ حتى يفقد صوته.. لكن ذلك لن يحدث أبداً.. وما كان بيده
إلا أن عانق شقيقته بقوة سائلاً:

- وماذا عن آرسن؟ ماذا قال؟

أجابت بينما ابتلعت ريقها:

- أُرسلت عليه شهب حارقة.. جعلته صامتاً مصدوماً.. لم يستطع الرد على أي مما قاله أبي له.

ابتعدت عن حضن شقيقها وتحدثت:

- إيلاريون.. والدي حذرني من الخروج من غرفتي.. لكنني أريد الذهاب لآرسن حالاً!

ظل إيلاريون ينظر لها مذهولاً.. كانت آخر شخص يتوقع منه الخروج على أوامر والده!
ومسح على شعرها بلطف وابتسم متحدثاً:

- اذهبي.. وسأحرص على إخفائك جيداً.

نهضت تنوي تبديل فستانها المزركش لترتدي بدلاً منه فستاناً بدا أقل زينة وأخف.. وتعمدت

فعل ذلك حتى تستطيع الحركة بسرعة وراحة.. ثم خرجت حيث شقيقها الذي انتظرها بالخارج مؤمناً المكان لها وذهباً سوياً بحذر حيث جناح أرسن، ودخلت هي بينما أخبرها بأنه سيقف ليتأكد ويمنع أي شخص ينوي الدخول.

ولم تطرق الباب حتى.. دخلت بهدوء لتراه جالساً على الأريكة مريحاً رأسه ساندًا إياه للخلف، بجسد بدا مهدوداً بالكامل ودموع مسدولة على طول وجهه أوجعتها.. ولم يشعر هو بدخولها كما لو كان غارقاً في مكان بعيد.

أغلقت الباب خلفها متعمدة إصدار صوت لينتبه بينما تساقطت دموعها هي الأخرى.. وحين التفت وجدته على نفس حاله!

اقتربت واقفة أمامه ليضع عينيه عليها وأخيراً.. بهدوء زادت دموعه بينما لم يحرك ساكناً.. وانحنى هي مغلفة وجنتيه بكفيها تمسح دموعه متجاهلة دموعها هي.. ومضت ثواني الصمت حتى رفع كفيه مغلفاً كفيها متمسكاً بها، بينما حرك إحداها يقبل باطنها بلطف وهمس بينما أعادها على خده ناظراً لها:

- هل يريد والدك سلب حياتي مني؟ أنا راضٍ عن أي شيء يريد اتخاذه ضدي.. عداك. شهقت بخفة.. وانحنى أكثر بينما رفعت رأسه بكفيها لتقبل جبينه وتحدث بعدما ابتعدت قليلاً ناظرة لعينيه بنبرتها المهترئة:

- لا يمتلك الحق ليفعل.. كما لا تمتلك أنت الحق بكسر قلبي بينما أراك منهاراً بهذا الشكل. ظل ينظر لعينيه لثوان قبل أن يخفض رأسه ولا زال ممسكاً بكفيها الموضوعتين على وجنتيه يضمهما بكفيه كما لو كان يخشى ابتعادها.. جلست بجانبه ساحبة رأسه لها تضمه ليحاط خصرها بذراعيه يضمها هو الآخر بقوة كما لو كان يحاول إخفاء نفسه بداخلها هامساً بصوت مبجوح:

- لو انقلب العالم كله ضدي.. وبقيت أنت بجانبني فلن أضعف، ولو حدث العكس فسأرى العالم كله ضدي.. لأنني أراك كل الناس إيلينا.. لذا رجاء.. لا تتعدي أبداً.. قد يكون ما سأطلبه منك خطأً.. لكن لا تمتثل لأمر والدك في هذه النقطة.. لا تتركيني رجاء.

وضعت إيلينا إحدى كفيها على وجنته المكشوفة تمشي عليها بإبهامها وتحدثت بنبرة مهزوزة:

- أموت ولا أفعل.. لا تظن ولو للحظة بأنني سأتحلى عنك.. المرء ما هو إلا جسد وروح..
فكنتُ أنا الجسد وكنْتَ أنت الروح.



الفصل الحادي عشر

طُيُور القَلْبِ المِهَاجِرَةِ



"الليل يسأل من أنا
أنا سره القلق العميق الأسود... أنا صمته المتمرد
قنعت كنهني بالسكون... ولففت قلبي بالظنون
والرياح تسأل من أنا
أنا روحها الحيران أنكرني الزمان... أنا مثلها في لا مكان
نبقى نسير ولا انتهاء... نبقي نمر ولا بقاء
فإذا بلغنا المنحنى
خلناه خاتمة الشقاء... فإذا فضاء!
والدهر يسأل من أنا
أنا أخلق الماضي البعيد... من فتنة الأمل الرغيد
وأعود أدفنه أنا
لأصوغ لي أمسا جديد... غده جليد"
-نازك الملائكة "أنا"

..

طرقات الباب المعدودة تسلت لأذني ألكسندر المختبئ أسفل الغطاء، والذي كان جالسا متربعا على كرسي جذبه ليجلس أمام النافذة الكبيرة الموجودة بجانب الشرفة قاصدا مراقبة السماء، لكن رغما عنه قد أسهب النظر في صورتي والده ووالدته الموضوعتين على الكتاب المفتوح الذي وضعه مسبقا على حجره، وفتحت الباب رغم أن ألكسندر لم يأذن للطارق بالدخول، ولم يرفض، لكنه استطاع معرفة بأن من دخل كان ليام من صوته الذي أفاقه بشكل كامل حين تحدث

بهدوء:

- هذا أنا ألكسندر.

وضع الصورتين بداخل الكتاب وأغلقه سريعاً مخفياً إياه بالغطاء ليتحدث ليام الذي وقف قريباً منه مهوئاً بهدوء:

- لا تخف ولا تغلق شيئاً! لن أخبر أحداً بشأن أي شيء تفعله.. وعد.

نظر له ألكسندر ليجده قد أحضر كرسيًا واضعاً إياه بجانب كرسيه بينما حافظ على إبقاء مسافة بينهما وجلس ناظرًا هو الآخر للسماء، تنهد ألكسندر مخرجًا الكتاب فاتحاً إياه مرة أخرى ليسأل ليام:

- هل تنوي قراءة الكتب الموجودة على الطاولة هنا؟

أوماً ألكسندر تزامنا مع إجابته:

- أجل.. أريد أن أعرف كل شيء عرفه والدي.

خلع ليام نعليه رافعاً أقدامه على حافة الكرسي ضامًا ساقيه لصدره بذراعيه وسأل بهدوء:

- هل كان رائعاً لهذه الدرجة؟

أخفض ألكسندر رأسه وهمس:

- أكثر من ذلك.. بكثير.

نظر له ليام سائلاً:

- ماذا عن ولي العهد أدريان؟ أتساءل.. لو كان حيًا وعشت معه؟

عقد ألكسندر حاجبيه وسأل:

- أدريان؟ تقصد الابن الأول؟ هل هو والدك؟

ظل ليام ينظر له لثوان قبل أن يضع ذقنه بين ركبتيه وذراعيه متحدًا:

- فهمت..

ظلّ ألكسندر ينظر له قليلاً قبل أن يسأل:

- هل خلت أنني أعرفه؟

تحدث ليّام:

- لقد كانت مجرد أمنية.. كنت دومًا أضع احتمال أنه لا زال على قيد الحياة، رغم أنني متأكد بأنه قد مات..

تنهد ألكسندر مخفضًا رأسه ليتحدث ليّام:

- لا بأس حقًا ألكسندر.. أنا حتى لا أتذكره.. أعرف شكله من الصور وحسب.. كنت أتمنى لو أستطيع معرفة شعور خوفه عليّ مثلًا.. أو نصحه.. محادثاته معي ومزاحه، لكن لا بأس فعلاً.. أنا بخير، لا تزال والدتي معي.

زم ألكسندر شفثيه بينما أخفض رأسه أكثر ناظرًا لصورة والدته لينظر له ليّام مدرّكًا شدة حقه.. شعر بأنه حقير.. وخاف لو ظن ألكسندر بأنه يشمت فيه لكونه فقد والديه الاثنين.. لذا ومن دون أي تفكير طل برأسه ينظر لصورة والدته سائلًا:

- والدتك؟

نظر له ألكسندر وأوماً حاملاً الصورة بين كفيه يريها لليّام ليتحدث الأخير منبهراً بعدما رأى الصورة بشكل واضح:

- رائعة الجمال.

أوماً ألكسندر مبتسماً وتحدث:

- كان جميع من في القرية يظنون بأنها أميرة هاربة من مملكة أخرى.

اختتم حديثه ضاحكاً بشكل خفيف، بينما تحدث متذكراً:

- في مرة كنا سوياً مع أبي في مزرعتنا.. وانزلت قدم أُمي في مجرى صغير للمياه التي تسقي

الزوع وكادت تسقط لولا أبي الذي أمسكها ساقطاً هو بدلاً منها تحت أنظار جميع من كانوا متواجدين.. ومن وقتها أطلقوا عليها اسم الملاك التي كادت تسقط والأحق.

ابتسم ليام ناظرًا للملامح ألكسندر الضاحكة.. وما هي إلا ثوان وخفت ضحكته ليتحدث بنبرة ساكنة عكس المتحمسة قبل قليل:

- أتمنى أن يكونا في مكان أفضل من هنا سوياً.

نظر لليام ليلمح ليام عينيه اللامعة.. سأل ليام حينها محاولاً الخوض في حديث آخر:

- إذا أخبرني.. كيف وصلت هنا؟ كيف وجدك أرسن؟

نظر إيلاريون الذي كان واقفاً مكتفياً ذراعيه بانتظار شقيقته التي خرجت من جناح آرسن بهدوء ناظرة له هي الأخرى وسرعان ما اقترب سائلاً بهدوء:

- هل هو بخير؟

فركت عينيها بخفة وتحدثت:

- أجل.. نوعاً ما.

تنهد إيلاريون وطلب:

- أخبريني إذا بالذي حدث؟

مشيا سوياً لتتحدث هي بهدوء:

- استدعاه والذي بعد العشاء وكنت معه.. ومن دون أي مقدمات أخبرنا بأن علينا الانفصال.. وكأنه كان يتظر استفسار آرسن لينهال عليه بالنقد اللاذع والدم سارداً عيوبه بنبرة كارهة أمامي.. وكأنه.. يظن بأنني سأكرهه لو ذكر عيوبه أمامي!

كتفت ذراعيها وتحدثت:

- الشيء الذي لم يعلمه هو أنني أعرف عيوباً أكثر، لكنني بصدق لا أراها عيوباً.. إنها الشيء

الذي يميز الإنسان.

تنهد إيلاريون ناظرًا لقبة سقف القصر الزجاجية الشفافة ذات الأجزاء المزخرفة والتي كشفت سماء الليلة متحدثًا:

- إلى أي مدى وصلت عقلانيتك؟ تبهريني دائمًا.

ابتسمت لبيتسم هو متحدثًا:

- وبالنظر لآرسن.. هو ليس سيئًا.

نظرت له متحدثه باندفاع:

- آرسن عظيم.. اندفاعه دون التفكير في العواقب سييء.. لكنه يعلم دومًا كيف ينقذ نفسه في المواقف الصعبة.

ابتسم إيلاريون حتى وصل لجناحها ليتوقف أمامه متحدثًا بنبرة تقصد تلحينها:

- إلى جناحك يا عصفور الحب، الشمس غربت منذ زمن ولا زلت مستيقظة.

تنهدت ناظرة للباب.. ومن ثم نظرت لإيلاريون واقتربت منه تعانقه بقوة وتحدثت:

- شكرًا للإله أنك أخي.. بصفتي شقيقتك التي تصغرك بسنوات أريد أن أعترف بحبي الشديد لشجاعتك وكلي فخر.

قبل إيلاريون جبينها مبتسمًا وتحدث ضاحكًا:

- المرء لا يستمتع للمديح قبل النوم دومًا.. لكنني أستحق!

مجددًا.. ها هو ألكسندر يستيقظ مفزوعًا من كوابيسه.. نهض جالسًا متنفسًا بقوة ونظر حوله.. أشعة الشمس تحاول جاهدة اختراق الستائر، وضع كفه على وجهه مغمضًا عينيه يحاول تهدئة نفسه.. ونهض عن السرير خارجًا من غرفته ليجد فطوره موضوعًا على الطاولة ليقترّب جالسًا، كان لا يزال ساخنًا.. وأدرك بأنه لا بد وأن الأسرة تتناول فطورها سويًا الآن؟ غير مدرك

بالجو المشحون المتوتر بينهم.

نظر لباب جناحه الذي انفتح من دون طرق ليدخل آرسن مغلقاً الباب خلفه متنهّداً بضيق ناظرًا لألكسندر الذي كان ينظر له.. واقترب جالسًا بجانبه مجبرًا إياه على التنحي للجانب قليلاً وتحديث:

- صباح الخير.. سأتناول الفطور معك.

أوماً ألكسندر متحدّثًا باستغراب:

- أجل.. بالطبع.. تفضل.

وكان آرسن ينتظر موافقته.. قد بدأ يأكل ما أن أتم خبره لألكسندر الذي بقي هادئًا بجانبه محدّدًا في أقdamه ليتحدّث آرسن:

- لماذا لا تأكل؟

نظر له ألكسندر لثوان قبل أن يعود لنفس وضعه وتحديث:

- لست جائعًا.

نظر له آرسن بعدما توقف عن الأكل مبتلّما ما بداخل فمه وتحديث:

- إذا ما كنت رأيتك تجلس أمام الطعام.. لو كنت غير مرتاح بوجودي فسأرحل..

نفى ألكسندر برأسه سريعًا وتحديث:

- لا بأس.. فعلاً.

ابتسم آرسن وتحديث:

- أنت شديد الطيبة ألكسندر.

عاد ألكسندر لينظر له زامًا شفّتيه وسأل:

- لماذا لم تأت أمس؟

تحدث آرسن مستغرباً:

- ألم تكن غاضباً علي؟

تحدث ألكسندر بهدوء:

- لكنك تعلم بأنني لا أعرف شخصاً سواك.. حتى أنني لم أعد أرى العم فيتالس والجلدة.

زم آرسن شفتيه ووضح:

- كانت هناك بعض المشاكل والشوشرة.. وخلت بأنك بت تكرهني.. هل كنت تنتظر مجيئي فعلاً؟

وعوضاً عن إجابة ألكسندر هو سأل:

- مع الملك؟

مرت ثوان.. حتى أوماً آرسن ناظرًا أمامه متضايقًا من الحديث ليردف ألكسندر:

- بسببي صحيح؟

تحدث آرسن متنهّدًا:

- توقف ألكسندر.

زم ألكسندر شفتيه.. استل نفسًا وأكمل متحايلاً:

- إذا.. لماذا لا تعيد كل شيء كما كان.. وتعيدي أنا حيث كنت؟ بالتأكيد أنت لن تكون مرتاحاً مع هذه المشاكل المتواجدة بسببي.. فلماذا لا تخرجني من هنا وحسب؟!

سأل آرسن مغيراً الحديث بينها عاد يأكل:

- أرى أن ليام قد جاء لك بالأمس مرتين؟ هل أصبحتما صديقين؟

تنهد ألكسندر بينما انخفض كتفاه الآملين بخيبة ليخفض رأسه مغمضاً عينيه بضيق ليههم آرسن منتظراً إجابته ليتحدث ألكسندر كما لو كان يجاوب رغماً عنه:

- تستطيع القول بأننا متوافقان في العديد من النقاط.

سأل آرسن:

- ما الذي حدثك فيه؟

نظر له ألكسندر مستغرباً وسأل بضيق:

- لماذا تسأل؟ هذا شيء يخصه!

نهض آرسن بعدما شبع وانتهى.. ونظر ألكسندر لطعامه ليتحدث مصدوماً بصوت مسموع:

- لقد أنهيت الطعام كله!! آرسن!

تحدث آرسن رافعاً كتفيه وأخفضهما:

- ألم تقل بأنك لست جائعاً؟

نهض ألكسندر بضيق وهجم عليه ضارباً صدره بكتفه دافعاً إياه للخلف ممسكاً به بقوة متحدثاً:

- وقع متطفل وطماع أيضاً! تراجعت عن حديثي أعد إلي طعامي!

وما هي إلا ثوان، وبات آرسن هو من يقيد ألكسندر بعدما قد قام بلوي ذراعه خلف ظهره ودفعه للجدار متحدثاً بمزاح:

- ماذا تقصد بـ"أعد طعامي"؟ هل عليّ تقيؤه؟

ضرب ألكسندر بكفه الأخرى الجدار عدة مرات متحدثاً بتقزز وتذمر متألاً:

- فهمت فهمت.. توقف وابتعد عني، ذراعي تؤلمني، لا أريد شيئاً!!

ضحك آرسن بينما أفلته وتحدث:

- أنت ضعيف جداً!

نظر له ألكسندر بعدم رضا ليضيف آرسن مشدداً:

- جداً جداً.

تنهد متحدثاً:

- سأحضر طعاماً آخر لك بينما تغتسل أنت، سأعود سريعاً لذا اغتسل بسرعة!

تنهد ألكسندر بضيق ومشى لدورة المياه مدلكاً كتفه ليستوقفه أرسن متحدثاً:

- ويا ألكسندر.. هذا منزلك.. منزلك الذي لا يمتلك أي شخص حق طردك منه.. لذا لا تتخلي عن حقك أبداً.

في قرية روديون

مرت عدة أيام تمكن خلالها آلاس من التأقلم مع الوضع الجديد وبدأ على توافق مع روديون عكس ما ظن حين رحيل ألكسندر، كما وتحسنت حال روديون مع مرور الأيام، رغم أنه لم يتوقف عن الذهاب لقبر شقيقه كل يوم منذ مات وكان إليان يصاحبه، وآلاس في بعض الأحيان.

كان إليان يسير حاملاً قطع الخشب على ظهره رفقة روديون وآلاس ينون الذهاب لمنزل تلك السيدة ويتبادلون بعض الأحاديث المرحية والأخرى الكثيرة والتي حرصوا على أن تكون نادرة.. وحال اقترابهم استمعوا لأصوات رجال بدت غريبة منذ أنه لم يتواجد أحد في القرية سواهم.. على حد علمهم!

تقدموا من خلف بناية وطلوا برؤوسهم ليندهش إليان حين رآهم يرتدون نفس ملابس أولئك البربريين.. الذين دمروا إيرينيا مسبقاً.. وماذا أيضاً؟ كانوا في جدال طويل مع تلك السيدة التي كانت تقف على عتبة باب منزلها تسده بذراعيها تصرخ عليهم بغضب كبير، وتقوم بضرب أي كف تحاول لمسها.. استمع ثلاثتهم لرجائها إياهم بتركها وشأنها، لكن أحدهم قام بسحبها بقوة من ذراعها ساعماً للآخرين بالدخول.. ولم تمض ثوان حتى خرج أحدهم يجر معه فتاة صغيرة قد بدأت تبكي خوفاً تكاد تكمل العاشرة.

وكان الثلاثة مصدومين.. هي لم تذكر أبداً وجود أي أبناء لديها من قبل! ولا حتى حاولت

التلميح!!

وتفاجأوا أكثر حين أجهشت السيدة في البكاء تحاول سحب الفتاة في محاولات فاشلة، بينما تحدثت بصراخ:

- ماذا تريدون؟ قتلتم الأنفس وانتهكتم الأعراض! ماذا تريدون بها؟! أعيذوا ابنتي!

تحدث أحدهم بعدما قام برفع وجه الصغيرة المتعب المرتعب متحدثاً:

- إنها مريضة! ألا تعلمين بأن الملك أمر بقتل أي شخص يشبه بمرضه؟

نظرت له مصدومة، بينما لم تتوقف دموعها أبداً.. كادت تمشي باتجاه ابنتها لكن سرعان ما حاوطها أحدهم يمنعه من الحركة لتحاول هي فك نفسها تستمع لمناداة ابنتها المرعوبة لها، بينما تحدثت بانهايار:

- ليست مريضة بالطاعون أقسم! أنا أهتم بها جيداً هي ليست مصابة بذلك البوءاء!

تنفس إليان بعمق شاعراً برعشة خفيفة سرت بجسده.. شعر بشرط ذكرياته يعاد أمامه مجدداً.. نفس ما حدث معه منذ زمن مع اختلاف الأدوار.. ولم يفكر أبداً.. فك الحبال التي كان يربط بها الخشب على جسده ينزعها.. وكاد آلاس يمسك بذراعه ليمنعه بعدما فهم ما ينوي إليان فعله، بينما همس بسرعة وانفعال:

- لا يا إليان لا يا إليان لا تنكث بوعدك لألكسندر!

إلا أنه تلقى قطع الخشب التي ألقتها عليه إليان ليحملها، بينما تحدث إليان بنبرة مبهمّة راجية:

- أرجوك.. لا تخرجاً خلفي مهما حدث.. لا تفعلوا أبداً.

وخرج متجاهلاً نداءهما المحذر الهامس راكضاً باتجاه من كان يمسك بالطفلة دافعاً إياه بقوة ساجباً منه الصغيرة، وأوقفها خلفه متمسكاً بها ونظر لهم بكرة وصرخ بغضب:

- أخبرتكم بأنها ليست مصابة ألا تستطيعون فهم كلامها أيها المجانين؟!

وضع روديون كفه على رأسه شاعراً بالصدمة من فعلة إليان.. بينما جلست السيدة على الأرض بعدما لم تعد تحتتمل الوقوف، تنظر لإليان بامتنان كبير.

اقترب أحدهم من إليان ليتراجع إليان لعدة خطوات.. وحاول الآخر سحبها منه إلا أنه

تمسك بها جيداً وصرخ لعدة مرات:

- دعها!

حتى وفجأة سقطت دموعه رغماً عنه ليتفاجأ.. متسائلاً في عقله.. يا ترى.. لو كان تمسك بوالدته بهذا الشكل.. هل كانوا ليقتلوها أمام عينيه؟ هل كان ليصبح آخر ما يتلقاه منها هو قبلة وعنق؟ هل كان آخر ما سيسمعه منها هو بكائها وطلبها أن يبقَ قوياً قبل صراخها المستنجد المتألم حتى ماتت والذي لم يفارقه أبداً حتى الآن؟

شعر بجروح قلبه تنفتح مجدداً.. بعد سنين من محاولات ترميمه.. وكان هذا تشبيهاً بالألم قبل أن يشعر بالألم الحقيقي بسبب الذي قام بضربه ضربة قوية خلف عنقه أشعرته بالدوار الشديد، وكاد يسقط أرضاً إلا أنه سند نفسه بإحدى كفيه التي وضعها على الأرض جالساً على ركبتيه.. بينما لا زال ممسكاً بالصغيرة التي ضمته بقوة من شدة خوفها.

تقدم آلاس ناوياً الخروج هو الآخر إلا أن روديون قد تمسك به مشيراً له بالهدوء ليتحدث آلاس بهمس قلق:

- سيقتل نفسه.. روديون! إلبان مجنون! هل سنقف هنا؟!!

كاد روديون يجيبه.. لكنها ركزا مع أنفاس إلبان العالية الواضحة في حديثه حين تحدث بثقل صارخاً بطاقته المتبقية يحاول التمسك بها بالكاد بعدما نجحوا في سلبها منه:

- دعوها! اللعنة عليكم جميعاً!

كاد يستسلم.. لكن صراخها الخائف جعله يتمسك بذراعها يسحبها له صارخاً مجدداً:

- قلت دعوها!!

ولم يشعر إلا ببركة أحدهم التي استهدفت عضده ليفلتها ساقطاً على الأرض بعدما اشتد دواره.. وظل ينظر لهم بعينيه شبه المفتوحة الدامعة بينما تسلفت كفه ببطء يمسك بها ذراعه المتأذية.

ولم يفارق عينيه مشهد الصغيرة المنهارة التي تصرخ بوالدتها ليغلق هو عينيه بألم.. لا يزال

ضعيفاً مهما مرّت السنين، ولا يستطيع الدفاع حتّى عن فتاة صغيرة.. أضعف مما اعتقد وظن..
وفتح عينيه قليلاً ناظرًا للذي أمر البقية قاصداً إليان والسيدة:

- أحضر وهما.. زيادة الأسرى ستفنعنا فيما بعد!

وعاد يغمض عينيه مجدداً لثوان حين شعر بمن قام بسحبه بشدة ليقفه.. ونظر للخلف
بشكل لم يكن واضحاً للبقية مطمئناً بأن روديون وآلاس لم يخرجوا خلفه.

وما أن رحلوا حتّى خفف روديون من تقييده لآلاس الذي كاد يكشف نفسه خارجاً خلف
إليان.. حيث دفعه آلاس بقوة عنه ورمى الخشب أرضاً وتحدث صارخاً:

- بإهلك روديون!! هل ارتحت الآن؟! لقد أخذوا إليان!

نفى برأسه متحدثاً بنبرة أخفض من سابقتها:

- لا أصدق فعلتك.. هل للتو وبساطة تفاضيت عن إنقاذ صديق طفولتك؟!

تحدث روديون بهدوء مستنكراً:

- هل خلت ولو للحظة بأنك ستستطيع إنقاذه؟

تحدث آلاس بحنق:

- على الأقل لن أتركه وحيداً بحالته هذه!

تحدث روديون بغضب صارخاً بينما ضرب بقبضته جدار المنزل بجانبه:

- استيقظ آلاس! نحن نعيش كابوساً لا ينجو منه إلا من استعمل عقله لا قلبه! توقف عن

التظاهر بأنك خائف عليه أكثر مني، بينما أنا لم يتبق لي أي شخص سواه!

تنفس روديون بصوت مسموع مرتجفٍ ناظرًا لآلاس الذي ظل يحدق فيه مصدوماً لثوان
قبل أن يوليه روديون ظهره، حتى يفصل تواصلها البصري الذي أربكه، ليستمع لآلاس الذي
تحدث هامساً باستنكار:

- و.. هل تظنني لست كذلك؟ هل تحال بأن هناك من ينتظر عودتي.. يا روديون؟

ونظر بعدها آلاس حوله بضجر كاتمًا غضبه ودموعه قبل أن يتنهّد بعمق وأردف:

- ماذا سنفعل إذا؟ ما العمل؟

تحدث روديون ناظرًا للأرض:

- سنضع خطة.. ليست لإنقاذه بمفرده.. بل أيضًا لإنقاذ بقية الأسرى.

التف ناظرًا له وتحدث:

- لا أعتقد بأنهم يحتجزونهم بعيدًا.. لكنهم يستعملون أماكنًا مستترة.. متفرقة ومتعددة، لذا علينا فهم كل شيء قبل أن نخطو أي خطوة.

تحدث آلاس مستغربًا:

- لماذا؟ يقومون بأسر الأهالي؟

تحدث روديون بينما أمسك بكفه وسحب خلفه قاصدًا اتباعهم بخفاء:

- ليزرعوا في نفوسهم كره الملك بكونه هو من طلب أسرهم وقتل مرضاهم.. ومن ثم سينقلبون عليه.. وسيعم الخراب أكثر مما عم.. لا أعلم ما هدفهم من ذلك.. لكنني أعلم بأنهم تجردوا من كل ما يمت للإنسانية بصلة.. والمملك لا يتنبه لأي شيء سوى اهتمامه بتقوية حصون المملكة.

سأل آلاس بهدوء:

- كيف.. عرفت كل ذلك؟

تحدث روديون بهدوء:

- أخي.. كان أسيرًا قبل ثلاث سنوات وهرب.. أخبرني بكل شيء.. وأخبرني بأن رجلاً صالحًا قام بتحريره هو وبقية الأسرى وأنقذهم.

في القصر الملكي

نظرت إيريني من نافذة شرفتها لجوليان الخارج من القصر متجهًا لقصر أحد النبلاء، تحديدًا للبارون إيكاريوس، مصطحبًا إيلاريون معه بالطبع.. تنهدت ناظرة للكم الهائل من الحراس الذين قام بأخذهم معه.. وما أن ذهب حتى خرجت من غرفتها متجهة للمطبخ متمسمة، وفي طريقها قابلت إحدى الخاديات لتسلمها عدة أطرف طالبة منها إيصالها لجميع أفراد أسرتها.. وزادت ابتسامتها، وتهادى لها بأن فكرتها تبدو جيدة جدًا، إلا أنها قد شعرت بالقليل من التوتر رغم ذلك، وأنهت طلبها للطهارة وخرجت لحديقة القصر وتحديدًا عند البقعة المجهزة للجلوس، جلست وانتظرت بصبر، وكان أول الحاضرين كما توقعت آرسن.. ظن أن جدته تريده بمفرده واستغرب فكرة الظرف، لكنه لم يلبث حتى علم بأنها دعوة تشمل أفراد العائلة حين رأى إقبالهم واحدًا تلو الآخر.. وقد بدا سيلفان سعيدًا للغاية بالدعوة التي صنعت خصيصًا باسمه!

وابتسمت إيريني حين رأت نظرات آرسن التي علقت على إيلينا الواقعة بجانب والدتها بعيدًا قليلًا، والتي كانت هي الأخرى تنظر له.. بشوق لجم بلجام التحكم والأمر.. وقاطعت نظراتها بمناداتها له تطلبه، ناظرة لآخر من حضر.. ليرهام.

نظر ألكسندر لأشعة الشمس التي بدأت تضعف.. وعاد يجلس على المكتب ناظرًا للورقة التي نوي كتابة رسالته عليها تواء.. حيث أغرق سن ريشته في الحبر وخط أولى كلماته:

"هذا أنا.. ألكسندر.. أخطأ أحر في بعد مدة طويلة لم أخرج فيها مكنوني..

السماء من خلف زجاج النافذة تصبح أكثر مشهد متكرر تراه عيناى.. رفعت رأسي للسماء قبل أمس، وأمس.. وقبل لحظات.. الغيوم متهاكة تحجل الظهور.. والنجوم تبدو بعيدة للغاية، أكثر بعدًا مما كانت عليه آخر مرة نظرت لها متحررا، شاعرًا بقلبي المطمئن المنعم بالدفء والحب.. هذه هي أول مرة أشعر فيها بالغيرة الشديدة.. من نفسي قبل عدة أشهر، نفسي التي لم يكتب عليها أن يتيم بعد، نفسي التي تعمّت برؤية ابتسامته والدي صباحا، وغضبت لغضب والدي الخائف عليها بعض المساءات.

أشعر بالغيرة الشديدة منها قبل عدة أسابيع.. لتواجهها مع إيلان وآلاس اللذين أحبتهما بشدة، وهما أنا أشعر بمرارة الفقد مجدداً باختفائهما.. أو بمعنى أصح، باختفائي أنا من حياتهما،

أرغب لقاءهما بشدة، أرغب في إرسال هذه الرسالة لهما، لأخبرهما بكم أشتاق لهما.. آلاس أخبرني بأننا بتنا عائلة وطلبت منه ألا يثق بي وبذلك الكلمة.. غير مستوعب لكم الثقة والحب اللذين سقطت فيهما تجاههما.

أصبح عالمي خاليًا فجأة، لقد كدت أموت قبل عدة أيام.. وأشعر الآن أنني بصدد مواجهة طوفان سيهلكني لا محالة، سيرمي بجثثاني على الشاطئ ولن يكلف نفسه عناء تكريمي ودفي.. أشعر بالضيق يثقل دواخلي يا صديقي! لا أستطيع توقع أين سأكون غدًا.. وهذا يجعلني أشعر بالضيق العظيم والاختناق.. أشعر بموت الأحلام وانتهاء الأهداف، لا أعلم حتى كيف لا زلت على قيد الحياة فعلاً..

أنا فقط...."

استفاق من غرقه في أفكاره على صوت طرق الباب ليتوقف عن الكتابة معيدًا الريشة في الحبر ماسحًا دموعه التي سقطت خلسة بكفيه بسرعة قبل دخول آرسن الذي تحدث بهدوء:

- هل لك أن تأتي معي؟

نهض ألكسندر طاوياً الورقة ووضعها بين الكتب ونظر لآرسن متحدثاً محاولاً تشتيت تفكيره وفضول آرسن الواضح في وجهه مما يكتب:

- لأين؟ خارج الغرفة؟ أليس ذلك يعتبر انتحارياً؟

ابتسم آرسن سائلاً:

- ماذا كنت تكتب؟

نفى ألكسندر برأسه بخفة وخرج صوته باهتاً رغباً عنه:

- لا شيء.

اقترب منه آرسن مغلقاً الموضوع حتى لا يزعجه وسحب من كفه خلفه رغم نفور ألكسندر وتراجعاته المستمرة المضحكة، حتى وصلاً للخارج.. وشعر ألكسندر كما لو أنه لم ير السماء بهذا الشكل منذ زمن.. وأيقن بأنها ليست بالفكرة السيئة أن يخرج من غرفته طالما لا يتواجد في طريقه

شخص مستعد ويرغب قتله!

نظر لكف آرسن التي تحكم إمساك كفه، وللأصوات التي بدأت تتضح لمسامعه.. ولصوت مرت أيام لم يسمعه يتحدث:

- جمعتم هذا اليوم من أجل ألكسندر.. لضمه لنا رسميًا، ولتتعرفوا عليه.. من لا يرغب لقاء فليرحل.. هذا هو سبب الدعوة، ولكل منكم حرته!

وما أن أنهت حديثها حتى ساد الصمت تمامًا.. وثوان.. حتى توقف آرسن بينما كانا قد اقتربًا من هذا التجمع، حيث انتقلت الأنظار جميعها لألكسندر الذي ارتبك وشد على كف آرسن التي كان يسحبها بواسطها مسبقًا، وتراجع للخلف خطوة يخشى ما سيحدث.. إلا أن آرسن قد شد هو الآخر على كفه يوقفه، ساحبًا إياه لينقاد ألكسندر متقدمًا.

نهض أحد الجلوس يمشي ليخفض ألكسندر رأسه متسائلًا لماذا قد تضعه الجدة في موقف كهذا؟ هل بالمصادفة كانت تريد الإثبات له بكونه غير مرغوب فيه البتة؟؟

تحدث ليام بفرح بينما بدا كما لو أنه قد استفاق من صدمته:

- هذا يوم السعد! وأخيرًا! ألكسندر بينفيتو رسميًا قد أصبحت فردًا منّا!

زم ألكسندر شفتيه.. محاولًا قدر إمكانه كبح دموعه، يتوالى الصوت في عقله يخبره مرارًا وتكرارًا بعدم انتمائه لهذا المكان.. ورفع رأسه ينظر لليام ليتفاجأ بوجود الجميع، وقد بدا على وجوههم الرضا غير أن بعضهم قد ابتسم بدفء.. وهذا الذي كاد يمشي كان ليرهام، قد تحرك من مكانه مقتربًا ليراه عن قرب بهدوء ليس إلا.

نقل أنظاره للجدة التي تشير له بالاقتراب.. وبخطواته المترددة اقترب ليجلس بجانبها حيث أشارت له قابضًا كفيه ببعضهما متحاشيًا النظر للجميع عدا ليام الذي سرعان ما جلس بجانبه من الجهة الأخرى وهمس:

- لا ترتبك! أنا بجانبك!

مشى آرسن حيث تقف إيلينا ليقف بجانبها متحدًا:

- طلتك هي الأفضل دومًا!

ونظرت له مذهوشة، ونقلت أنظارها لوالدتها لترأها هي الأخرى تنظر لها مبتسمة لتبتسم..
حيث عادت تنظر لآرسن وهمست بصوت يكاد يسمع:

- أنت كذلك.. دومًا تجعلني فخورة بك حد السماء.

نظر لها آرسن ليرى ابتسامتها، ذات الابتسامة التي تزيح عن قلبه كل ما يزعجه، تجبره
الابتسام حتى لو لم يرغب، تقود قلبه ليحجر لسانه ليفصح:

- أنا أحبك.. يا إيلينا.

ظلت تنظر لعينيه كما ظل هو يفعل، وكأن الحياة خلت من كل الكلمات التي أرادها قولها في
تلك اللحظة وبشدة.. كفه تسلفت لتعانق كفها برفق، بينما هي شدت على كفه بقوة لا ترغب
إفلاتها أبدًا.. وابتسم.. بينما رفع كفها المتشبثة بكفه يقبلها لتتحدث هي:

- أدرك كل يوم كم أنا أيامي ستكون حالكة بدون وجودك فيها آرسن.. أنا أيضًا.. أحبك
جدًا.. أحبك لأبعد ما بعد الحب.

نظر لها آرسن وتحدث بتذمر:

- أكبح نفسي عن عناقك بشدة.. من المفترض أن تساعدني على ذلك وليس العكس!

ضحكت بخفوت، وشعر هو بالهواء البارد ينعش رثتيه وقلبه.. ويجعله سعيدًا للغاية شاعرًا
بالرضا، ونظر كلاهما لألكسندر الذي انتهى من التعرف على الجميع وعلى ليرهام الذي بدا مرغمًا
حين عرف عن نفسه بنبرته الباردة البطيئة وبلا تعابير تذكر، وعلى سيلفان الذي تحدث قاصدًا
ألكسندر:

- هل كنت الأمير الضائع كما في الحكايات؟! هل شاهدت المخلوقات الأسطورية قبلاً؟ هل
عشت مع التنانين؟؟

بدا ألكسندر مرتاحًا شاعرًا بالألفة تجاه الجميع.. نظر لسيلفان وضحك مجيبًا:

- رأيت المانتيكور!

وصدمة سيل الذي صدق حديثه كانت أكثر جزء أضحكه.. توالى عليه العديد من الأسئلة حول حياته ووجهات نظره ومدى بعد تفكيره.. ورغم ذلك استطاع ألكسندر ملاحظة ليرهام الذي لم يتحدث أبدًا، وفي ذات الوقت لم يزحزح عينيه عنه.. كما لو كان يراقب كل شيء عن بعد! وشفقت جدته بفرح بينما نهضت تلفت انتباه الجميع للخدم القادمين بالكعك والفطائر والمشروبات ليظهر الجميع رداً فعلهم المتحمسة السعيدة ووزعوا على بعضهم أطباق الطعام.

واستمع ألكسندر لجمال أنعشت قلبه بعد زمن، أيقن بأن تلك السعادة التي أحاطت قلب الجميع نادرة، استبان ذلك من حديث والدته ليام التي تحدثت ناظرة للجدّة:

- كدت أنسى آخر مرة اجتمعنا فيها وضحكنا بصدق!

نظر لجدته التي أجابت ناظرة له مبتسمة:

- وقد جاءت سعادتنا أخيراً روزين.

ابتسم ألكسندر مخفصاً رأسه ناظراً للطبق الموضوع على حجره.. شعر بالامتنان.. وربما برغبة في البكاء لو كانت تقصده بحديثها.

رفع رأسه ناظراً لمن جلست بجانبه وإذا بها والدته إيلاريون التي سألت مباشرة بابتسامة حانية:

- كيف حال صحتك؟ أتمنى أنك سليم تماماً.

ابتسم ألكسندر وتحدث:

- بفضل آرسن.. أنا حي.

بهت ابتسامتها من حديثه.. وكاد يعتذر إلا أنها تحدثت:

- لا تفكر حتى في الاعتذار عن حديثك.. أنت محق.. لقد كدت تموت.

تنهدت وأكملت:

- أنا من يجب عليه الاعتذار لخوضك ما خضته في سنك الصغيرة.. لكن عليّ الاعتراف بإعجابي بك وبقوتك.. أنت قوي للغاية لصمودك حتى هذه اللحظة ألكسندر.. تبدو فرداً

حقيقياً بالفعل منّا!

ظل ألكسندر ينظر لعينيهما شاردًا.. لماذا شعر بغمامات قلبه الكثيفة تحف بشكل ملحوظ؟
وتنفس بعمق مخفضاً رأسه لتتحدث:

- لو أردت التحدث معي بشأن أي شيء فلا تردد أبداً.. لا تردد في الحديث مع أي شخص
فيينا.. نحن عائلتك!

أوماً ألكسندر عدة مرات بسرعة زاماً شفتيه وهمس:

- سأفعل.. شكرًا.

صمت الجميع ناظرين لبوابة القصر التي فتحت.. دخل جوليان ومن خلفه إيلاريون
ليندهشا من تجمع العائلة.. نزل إيلاريون من على حصانه مسلماً حبله لأحد الحرس واتجه لهم
متحدثاً بتذمر هامساً:

- من دوني؟! هذه أكبر خيانة يا رفاق!

سقطت عيناه على ألكسندر المتواجد بين الحضور الذين وقفوا ليدرك سبب التجمع.. والتف
ببطء ناظرًا لوالده الذي نزل من على حصانه هو الآخر رامقاً الجميع بنظراته الحارقة.. وخصوصاً
ألكسندر، وأرسن الذي كان واقفاً بجانب إيلينا.. وأدرك بأن مصيبة كبيرة على وشك الوقوع،
إلا أنه استغرب حين دخل للقصر بهدوء كبير دون النبس بأي كلمة.. نظر إيلاريون لألكسندر
واقترب منه ومد كفه وتحدث:

- مرحباً! أنا إيلاريون.

صافحه ألكسندر بارتباك مومئاً.. وظل إيلاريون متمسكاً بكف ألكسندر لفترة أطول من
المعتاد يحديق فيه ليزدرد ألكسندر ريقه بتوتر مخفضاً رأسه، وفصل إيلاريون المصافحة حين
اقتربت والدته منه تعطيه طبقاً من الكعك وتحدثت:

- ما هي أجدد الأخبار؟

بهتت ملامح إيلاريون كما لو كان تذكر شيئاً.. لكن سرعان ما نفى برأسه مبتسماً وتحدث:

- لا شيء يذكر.. ماذا ستفعلين أنت مع والدي؟

تنهدت بثقل ليكمل إيلاريون:

- وإيلينا! لقد رأها والدي مع آرسن، لم يجدر بهما الوقوف بهذا الشكل الواضح.

تحدثت بهدوء:

- إيلينا لا تفعل شيئاً خاطئاً.. وإلا كنت أنا أول من ردعها!

طبطبت على خد إيلاريون الأيسر بكفها الأيمن وتحدثت بابتسامة:

- ارتح أنت الآن يا عزيزي.. ولا تشغل تفكيرك في الأمر.. سأذهب له الآن.

عند إيلان

كان إيلان مصدوماً مما تراه عيناه.. كان المكان أشبه بالمستعمرات الكبيرة لكنها محفورة في باطن الأرض لعدة أمتار يصل بينها وبين سطح الأرض سلالم من خشب مقسمة لجزئين علوي وسفلي يفصل بينهما سطح مستوٍ من الخشب كذلك يشبه المنصة.. بينما امتلأ المكان بالحياض المفتوحة والصناديق المستعملة كطاوولات، وهذا غير الأسلحة المتواجدة في كل مكان عدا المكان الذي يقف فيه.. نظر نظرة سريعة حوله للبربريين الكثر الذين اخترقوه بنظراتهم هو والسيدة الواقفة بجانبه مع ابتها.. ونظر بضياح للذي تقدم منهم يقيد أيديهما للأمام دون الطفلة التي سحبها قسراً من والدتها مجدداً بعد سؤالهم عن أسبائهم ودفعهم بعنف لمكان مغلق مبني من طين أدرك إيلان بأنه المكان المخصص للأسر.

ودخل ليشعر بالألم ناظراً للأشخاص الكثر المتواجدين، بينما استوطن البؤس والغضب المكتوم ملاحمهم.. ولح من بينهم من شعر بالصدمة أكثر برؤيته.. كان مخفضاً رأسه منكسماً على نفسه بهدوء شديد ورغم ذلك كان الضرب المخلف عليه واضحاً كالشمس.. ولم يحاول إيلان إظهار معرفته به أمام البربريين واكتفى بالجلوس بجانب السيدة التي عادت تبكي بهدوء على ابتها والتي سرعان ما همست له بندم:

- أعتذر جداً.. ومهما اعتذرت.. هذا لن يفيد شيئاً تجاه المصيبة التي أوقعتك فيها.. لماذا كشفت نفسك أمامهم فقط؟!

نظر لها إيلان، تنهد وتحدث بهدوء:

- فعلت ذلك بإرادتي.. لماذا تعتذرين؟

أخفض رأسه متحدثاً:

- أردت أن أنقذها.. لكنني أضعف من إنقاذ نفسي حتى.. وها أنا ذا.. لذا من عليه الاعتذار هو أنا.

نظرت له نافية برأسها وهمست بهدوء:

- شكراً لمبادرتك.. شكراً جزيلاً إيلان.

ظل إيلان ينظر لها لثوان ليبتسم وتحدث محاولاً التخفيف عنها:

- العفو.. لكن لا مزيد من القدر الطائرة صحيح؟

وضحكت هي بشكل خفيف ليكمل:

- كل شيء سيكون بخير.. وحتى لو ساءت الأمور أكثر.. سيكون هذا أفضل من أي قدر آخر.. سأحرص على إعادتها لك سالمة.

ونفض متعجباً لمن رآه مسبقاً.. وجثا على ركبتيه أمامه ليتبته له الآخر رافعاً رأسه مصدوماً وهمس بصوت مبحوح:

- إيلان؟

أوما إيلان بخفة وسأل:

- ما الذي أصابك إيفان؟

تنهد إيفان متأكداً من أن ألكسندر هو من أخبره عن اسمه وهمس:

- ما الذي أصابني؟ ها أنا ذا حي أمامك.

تنهد إليان وسأل بتردد ناظرًا للكدمات وجهه:

- هل .. هم من قاموا..؟

أبعد إيفان تواصلهما البصري مومئًا بخفة ليشعر إليان بالغضب سائلًا:

- لماذا؟

رفع إيفان كتفيه وأخفضهما مجيبًا برتابة:

- للتسلية ..

سأل إليان هدهوءً محاولاً إخفاء صدمته الكبيرة:

- كيف وجدوك؟ أفترض بأنك استطعت الهروب منهم؟ أنت بارع.

تنهد إيفان متحدثًا:

- ليسوا حقى .. لقد كانوا كثر، ولا أعلم كيف استطاعوا إيجادي .. ولعل محاولاتي للهرب وقتها هي ما دفعتهم للاستمتاع بضربي يوميًا.

نظر له إليان هامسًا بينما لم يستطع إخفاء صدمته أكثر:

- يوميًا؟!

ظل إيفان ينظر له هدهوءً ليزم إليان شفثيه قليلًا بتفكير قبل أن يتحدث:

- لا تقلق .. سنخرج من هنا .. بطريقة ما .. سأفكر وفكر أنت أيضًا.

تحدث إيفان:

- لا حل سوى إشعال النيران .. المكان مليء بالأقمشة والخشب .. لكن هذا صعب.

عند روديون

الشمس غابت منذ مدة، وتنهد روديون ناظرًا لضوء الشعل من بين أشجار الغابة كاشفًا مقر

البربريين.. نظر لآلاس المصدوم وتحدث:

- المكان كبير للغاية.. بالتأكيد هم أكثر.. لديك أي أفكار؟

نفى آلاس برأسه وتحدث:

- لا نستطيع فعل شيء دون معرفة هيكل المقر من الداخل جيدًا.

كاد روديون يتحدث.. لكن آلاس قام بدفعه لإحدى الأشجار واضعًا كفه على فمه ملتصقًا به لدرجة شعور روديون بكتمه لأنفاسه هو الآخر.. وسمع بعدها وقع أقدام من خلف الشجرة.. كان الصوت يقترب بينما تحدث أحدهم سائلًا:

- سمعت شيئًا ما؟

تحدث الآخر:

- من ذا الذي يجرؤ الاقتراب من هنا؟ سيكون مجنونًا حكم على نفسه بالموت! دعنا نعد ونبقى على مقربة من المقر.

تحدث الآخر متضايقًا:

- متى تنتهي مناويتنا؟

أجاب الآخر:

- منتصف الليل.

اتخذوا خطاهما عائدين بينما سأل أحدهما:

- هل صحيح بأنهم وجدوا ابن البارون؟

خف الصوت أكثر.. نظر روديون وآلاس لبعضيهما وتبعاهما بخفاء مستمعين لإجابة الآخر:

- لا أحد يعلم.. ولو حدث ذلك فبالأكيد سيأتي كبير الرأس البغيض ذاك هنا.. لأنه المسئول عن البحث عنه.

تحدث الآخر:

- ونحن؟ متى سنبدأ تحرّكنا؟

أجابه الآخر:

- حين تأتي الأوامر.. ستتع.

وخيم الصمت طويلاً، فقد معه الاثنان أمل الاستماع لشيء آخر ليعودا ويتحدث آلاس فور ابتعادهما عن المقر:

- هل سمعت؟ ابن البارون.. يبحثون عن ابن البارون.. يا إلهي.. لو ربطنا الخيوط ببعضها.. يبدو كما لو أنهم يبحثون عنه لأخذه كرهينة ترضح والده لهم.. وسيسهل عليهم حينها مهاجمة الملك عن طريقه!

أوماً روديون ببطء مفكراً وهمس:

- لكن.. لماذا يكون ابن البارون ضائعاً أصلاً ليجثوا عنه؟ أليس هذا مثيراً للريبة؟

تنهد آلاس وتحدث:

- دعنا نعد للقرية.. هناك أكثر أمناً من هنا.

في القصر الملكي

انتهى اجتماع العائلة.. وتبع ألكسندر جدته حيث جناحها ودخلا لغرفتها.. فتحت أحد أدراج مسرحتها وأخرجت منه علبة مخملية سوداء اللون وقامت بفتحها.. أشارت لألكسندر بالاقتراب ليقرب ناظراً لما بداخل العلبة ليتفاجأ.. نظر لجدته سائلاً:

- تاج؟

ابتسمت بينما وضعت العلبة على المرحطة ممسكة التاج برقة بأناملها النحيلة ووضعت برقة فوق رأس ألكسندر ناظرة للمعة مجوهراته الصغيرة ولونه الفضي الذي امتزج مع سواد شعر ألكسندر بشكل فاتن تحت نظرات ألكسندر المذهولة، وأمسكت بكتفيه ووجهته ناحية المرأة لينظر لنفسه، بينما تحدثت هي برقة:

- تاج إثبات كونك أحد الأمراء.. كان ملكاً للوريس والدك.. تركه في غرفتي مع ملاحظة طلب مني فيها الحفاظ عليه حتى يأتي مستحقه.. أنت.

ظل ألكسندر ينظر لنفسه مطولاً شاردًا.. رفع كفه يلمس التاج بخفة.. وخلعه واضعاً إياه في العلبة مجدداً ونظر لجدته وتحدث:

- لست متأكدًا لو كنت أنا المستحق أم لا.. لكنني أود شكرك لتصديقي.. في ذلك اليوم قبل فقداي للوعي.. استمعت لصوتك يناديني.. لم أستطع تمييزه وقتها، لكنني أستطيع الآن.. أكان ذلك أنت فعلاً؟

ابتسمت وتحدثت:

- كان أنا.. فعلاً!

ابتسم ألكسندر وتحدث:

- لم أكن أشعر بأنني مرغوب في أبداً حتى الآن.. كنت مشتتاً وخفت رفضي من قبل الجميع بذات طريقة الملك.. ولذلك كان جل تفكيرني الهرب والخروج من هنا.. لكن الآن..

تنهد مكماً:

- لا أعلم فعلاً.

تحدثت جدته بينما جذبت انتباهه:

- لماذا لا تعطي نفسك فرصة تجربة العيش معنا بدل الصد والرفض؟ حينها ستجد الطريق الذي يناسبك بوضوح.. ولن أقف في طريقك واختياراتك كما فعلت مع لوريس بالضبط.. لكنني سأمنى.. ألا تفعل ما فعله معنا.. وبأن طيور قلبك المهاجرة ستحط على أعشاشنا.. يا ألكسندر.

زم ألكسندر شفثيه مومئاً.. وهمس:

- يا جدي.. هل بإمكانك.. عناقي؟

ابتسمت جدته باتساع وأجابت بينما اقتربت منه:

- أكيد!

جذبت به بلطف لحضنها ليسكن هو بين ذراعيها مشتماً رائحتها اللطيفة التي أراحته.. تحدثت بهدوء بينما قبلت رأسه:

- أتمسك بك للغاية لأن قلبي عرفك، أصبحت عزيزاً عليّ في فترة قصيرة.. أتساءل لو كان الأمر كذلك فعلاً؟ أم أن حبي الكبير هذا نتج عن شوقي لرؤيتك منذ ولادتك؟
تنهدت مكملة:

- ولكن المهم هو أنني استطعت رؤيتك.. لمسك والحديث إليك.

ابتسم ألكسندر بدفء.. رفع ذراعيه يبادلها العناق وتحدث:

- شكراً لك.. كثيراً.. على كل شيء.

فضلا عناقهما لتتحدث هي مبتسمة:

- خذ اللعبة معك لغرفتك.. جميع أفراد الأسرة يمتلكون واحداً.. وأيضاً.. قلادة الأسرة؟
تمتلك واحدة؟

نفى ألكسندر متحدثاً:

- فقط قلادة الحكم.

أومأت بينما أخرجت قلادة من درج آخر وألبستها إياه لينظر ألكسندر للقلادة الراسية على صدره مطولاً قبل أن يمسكها مقلباً شعار العائلة بين أصابعه.. حينها أخرج القلادة الأخرى -قلادة الحكم- وعلم سبب تواجد الدائرة المفرغة حين وضعها على بعضها البعض.. فباتت الشمس تشغل ذلك الفراغ وتكمل الصورة.

أغلقت جدته اللعبة المخملية وسلمتها له ليتحدث ألكسندر بتردد:

- لدي طلب.

نظرت له مومئة وتحذرت:

- سل ما تشاء!

أجاب ألكسندر بينما شد على العلبة الموضوعة بين كفيه:

- أصدقائي.. لم أعد أعرف عنهم أي شيء منذ أخذني آرسن.

تحدثت:

- أكيد.. بإمكاننا تأمين مكان متكامل لأجلهم لتستطيع زيارتهم.. أين هم؟

تنهد ألكسندر متحدثاً:

- آخر مرة كنت فيها معهم.. كنا قد بقينا في قرية خالية، مات أهلها من الوباء.. لكن الآن.. حقاً لا أعرف أين من الممكن أن يكونوا.

أومأت متحدثة:

- سأرسل بعض الحرس لتفقدهم والمجيء بهم.. ليس أمراً كبيراً ولا صعباً.. هون عليك!

ابتسم ألكسندر بامتنان.. وكادت هي تسأله عن اتجاه القرية لولا الصوت الصاخب القادم من الخارج ليترك ألكسندر العلبة على المسرحة مخفياً قلاذتيه داخل قميصه وخرجاً سوياً ليشاهد ثوران جوليان الواقف في بهو القصر الضخم على آرسن بينما تواجد الجميع.

نزلت بسرعة مع ألكسندر.. وتبين لمسامعهما حديث جوليان حين أفصح محاولاً تمالك أعصابه:

- ماذا قلت أمس؟ هل عليّ إعادة حديثي مجدداً على مسامعك أمام الجميع لتشعر بالخزي لو لم تشعر؟!

ظل آرسن ينظر له بهدوء لتتحدث زوجته:

- أنا كنت متواجدة جوليان!

نظر لها جوليان وتحدث:

- وهذه المصيبة! ألم أمرك بأن تبعديه عن طريقها؟

نظر لإيلينا التي كانت تقف خلف إيلاريون متحدًا بغضب:

- وبماذا أمرتك أنا؟

تمسكت إيلينا بذراع شقيقها بينما اختبأت خلفه أكثر لتتحدث إيريني:

- دعوتي شملت جميع الأسرة جوليان.. أنا من طلب منها أن تأتي.. هل لديك اعتراض حول الأمر؟

نظر لها جوليان لثوان قبل أن تحط عيناه على ألكسندر الواقف بجانبها ليتحدث ساخرًا:

- هل شملت دعوتك أيضًا هذا الحفير؟ يا ملكة نابولي.. منذ متى كنا نوقف بجانبنا المسوخ؟

نظرت له مصدومة من حديثه كما الجميع.. ونظر له ألكسندر بهدوء بينما عيناه وقلبه قد حملوا غضبًا كبيرًا متجاهلاً وقع تلك الكلمات على قلبه وحرجه من تلقيه هذا الحديث أمام الجميع وهو للتو تعرف عليهم! وتحدث جوليان باستفزاز:

- ماذا؟ لماذا تنظر إليّ بهذا الشكل؟ هل يا ترى تشعر بالغضب؟ هل تملك حتى حق الشعور بالغضب؟

تحدثت إيريني غاضبة:

- جوليان توقف!

وكأنها طلبت منه المزيد لا التوقف، حيث أكمل بذات نبرة الاستخفاف والاستهزاء:

- لو كنت مكانك ما كنت خرجت من جحري أبدًا.. هل تخال بأن لك مكان هنا بينما وأنا الملك.. لا أعترف بك؟ ألا تشعر بالخجل من نفسك حتى؟ أخفض ناظريك عني قبل أن أفتلع عينيك حالًا!

تنفس ألكسندر بعمق منذ منتصف حديثه.. وأخفض ناظريه للأرض حال صراخ جوليان آخر حديثه ليس خوفًا منه.. لكن محاولة لمداراة دموعه التي تجمعت رغمًا عنه.. شعر بالضيق الكبير في صدره ورثيته ليحاول أخذ أنفاس أكبر.. رفع رأسه ناظرًا لآرسن الذي صرخ غاضبًا ما أن أنهى جوليان حديثه:

- حدثه بشكل جيد! لا يختلف عنا في شيء أبداً بل وعلى العكس! هو أفضل واحد فينا..
أفضل منك حتى يا ناكر الماضي!!

ساد الصمت تماماً ولم يسمع إلا صوت اللكمة القوية التي تلقاها آرسن من جوليان لينخفض
آرسن بجسده رغماً عنه تباعاً لقوة الضربة، بينما همس جوليان بغضب مكبوت:

- كيف تجرؤ محادثتي بهذا الشكل!

اقترب والديه وإيريني له بالإضافة لليام ووالدته بينما ظل آرسن ينظر له بكره.. وما كادت
إيلينا تقترب منه هي الأخرى حتى أمسك والدها بذراعها بقوة لتسأل.. وحينها تدخل إيلاريون
محاولاً إبعاد والده عنها.. وتحدث آرسن غاضباً:

- دعها!

ورد جوليان بصوت مرتفع:

- أي شخص سيخرج عن طوعي سأتبرأ منه!

وساد الصمت وعلت الدهشة ملامحهم جميعاً، بينما نظروا له ليكمل بحدة:

- وسأقطع رأسه في ميدان السوق عند البازيليكا أمام الشعب ليصبح عبرة للبقية!

نظر لآرسن وأردف:

- تمردك وخروجك من القصر وتعديك على قوانينه ونشك الماضي لا يعني بأنك تستطيع
تعدي حدودك معي.. مع الملك، أنا أحذرك للمرة الأخيرة.

وكم كانت نبرته محذرة يختمني خلفها توعد مرعب، وعاد جوليان بعينه القاسيتين لألكسندر،
ونفت إيريني برأسها واستفاقت من دهشتها وتحدثت:

- جوليان! لا تدمر ما سعت جاهداً لتبنيه! لأنك لو فعلت سأقف أنا بطريقك!

وعادت أصواتهم تتفاوت بالحديث، منهم من يسأله بعدم تصديق لو كان يعني حديثه فعلاً،
ومنهم من يعارض قراره بقانون المملكة، ومنهم من يحاول تهدئتهم وعدم تأزيم الموقف زيادة.

كل ذلك حدث أمام ألكسندر.. زاد ضيق صدره وشعر بالألم.. خطأ أولى خطواته باتجاه آرسن منادياً عليه حين شعر بحالته تزداد سوءاً كما ذلك اليوم حين لقائه الأول بجوليان.. ولم يخرج نداؤه إلا همساً لا يسمع.. تنفس بشكل أقوى حين شعر بالاختناق الفعلي.. وحين حاول تثبيت خطواته القادمة خائفة قدمه ليسقط أرضاً على ركبتيه سائداً نفسه بكفه التي ثبتها على الأرض.. وأصبح تنفسه مسموعاً بشكل خفيف، بينما وضع كفه الأخرى على صدره يمسده شاعراً بالألم الذي لا يطاق فيه.

انتبه له ليام وسط شوشرة الجميع وصراخهم ليصرخ بخوف لافتاً انتباه الجميع متجهاً له:
- ألكسندر!

وما أن كاد يسنده.. حتى تمسك ألكسندر بذراعه قبل أن ينساب جسده بين ذراعي ليام تزامناً مع مناداة إيريني المرعوبة باسمه.. ولا زال يتنفس بصوت مرتفع.. كما لو كانت رثيئة ترفضان استقبال هذا الكم الهائل من الهواء الذي يحاول إيصاله لها.. طبطب ليام على خده محاولاً إفاقة.. وجهه محمر للغاية بينما برزت عروق رقبته، وعيناه لم تظهر أبداً بأنه في وعيه!
جلس آرسن مقابل ليام صاحباً ألكسندر من بين ذراعيه متحدثاً ماسحاً على شعره ووجهه ليجففه من دموعه:

- ألكسندر! تسمع لي؟ ألكسندر ما الذي تشعر به؟

تنفس ألكسندر مجدداً بشكل أثار قلق آرسن أكثر.. كما لو كان يحارب ليتنفس.. شهقاته مؤلمة للغاية.. زافراً بعدها متأوهاً بصوت مرتفع ليستشعر آرسن الألم الذي يعاينه ألكسندر في صدره.
أنزله آرسن على الأرض مرعوباً ناظراً لعينيهِ اللتين بقيتا نصف مفتوحة ينظر للفرّاح.. ضغط بكفيه المشبكيتين ببعضهما على صدر ألكسندر مراراً وتكراراً محاولاً مساعدة ألكسندر منعشاً صدره حتى شهق ألكسندر بقوة وتنفس بعدها براحة.. نظر آرسن لوجهه ولعينيهِ متحدثاً بينما تمسك بكفه يداها:

- ألكسندر.. لو كنت تسمعي.. أرجوك.. حاول الضغط على كفي.

ظل ألكسندر هادئاً تماماً بينما عاد تنفسه ليصبح بذات هدوئه، ليتحدث آرسن ملحاً:

- لو كنت تسمعني.. حرك كفك.. حاول.

نظر آرسن لكف ألكسندر لثوان قبل أن تتحرك بشكل بسيط لا يكاد يلحظ ليدرك بأنه لا يستطيع التحكم بجسده، ونظر لوجه ألكسندر ليرى دموعه التي تساقطت بشكل كثيف.. شعر ألكسندر بأنه محبوس داخل جسده ولا يستطيع الحركة.. وحتى عينيه لا يستطيع تحريكها، واستمع لصوت جدته تناديه عدة مرات بينما شعر بأناملها الدافئة على وجنته.. ورغم ذلك لم يستطع منع دواره القوي الذي عصف بدنياه مفقداً إياه وعيه بعدها فوراً.

Αυτός είμαι εγώ.. Αλέξανδρος.. γράφω τα γράμματά μου μετά από πολύ καιρό στα οποία δεν έβγαίνα με τα προσόντά μου..

Ο ουρανός πίσω από το τζάμι γίνεται το πιο συχνό θέαμα που βλέπουν τα μάτια μου. Σήκωσα το κεφάλι μου στον ουρανό προχθές και χθες και πριν από λίγες στιγμές. Τα σύννεφα θρυμματίζονται και ντρέπονται να εμφανιστούν, και τα αστέρια φαίνονται πολύ μακριά. μακριά, πιο μακριά από ό,τι ήταν την τελευταία φορά που τους κοίταξα, νιώθοντας ελεύθερος και νιώθοντας την καθησυχασμένη καρδιά μου, ευλογημένη με ζεστασιά και αγάπη. Αυτή είναι η πρώτη φορά που ένιωσα υπερβολική ζήλια... για τον εαυτό μου πριν από αρκετούς μήνες, για τον εαυτό μου που δεν ήταν προορισμένο να μείνει ορφανός ακόμα, για τον εαυτό μου που είχα την ευλογία να δω το χαμόγελο της μητέρας μου το πρωί και που ήταν θυμωμένος με οργή του πατέρα μου που φοβόταν για εκείνη κάποια βράδια. Την ζήλεψα πολύ πριν από μερικές εβδομάδες... γιατί Την ζήλεψα πάρα πολύ πριν από μερικές εβδομάδες... γιατί ήταν με τον Έλιαν και τον Ασσο, τους οποίους αγαπούσα τόσο πολύ, και τώρα νιώθω ξανά την πίκρα της απώλειας με την εξαφάνισή τους... ή ακριβέστερα, με την εξαφάνισή μου από τη ζωή τους.

, θέλω να τους
ω πρόσω μου
ε γίνει οικογένεια
υτεί αυτή τη
οσύνη και την

, κόντεψα να
ώρα νιώθω ότι
απόφευκτα θα
στον κόπο να
ια απώλεια να
πορώ να
ω καν πώς

رسالة ألكسندر



الفصل الثاني عشر

جَوْهَرُ الرُّوحِ الدَّامِي



"صوت شجي ترددت أألانه مشتقاً من جسدي روحي المعتمة، دعاني لأتبعه.. منادياً عليّ برقة آخذاً قلبي الضعيف من بحيرة الماضي المظلمة، ووقفت أنا في حيرة لا أدري، أكان ذلك صوت الحياة الحلوة ينادي؟ أم هو صوت نهايتي القريبة القادمة؟ وركضت.. وبقيت أركض كما لو أنني أسعى لشيء واقع، والواقع ما كان إلا خطاي لقدري المكتوب المحسوم.. وما ملكت أبداً سوى آمالي التي خشيت انهيارها" ..

..

صباح جديد قد طل بأشعة شمس النقية الساخنة، لم يظهر أبداً بأن الليل الذي مضاه كان كاسراً.. بينما مضت ساعاته في الانتظار والتفكير دون التوصل لقرار أو حل حتى حل الصباح، وتنهّد إيلان ناظرًا بتعب للباب المقفل.. لم ينم أبداً منذ البارحة بعكس إيفان الواضع رأسه على كتف إيلان نائماً بعمق من تعب.. وعلى الرغم من استيقاظ إيفان المتكرر وطلبه لإيلان بأن ينام عدة مرات، إيلان لم يستطع رغم أنه حاول.

حرك إيلان كتفه المتخدر بألم متحدثاً بهمس موقظاً النائم عليه:

- إيفان.. استيقظ.

حرك إيفان رأسه مكشراً بملامحه ليكمل إيلان:

- الصباح حل.

اعتدل إيفان جالساً بينما لا زالت عيناه مغلقتين، لبيتسم إيلان بخفة ويتحدث إيفان متدمراً بصوت منخفض:

- وماذا إن حل.. لا زلنا محتجزين ولا نمتلك شيئاً لنفعله.

تحدث إيلان مدلكاً كتفه:

- أجل صحيح لكن كتفي ألمني.

فتح إيفان عينيه ناظرًا له وهمس:

- أعتذر.. هل يؤلمك جدًا؟

نفى إيلان برأسه وتحدث مستغربًا:

- لماذا تعتذر بينما أنا من أخبرتك بأن تريح رأسك على كتفي؟ أنا بخير! ثم ماذا عنك؟

تحدث إيفان مدلكًا وجهه بكفيه:

- بخير.. وشكرًا لك.

ابتسم إيلان واضعًا رأسه على كتف إيفان وتحدث ضاحكًا:

- دوري..

رأى وجنة إيفان وقد ارتفعت ليعلم بأنه ابتسم.. وثوان أخرى حتى أراح رأسه على رأس إيلان وهمس:

- أتمنى ألا توقظني مجددًا.

وما هي إلا ثوان، حتى نفى ابتسامتيهما ونيتها للنوم صوت افتتاح الباب وولوج عدة بربريين قاموا بإيقاظ الجميع وسحبوهم للخارج ليجلسوا على الأرض أمام رجل كان قائد تلك المستعمرة، وعلى ما يبدو أنه قد وصل منذ وقت قصير، كان يقف على المنصة بين الدرجين بشموخ ينظر لهم بتعالٍ ليستمز منه إيلان، بينما جلس بجانب إيفان ناظرًا للسيدة التي جاء معها مسبقًا بينما قاموا برمي ابتها لها لتلقفها بين أحضانها تطمئن عليها وتبكي بهدوء، وتحدث الرجل الواقف أمامهم بصوت مسموع:

- سبب تواجدكم في مكان كهذا لا تعلمونه كما نحن.. وإنما هي أوامر الملك.

نظر له إيلان مدهوشًا بينما قبض إيفان على كفيه بقوة، وأكمل الرجل:

- جميع ما تمرون به ما هو إلا بأوامره كذلك من طعام وشراب ومعاملة، أنقل لكم هذا بصفتي قائد فرقة الجيش السرية.

وكان وقع كلماته على مسامع إيلان كالصفعة، اندهاشه تحول لصدمة بينما لم يستطع إزاحة عينيه عن الذي أكمل:

- وبكوني من هذا الجيش الذي أقسم بحماية شعب مملكتنا، أخبركم بصدق بأنني ضد أوامره كما جميع الجنود هنا، ولهذا جمعتكم هنا اليوم.. لأخبركم.. بأننا نبذل قصارى جهدنا حتى لا يكتشف الملك أمر معارضتنا له، ونحاول قدر الإمكان المحافظة على أرواحكم المهمة.. باستثناء بعضكم والذين سأخبركم بكل أسف.. بأننا مجبرون على استخدامهم للتمويه.. وبالتأكيد سيكونون أشخاصًا لا يمتلكون عائلة أو أحباب

نظر الرجل لإيفان آخر كلامه ليستوعب إليان مقصده وينظر لإيفان بقلق ليراه قد أخفض رأسه قطعًا اتصاله البصري مع الرجل قابضًا كفيه بقوة كبيرة جازًا على أسنانه بعنف بينما لمح دموعه المحبوسة في عينيه فأمسك بذراعه بكفه وهمس:

- إيفان..

لم يجد ما يقوله.. لكنه تمنى لو يستطيع نزع تلك الكلمات من رأسه حتى لا يتأثر بها، أو لو أن إيفان فقط لم ينتبه لنظرات الرجل التي تقصده.

تحدث أحد الرجال الجالسين في المقدمة بنبرة كارهة:

- هل شملت أوامر ذلك القذر سجن كبار السن والنساء كذلك؟

تحدث الرجل الواقف:

- حدث بالفعل.. ولهذا أريدكم أن تكونوا بصفنا حين نعلن انقلابنا عليه، لمستقبل أكثر إشراقًا لنا بولي، ولرجوع الحقوق لأصحابها.

تنهد الرجل وتحدث:

- أنهيت حديثي.. أطلب منكم برجاء العودة لغرفة الاحتجاز حتى أعلمكم بالمستجدات.. سنفك قيدكم، ولن يقوم الجنود بإرغامكم على الدخول لأنني أعلم بمقدار تعاونكم معنا وتطلعكم لمملكة أرقى فكرًا وأكثر إنسانية.. شكرًا لكم جميعًا.

بدأ البعض بالوقوف عائدين بطواعية كبيرة بعدما فكوا قيودهم.. منهم من شكر الرجل على تواجده بصفتهم لينضم له البعض، وشعر إليان بأن هناك شيئًا خاطئًا.. وكيف هؤلاء الأهالي أن يعودوا لسجنهم بكامل إرادتهم! ولماذا ينوون التضحية بمن هم وحيدون؟ ألا يستحقون العيش

بنفس مقدار استحقاقية الذين ينعمون بعائلة؟!

كره هذه التفرقة وشعر بالاشمئزاز الشديد منها.. نظر لإيفان الذي ما زال منخفضاً رأسه ليغضب من هذا الظلم الواقع.. ونهض موقفاً إيفان الذي بدا منعزلاً عن العالم وتحدث بنبرة حائرة محاولاً إفاقته، بينما تمسك به جيداً:

- لنعد للغرفة بسرعة إيفان.

مشى لبضع خطوات قبل أن يشعر بأحد رجال البربريين المستعمرين كما ظل يراهم يسحب منه إيفان من ملابسه ليتمسك إيلان بذراع إيفان بقوة أكبر وسأل من سحبه باندفاع:

- لأين ستأخذه؟

نظر له البربري وسأل بتهكم:

- هل توجه سؤالك نحوي؟ يا لجرأتك!

جذب إيلان إيفان ناحيته وحدثه بعصية:

- ما بك إيفان! لماذا أنت هادئ هكذا؟!

نظر له إيفان بهدوء وهمس:

- ليست مرقى الأولى.. يا إيلان.

وسحب إيفان ذراعه من بين كفي إيلان منقاداً للذي سحبه بعنف تحت أنظار إيلان المصدومة.. تنفس بهمس بينما تجمع دموعه في عينيه محاولاً تمالك نفسه قبل أن يصرخ مسمعاً إيفان:

- لا تقبل على نفسك هذا الظلم!

زم إيفان شفثيه بينما رفع رأسه ناظرًا بعينيه الدامعتين لحيث يأخذه البربري.. لإحدى الخيام الجدارية المنصوبة والتي كانت أكبر الخيام الموجودة.. قام البربري بفتح باب الخيمة دافعاً إيفان نحو كرسي خشبي في الداخل ليجلس إيفان ناظرًا للذي دخل من خلفهم، قائدهم والذي قد ألقى خطاباً للأسرى قبل قليل.

حيث دخل متجهاً لإيفان أمراً الآخر بالخروج بعدما قيد إيفان للكرسي ليخرج، وظل يسير أمامه بروية ليتوتر إيفان من طول تعليق عينيه عليه، كما لم ينفك صوت إيفان الذي يأمره بالتمرد عن عقله، وتوقف الرجل ناظرًا لإيفان ولعينيه الدامعة لتخرج منه تأتأة مسموعة قبل أن يستدركها بنبرة متهكمة:

- لماذا هذه الدموع؟

أبعد إيفان ناظريه عنه ليتقدم الآخر رافعاً وجهه من ذقنه بأصابعه يجبره النظر في عينيه هامساً:

- نسل لوريوس اللعين.

أخذ نفساً قبل أن يتحدث مكملًا:

- أول مرة نتحدث فيها وجهًا لوجه منذ ثلاث سنوات.. بالتأكيد تتذكرني؟ بت تمتلك ملامح والدك اللعين.

رفع إيفان وجهه عن أصابعه لبيتعد قبل أن ينظر للأرض مخفضاً رأسه.. نظر له الآخر بحدة، وثنان أخرى وقام بصفعه بكل قوته، ولولا الحبل الذي قيد جسد إيفان للكرسي جيداً لكان سقط حتماً، وكنتم إيفان أنفاسه حتى لا ينطق بها يظهر ألمه.. وشعر بالدوار يأكل إدراكه بشكل مرعب من كثرة ما تلقاه من ضرب في الأيام السابقة دون تقديم أي علاج أو طعام.

عدل القائد جسده المائل عن الكرسي عليه بقوة وعنف وتحدث:

- حين أحدثك.. عليك إظهار طواعيتك واستماعك، هل تفهم؟

نظر له إيفان ليكمل الآخر:

- مرت ثلاث سنوات، بحثت عنك فيها طويلاً، وجدنا ابن البارون بفضلك كذلك!

عقد إيفان حاجبيه مستفهماً ليكمل الآخر:

- انضامك لتلك المجموعة كشفك، وانفصالك السريع عنهم سهل علينا الإمساك بك.

قهقهه بينما أكمل:

- هل خلت بأبني كنت سأتركك تعيش بينما على يدي ماتت عائلتك؟

ظل إيفان ينظر له بكرة أظهر مقدار قهره، صراخه الذي يرغب من كل قلبه صراخه قد قيد بواسطة عقله الذي يجبره على الصبر ليتألم قلبه أكثر وأكثر، يحاول بأنفاسه إخماد النار الموقدة بداخله لتشتعل النار أكثر، وكان ملاذه الوحيد دموعه.. والتي بقواه المتبقية كتمها حتى لا يظهر ضعفه، وظل الآخر ينظر له مستمتعًا بتعابير، ونهض يسكب له نبيذًا في كأس زجاجية قبل أن يسحب كرسيًا ليجلس عليه بالعكس مقابل إيفان، الذي لا زال ينظر له وتحدث ناظرًا لكأسه:

- أكثر الأوقات متعة هو وقت مراقبة انهيار الضحية مع كأس نبيذ فاخر، الخطوة الأولى، إساعها ما تكره.. الخطوة الثانية، تأديها إن أبدت اعتراضًا.. الخطوة الثالثة، مراقبتها تطلب الموت ولا تطوله.. وأخيرًا، مشاهدة بريق الحياة يسحب من عينيها بعد تعرضها لشتى أنواع الألم. ابتسم رافعًا عينيه عن نبيذه ناظرًا لأعين إيفان المصدومة مما لهج وتحدث:

- والدك والدتك.. وحتى شقيقتك الكبرى وبالأخص هي.. كانوا أكثر الأشخاص إمتاعًا.

تحدث إيفان بهدوء:

- لا تزيد نفسك إلا دناءة وسوءًا، أنى لك أن تجلب سيرة عائلتي على لسانك القذر؟! شرب الآخر ما في كأسه كاملاً ووضع كأسه برفق على صندوق موجود بجانبه، ونظر لإيفان مجدداً وهمس:

- تأديها إن أبدت اعتراضًا.

اختتم آخر كلمة لأكبر إيفان على نفس الخد مجدداً ليتنفس إيفان بصوت مسموع شاعراً بألم لا يوصف في فكه.. وشعر بثلثته التي نرفت، بينما تحدث الآخر:

- كيف تحافظ على هدوءك؟ والدك ضحى بحياته لأجلك.. رضي أخذ الألم عنك.. لم أتوقع أن تكون هادئاً هكذا حين أتحدث عنه.

لمس إيفان خده من الداخل بلسانه.. الجالس أمامه يصبر استفزازه، بينما هو يحاول قدر

إمكانه البقاء هادئاً.. دواره اشتد، شعر بروحه تسحب للأسفل بشكل يخنقه للغاية.. ضيق عينيه بضعف مستسلماً لدواره شاعراً بأنفاسه المرتجفة في صدره المكتوم.. ورغماً عنه أغلقت عيناه.

نهض الآخر مبتسماً، أمسك بكفيه دلو ماء ممتلئاً عائداً لإيفان الذي سكن وهمس بهدوء:

- مشاهدة بريق الحياة يسحب من عينيه.

وقام بسكب دلو الماء كاملاً عليه ليشهق إيفان مستيقظاً مرتعداً.. ساعلاً بقوة بسبب استنشاقه لبعض الماء رغماً عنه، وتحدث الآخر بعدما سكب كأس نبيذ آخر وجلس:

- سأحكي لك ما فعلت.. ولتستمع جيداً ولنزلاً أين ستصل بصبرك؟

في القصر الملكي

كان آرسن مسيقظاً منذ الأمس ولم ينم، لم يتمكن من التوقف عن التفكير في ما حدث ليلة البارحة، لكنه وضع كل شيء جانباً مركزاً على حالة ألكسندر، ها هو في معمله الخاص بالطب يتصفح كتاباً سحبه من مكتبته الجدارية الضخمة التي امتلكها بمعمله تخصص الطب، وكان الكتاب يخص الأمراض الصدرية.

منذ الأمس وهو يحاول إيجاد تشخيص لما أصاب ألكسندر، وعلى المكتب أمامه ورقة كتب فيها الأعراض التي يمر بها ألكسندر ليقارنها بأعراض الأمراض التي تواردت لعقله، وورقة أخرى كتب فيها الأمراض المحتملة وعلاج كل مرض على حدى، وظل كذلك حتى أتى موعد الإفطار لينهض خارجاً متجهاً لجناح ألكسندر..

طرق آرسن باب غرفة ألكسندر داخلاً، ما زال ألكسندر نائماً وكذلك إيريني الجالسة على كرسي بجانب السرير، اقترب منها آرسن موقظاً إياها وتحدث بهدوء:

- لماذا لم تعودى لجناحك؟ لا بد وأنت متعبة للغاية يا جدتي.

اعتدلت جدته في جلستها بينما مسحت وجهها بكففيها بلطف وتحدثت بصوت مبحوح:

- كل التعب لأجله يهون.. المهم أن يكون هو بخير، افحصه.. طمئن قلبي.

تتهدد آرسن ناظرًا لألكسندر الساكن واقترّب واضعًا أحد ركبتيه على السرير دانيًا من القابع على السرير بينما أخذ العرق نصيبًا من وجهه وعنقه .. أمسك بكفه بخفة مستشعرًا نبضها والذي كان ظاهرًا وأسرع من المعتاد لينظر لوجه ألكسندر الذي ظهر عليه الانزعاج.

فرك آرسن كف ألكسندر المتواجدة بين كفيه يوقظه بعدما علم بأنه يواجه كابوسًا وتحدث بصوت مسموع:

- استيقظ ألكسندر .. أفق.

دنت جدته وسألت:

- ما به؟

تحدث آرسن بينما ضرب خد ألكسندر بشكل خفيف يوقظه:

- كابوس .. كالعادة.

فتح ألكسندر عينيه شاهقًا بخوف وأول ما همس به حين استيقظ بزفير شهيقه كان اسم إيلان.

نهض ألكسندر سريعًا ناظرًا حوله بقلق ليبصر آرسن وجدته على يمينه ليتنفس بشكل واضح مهددًا قلبه قبل أن يعود ليستلقي ناظرًا للسقف شاردًا بأعينه التي ظهرت فيها لمعة الخوف قبل أن ينقل عينيه لآرسن الذي سأل بهدوء:

- ما به إيلان؟

نظر له ألكسندر لثوان قبل أن يهمس:

- في خطر.

نظرت جدتهما لهما بحيرة لا تدري من إيلان هذا الذي يتحدثان عنه بينما تحدث آرسن واضعًا كفه على جبينه ليرى حرارته:

- لا أعلم كيف بإمكانني طرد كوابيسك يا ألكسندر .. أنا متأسف للغاية لأجلك.

عاد ألكسندر ينظر للسقف، لا يفهم الخوف هذا الذي اجتاحت قلبه فجأة.. وتمسكت جدته بكفه المرتجفة بشكل خفيف وسألت:

- كيف تشعر الآن؟ أيؤلمك شيء ما؟ لماذا ترتجف؟

نظر لها ألكسندر وهمس:

- أنا بخير.

تحدث آرسن بينما نهض مستقيماً عن سريره:

- سندعك الآن لتختلي بنفسك وتهدأ.. اغتسل وستجد فطورك جاهزاً.. أيضاً حرصت أن يمتلك بعض الأعشاب الطبية بشكل واضح لأجل رثيتك لذا ومنذ الآن آسف على مرارته، سأكتب لك نظاماً غذائياً لتسير عليه لتتوقف هذه التوبات.

ونادى على أحد الحراس وأمره:

- اطلب من أحد العاملين شراء بعض البوم.

ورحل الحارس وسألت جدته باستغراب:

- لم؟

ورد آرسن:

- تحسباً لأي نوبة قادمة، سأخلط دماءها بالنيبيذ ليشربه.

نظر له ألكسندر مصدوماً وسألت جدته باستغراب:

- نيبيذ؟ ما زال قاصراً!

وتحدث ألكسندر وبدا مستنكراً ومتقزراً في ذات الوقت:

- حقاً؟ ودماء البوم أمر عادي؟

ناظره آرسن وتحدث:

- ألكسندر هل لك ألا تجادل الطب ما دمت لا تستطيع إيجاد شفاء لنفسك؟
ونازهره ألكسندر ولا زال مستنكراً للحظات قبل أن يصرف عينيه للسقف، وأخذ آرسن بذراع جدته وسأل:

- أتودين الذهاب لغرفتك والتخلف عن الفطور اليوم؟
نظرت له وتحدثت:

- لا.. سنذهب سوياً لقاعة الطعام.. ستأتي معي.
تنهد آرسن لتتحدث:

- لست مخطئاً في أي شيء مما فعلت.. لماذا تريد الانعزال؟

خرجاً من الغرفة بينما لم ينتبه ألكسندر لحديثها بسبب تحديقته المستمر في سقف الغرفة المزخرف شارداً.. تذكر ما حدث ليلة أمس.. أخذ نفساً عميقاً حبسه في رثتيه لثوان ضارباً صدره بقبضته بخفة غاضباً من توقعاته الغريبة التي تكاد تقتله قبل أن يزفره بصوت مرتفع، لا يذكر بأنه عانى منها قبلاً، إذاً لم فجأة؟

نهض متجهماً للنافذة، وضع كفه على زجاجها الذي ما زال بارداً بعض الشيء محدقاً في الأفق البعيد مفكراً في إيلان.. نظر لرسالته الموضوعية بين الكتب لتهدأ ملامحه القلقة لأخرى ساكنة حادة.. واتجه لها يفتحها مدوناً على آخر ما كتب:

"رأيتك تصرخ في كابوسي فهل أنت بخير؟ هل هو مجرد كابوس وحسب؟ لماذا أشعر كما لو أن هناك من يقبض على قلبي بكفه بقوة؟ ما الذي حدث بعد رحيلي...؟"
ظل يحدق في آخر كلمتين لثوان قبل أن يكمل زامناً شفتيه بحزم:
"سأقوي نفسي لأحميكم يا رفاق.. سأتي قريباً".

نهض بعدها ناوياً الخروج.. لفت انتباهه العلبة السوداء المخملية الموضوعية على مسرحته ليحد أنظاره عليها.. اقترب فاتحاً العلبة ليرى التاج.. ونزع قلادة الحكم ووضعها بجانب التاج مغلقاً العلبة واضعاً إياها في آخر درج ووجد.. نظر لنفسه المنعكسة في المرأة، لأعينه الحادة التي

أظهرت نواياه الجريئة قبل أن يستند على أطراف المسرحة بكفيه مقترباً من المرأة هامساً لنفسه:

- لو كتب لك القدر أن تكون جزءاً من هذا المكان فكن جزءاً منه.. لو سطور ماضيك خطت هنا، عد لها واعرف بدايتك بدل تحبطك وهربك.. لو أراد الملك قتلك.. اخلق لنفسك مائة روح، لو لم يعترف بك.. يكفيك اعترافك بنفسك، بحثك في سبيل حقيقتك، نضالك لتبقى حياً، سيري.. من هو ابن لوريس الذي يلعنه.

تنهد لامساً بأنامله جرحاً أحدثه له جوليان بجانب شفته يكاد يراً.. وخرج بعدها من الغرفة قاصداً الذهاب ليغتسل.

دخل آرسن بعد دخول جدته حيث كان الجميع متواجداً باستثناء ليرهام كالعادة وليام، وقد نظروا له مستغربين إقباله على الظهور بعد ما حدث أمس، وذلك أسعد قلبي والديه لكونه طلب منهما بالأمس عدم المجيء لجناحه بعد ما حدث بالإضافة لجدته التي ظهر عليها التعب والتي نظرت له باهتمام وحب بينما اتجهت لتجلس على كرسيها.

وجلس هو ناظراً لجوليان الذي كان ينظر له.. استغرب من عدم تواجده إيلينا ناظراً لمكانها الشاغر هي الأخرى.. ومن ثم سألت إيريني كما لو أنها قد قرأت ما يجول في خاطره.. وقد تقصدت بالفعل حيث تحدثت بهدوء:

- إيلينا متغيبه.. هل هناك سبب؟ جوليان؟

تحدث جوليان بهدوء:

- إفطارها ذهب لغرفتها مسبقاً، هي لن تتواجد في الأيام القادمة أيضاً.

نظر له الجميع باستغراب بينما أخفضت زوجته رأسها متنهدة بضيق، نظر آرسن لإيلاريون الذي لم يكن يقل عنه صدمة حيث كاد يسأله عما حدث.. لكنه تذكر ما حدث بينهما.. وبأنه لربما أخطأ والده فعلاً.. فعاد ينظر لجدته التي سألت:

- لماذا؟

أجاب جوليان ناظرًا لآرسن بعينين حادتين:

- عصيان.. للأوامر.

زم آرسن شفتيه شاعرًا بثقل كبير في قلبه ليتنهد بصوت مسموع وينهض تاركًا المائدة تحت أنظار الجميع التي توجهت نحوه هذه المرة.. جدته عانت حتى أقعته بالمجيء معها، وبكلمتين من جوليان كانتا كفيلتين بضرب حديث الجلدة لآرسن عرض الحائط.. وحين خرج سألت إيريني بضيق:

- ماذا يعني حديثك هذا جوليان؟

تحدث جوليان ناظرًا لها:

- إيلينا ابنتي.. أنا حر في تصرفاتي معها ولا يمتلك أي شخص الحق في مناقشتي!

حقوقها قليلًا قبل أن يسأل:

- هل بقيت بجانب ذلك الأبله طوال الليل ليكتسي وجهك هذا التعب؟

نظرت له وتحدثت بهدوء:

- يدعى ألكسندر.. ألكسندر بينفيتو! وهو حفيدي وفعلتها بدافع قلقي عليه وهذا شيء

راجع لي.. يا جلالة الملك!

وتبادل الجميع النظرات غير الراضية.. بينما من الخارج خطا آرسن لجناح إيلينا مسرعًا وكما توقع.. كان الباب مغلقًا.. تنهد قابضًا كفيه بغضب وتمالك نفسه بينما طرق الباب بصوت واضح راجيًا أن تسمعه.. وضع أذنه على الباب يحاول سماع شيء ما، لكن بدون جدوى.. أعاد الطرق متحدثًا بصوت مسموع:

- إيلينا.. هذا أنا.. هل تستمعين لي؟

تنهد بغضب كبير حينما لم تجب وشعر بسخط أكبر.. لفت نظره ليام الذي رآه يسير في الدور أعلاه وبدا أنه كان في جناح والدته ليستوقفه سائلًا:

- إلى أين؟

نظر له ليام محبباً بهدوء:

- لألكسندر.

وظلا ينظران لبعضهما صامتين، ومشى ليام مكماً سيره ليتنهد آرسن.. ونظر لإيلاريون الذي ظهر واقترب منه متحدثاً بنبرة منخفضة:

- آرسن.. ارحل من هنا الآن.. والذي قادم.

ظل آرسن ينظر له بغضب مكبوت.. قبض على كفيه أكثر ضاغطاً بأسنانه على بعضها مغمضاً عينيه كما لو كان يحاول تحرير نفسه من غضبه.. وفتح عينيه ناظراً لإيلاريون متحدثاً بنبرة حاول جعلها هادئة:

- لست خائفاً منه.. يا ولي العهد.

تحدث إيلاريون الذي جمع بين حاجبيه بغضب بينما دفعه للسلام ليصعد مبتعداً:

- أعلم هذا! لكني لا أريد أن يزداد الأمر سوءاً! إيلينا لن تحتل سخط والذي أنت تعلم ذلك جيداً! ولا تقلق، أنا سأتكفل بمهام نقل رسائلها لك دون أن يشعر والذي!

هدأت نظرات آرسن الغاضبة لأخرى مبهمة، نظر لعيني إيلاريون ليلمح الأخير الحزن القابع فيها قبل أن يفصل نظراتهما ويرحل صاعداً للأعلى بسرعة.. ليس لأنه قلق من والده.. بل لكونه مجروح للغاية ولا يريد لأي شخص أن يرى حزنه.

تنهد إيلاريون ناظراً لآخر نقطة رآه فيها قبل أن يختفي، انخفض كتفاه بضيق.. والتف ناظراً لوالده الذي فتح باب جناحها داخلاً ليدخل هو خلفه مسانداً شقيقته أمام والده، وكما الطريق الذي سلكه ليام ها هو آرسن يمر من دهليز ليصل للطابق المتواجد فيه جناحه ليتفاجأ بليز هام الذي كان واقفاً عند نهاية السلام التي تصل بين طابق جناح آرسن وطابق جناحه متكئاً يظهر عليه أنه كان ينتظره.

تنهد آرسن وكاد يتخطاه ليتجه لجناحه إلا أن ليرهام تحدث بينما أمسك ذراعه:

- ماذا هناك يا مهووس الطب؟ ما الخطب؟

ظل آرسن ينظر له بهدوء من دون أن يتحدث قبل أن يخفض رأسه ليتحدث ليرهام بعتاب:
 - لعلمك فقط.. منذ عدت من آخر رحلة لك خارج القصر لم تزني في غرفتي ولولمة.. لم أعتد هذا منك آرسن.. هل مارس عليك شيطان اللعين لوريس المدعو ألكسندر السحر وزرع في قلبك كرهى؟

تنهد آرسن بضيق مشيحاً بوجهه بعيداً ليتحدث ليرهام مستغنياً:

- عجباً.. آرسن ما بك؟

نظر له آرسن متحدثاً بهدوء:

- ليرهام.. أنا.. مثقل.

سجبه ليرهام من ذراعه خلفه صاعداً وتحدث:

- إذاً هيا بنا إلى غرفتي يا بئس.. ستحكي لي كل شيء.. هذا أمر.

في مخزن المحاصيل

نظر آلاس لروديون والذي كان شاردًا محدقًا في الطعام ليتحدث بهدوء:

- في ماذا تفكر؟

نظر له روديون وهمس:

- ابن البارون المفقود.

تنهد آلاس ليسأل روديون بجدية:

- ياه.. من هما والداك؟

قلب آلاس عينيه وتحدث:

- لست هو.. لست ابن البارون، هل وجهي يشبه وجه ابن بارون؟

نظر له روديون متفحّصاً وجهه بعينه متحدثاً:

- شعر، عينان، أنف بفتحتين وفم.. هل رأس ابن البارون سيحتوي على شيء آخر؟

نظر له آلاس منزعجاً ليكمل روديون:

- هناك ندبة على وجنتك أيضاً، هنا الاختلاف صحيح؟

تحدث آلاس بضيق:

- أكمل طعامك روديون.. كل!

ابتسم روديون همدوء مكملاً طعامه بينما تلمس آلاس بأنامله ندبته، الأولى لم تترك أثراً كما قال مانيوس.. لكن الثانية فعلت.. وأصبحت واضحة.

نظر له روديون مستغرباً وسأل:

- ما بك؟

نظر له آلاس لثوان صامتاً ليتحدث روديون:

- هل أزعجتك في نقطة ما؟

نظر لأنامل آلاس الموضوععة على الندبة وسأل:

- هل هو بسبب ندبتك؟

أخفض آلاس كفه وتحدث:

- لم تزعجني أبداً.. فقط تذكرت.. شيئاً ما.

ظل روديون ينظر له منتظراً إكماله ليتحدث آلاس:

- هل تعلم بأن هذه الندبة كانت السبب في انضمامي لإليان وألكسندر؟ لقد أنقذاني.

تنهد آلاس رافعاً كتفيه وأخفضها مكملاً:

- لكنني الآن لا أعلم أي شيء عنها.

سأل روديون:

- كيف.. أنقذك؟

ابتسم آلاس وتحدث:

- كدت أقتل، وكان الوضع خطيراً عليهما ورغم هذا قد عادا للقرية لإنقاذي بعد أن خرجا منها.

زم شفتيه وتحدث:

- هذا لا يهم الآن.. سننقذ إليان أولاً ومن ثم سنبحث عن ألكسندر.. وسنلم شملنا مجدداً.

نظر لروديون وتحدث:

- قد لا تعرف ألكسندر جيداً.. لكن ثق بي حين أخبرك بأنه يستحق أن أضحى بحياتي لأجله.

أوماً روديون متفهماً وسأل:

- سنذهب مجدداً اليوم حول المكان صحيح؟

أوماً آلاس ليتحدث روديون:

- إذاً هلا أخبرتني بداية كل شيء على مهل حتى نذهب؟ قصة إليان وألكسندر وقصتك؟

في القصر الملكي

للتو أنهى ألكسندر طعامه.. حيث غسل كفيه وخرج من دورة المياه ناظراً للباب الذي طرق ومن ثم دخل ليام ناظراً لألكسندر مندهشاً قليلاً سائلاً بينما أغلق الباب خلفه:

- أنت بخير؟ ما الذي أصابك بالأمس؟

ابتسم ألكسندر متحدثاً:

- أنا بخير.. لقد كان شعورًا مقيتًا لا أود تذكره.. أعتذر لإثارة قلقكم لكني ممتن لأنني أوقفت الشجار.. ربما.

اقترب منه ليام مبتسمًا بشكل خفيف وتحدث بمرح مرتبًا مرة على كتفه:

- لسنا مقرين جدًّا.. ولربما تعرفنا منذ يومين بالضبط.. لكن رجاء انتبه على نفسك جيدًا.

تحدث ألكسندر:

- ألسنا.. عائلة؟ إذا نحن مقربان!

بهتت ابتسامة ليام وتحدث مستغربًا بينما قهقهه:

- لا أصدق بأنك تقول شيئًا كنحن عائلة.. أرسن أخبرني بكم تود الرحيل.

سأل ألكسندر:

- أخبرك؟

تنهد ليام متحدًا:

- بالأمس بعدما فقدت وعيك.. صعدنا معك لغرفتك وأخبرني بكم تكره البقاء هنا.

زم شفتيه وأكمل:

- لكن هنا منزلك أيضًا يا ألكسندر.. الجميع يتقبلك! أليس بإمكانك تجاهل الملك جوليان

فقط؟

تحدث ألكسندر بينما رفع كتفيه وأخفصها:

- سأتحداه.

وضع ليام كفيه على كتفيه متحدًا باستنكار:

- تتحدى من؟ الملك؟ هل جنت ألكسندر؟ سيقهلك ولن يهتم!

وضع ألكسندر كفيه على ذراعيه وتحدث بعصبية خفيفة:

- وهل يا تراني سأستمع لحديثه السام ذلك وأصمت؟ أدرك بأن والذي أخطأ في حق الجميع.. علمت ذلك، وهذا لا يعطيه حق التفكير في هذا الشكل!

تحدث ليام مندهشاً:

- أنت تعاند.. لحظة.. هل ستؤمن بأنك جزء منا فقط لتعانده؟ وليس لأنك تشعر بذلك فعلاً؟!

ظل ألكسندر ينظر له هادئاً ليدرك ليام بأن ما قاله صحيح لينبس بصوت هادئ مسموع:

- إذاً هل ستصنع كونك واحداً منا لتزعجه؟ ستصبح كاذباً كبيراً.. ستبسم في أوجه الجميع بينما من داخلك ستفكر بكيف ستغضبه ابتسامتك؟ هل لكي تحقق مرادك من تحديه ستبني حباً كاذباً في قلوب الجميع؟ ماذا عن جدتنا؟

تحدث ألكسندر بينما أبعد كفي ليام عن كتفيه:

- هل أصبحت المؤذي الآن؟ ما الذي تعرفه عني يا ليام؟ حياتي؟ لقد كنت راضياً بحياتي قبل أن يأتي ذلك الوباء اللعين ليتشل مني والدي غصباً! من أنا؟ كنت نفسي حتى اللحظة التي شعرت فيها بمغادرة حياتي مني.. لا أحد يفهم.. نصالي لأبقى حياً حتى هذه اللحظة.. وحين أحاول.. فقط أحاول الدفاع عن نفسي أصبح شخصاً كاذباً ومؤذياً؟

ومن خارج الجناح كان هناك ليرهام وأرسن اللذان قصدا جناح ليرهام مارين بجانب جناح الأمير لوريس ليتوقفا ما أن استمعاً للصوت المرتفع القادم من الداخل، وكاد ليام يتحدث إلا أن ألكسندر قاطعه مكماً:

- حديثه عني وعن والذي لا ينفك أبداً عن عقلي.. أحاول حتى الآن عيش حياتي كشخص طبيعي رغم أنني أعلم جيداً بأنني لم أعد كذلك.. حديثه يخنقني.. رغبة دفينية في تأمرني بإنهائه مهما كلف الأمر.

ظل ليام ينظر له مصدوماً.. متسائلاً.. ما بال هذا الكره المرتسم على قسبات وجهه التي باتت حادة باردة فجأة؟ نفى برأسه بخفة وسأل:

- ما الذي أصابك ألكسندر؟ ما الذي أصاب عقلك؟

صرخ ألكسندر:

- أكرهه! هذا ما أصابني وكل ما يدور في عقلي!

ونظر حينها ليرهام لأرسن بنظرات لاثمة صامته أوصلت كل أحاديث عقله لأرسن فوراً ورحل تاركاً أرسن بدون أي كلمة، وشعر أرسن بغضبه يزداد فدخل بغتة مغلقاً الباب خلفه بقوة لينظر كل من ألكسندر وليام له يرياه وهو يتقدم بهدوء ناظرًا لألكسندر بذات حدته كما لو كان ينافسه ليدرك ليام بأنه استمع لبعض الحديث إن لم يكن كله.. وثوان أخرى حتى تحدث بنبرة هادئة حادة:

- أحضرتك هنا لأنك تنتمي لهذا المكان وليس لتجاهر بهرائك يا ألكسندر!

صرخ نهاية حديثه بصوت مرتفع ناظرًا لأعين ألكسندر التي علقت عليه وأكمل:

- أقسم.. لو سمعتك مجددًا تتفوه بهذا الحديث لن ترمني خيرًا هل تفهم؟

ظل ألكسندر ينظر له مصدومًا بينما تحدث ليام بقلق محاولاً إرجاع أرسن للخلف قليلاً:

- لا داعي لهذا الغضب أرسن.. ألكسندر غاضب فقط.. لا يقصد حديثه بشكل حرفي!

تحدث ألكسندر مستغريًا غاضبًا:

- ما بالك؟ هل نسيت ما فعله بك بالأمس؟ كيف تدافع عنه.. بعد ما فعل؟

عاد بصرخ مردفًا من صدمته:

- وكأنك لا تشعر بالإهانة حتى! ألا تمتلك ولو بضع كبرياء لعين!

دفع أرسن ليام عنه مقتربًا من ألكسندر حيث قام بجذبه من ياقة قميصه وصرخ:

- أين تربيت يا ألكسندر لتصبح ألفاظك بهذا الشكل؟ ألم يحسن والداك تنشئتك؟! أنت لا تعيش لنفسك وحسب لتقرر بثوان من ستحب وتكره، ومهما حدث بيني وبينه نزل عائلة!

ظهر الجنون في عيني ألكسندر بذكر والديه بهذا الشكل الوقح الصريح ليتحدث صارخًا:

- عائلة عائلة عائلة!! لن ترتاح حتى يقوم بقتلك! وأخشى بأنك ستسامحه لأنكما عائلة!

دفع آرسن ألكسندر بقوة غاصباً ليسقط الأخير على الأرض متأوهاً بألم من ارتضام ظهره القوي بالأرض.. نظر ليام لأرسن الذي وقف متصلباً ويبدو كما لو أنه استوعب فعلته متذكراً أنه لم يشفَ بعد.. وكاد يتحرك لألكسندر إلا أن قدميه توقفتا حين قهقه ألكسندر في ذات اللحظة التي تساقطت فيها دموعه ليختلط ضحكه ببيكائه بينما انقلب على جنبه يحاول النهوض ناظراً لأرسن وتحدث باستفزاز:

- لماذا توقفت؟ لماذا لا تقوم بإهلاكي ضرباً كما فعل هو؟ ولعل اضطرابات أنفاسي كان هو المتسبب فيها!! يا ليتك لم تنقذني..

نهض واقفاً مستنداً على الكرسي وتحدث بينما مسح دموعه بظهر كفه:

- ما عدت خائفاً آرسن.. أنا أكرهه.. أكرهه!

نظر آرسن ليام وتحدث:

- اذهب وأحضر بدلِ المبارزة والسيوف.. الآن.

تراجع ليام بينما لم يبعد عينيه عن ألكسندر حتى خرج، نظر آرسن لألكسندر الذي ارتقى على الكرسي هادئاً ليناديه:

- ألكسندر.

نظر له ألكسندر وتحدث:

- أعلم بأن عائلتك هي أولوية في حياتك.. لكن جزءاً منها قتلني.

ساد الصمت ليردف ألكسندر:

- المرء يسعى جاهداً ليميت ما يرضيه.. أتساءل دوماً؛ لم الأشياء التي تخيفني كثيرة؟ ولم قدر لي المرور من خلالها؟ كنت أخشى فقد العزيز لدرجة أنني تناسيت فكرة تواجد الفقد وماذا حدث؟ وباء دمروني ورمى بما تبقى مني للمجهول.. وفجأة، أصبحت أميراً ومن الأسرة الحاكمة والوالدي الذي عشقته بات وغداً وهاجراً ويتحتم عليّ الدعس على قلبي الميت أكثر وإلا انقلب الجميع ضدي، هذا مر.. صدري.. يؤلمني للغاية.

تقدم آرسن منه بهدوء بينما بقي ألكسندر يراقبه بأعين متعبة، وضع كفه على كتفه وتحدث بنبرة منخفضة:

- أنا أسف.. يا ألكسندر.. لم أشعر بنفسي حين دفعتك.. أحاول جاهداً إثباتك كفردي منا وأنت بنفسك شاهدت ما آلت إليه حالتي.. لكنه في النهاية يكون عمي.. ربما مسؤولية الحكم قد أعمته عن الكثير.. لكن عائلتنا أولوية بالنسبة له كما هي بالنسبة لي.. وهذا هو قانون العائلة، العائلة أولاً.

تنهد آرسن ناظرًا لعيني ألكسندر الناظرة له ليكمل:

- لست مع تصرفاته مؤخرًا.. لكنه لا يزال عمي.. هل تفهميني؟

تحدث ألكسندر بهدوء:

- وماذا عني؟ لقد رأيت جسدي بالتأكيد وعلمت ما قام ذلك المجرم بفعله.. طلبت منه أن يتوقف، وحين صرخت لأطلب النجدة أخبرني بأن أصرخ كما أشاء فلن يستمع لي أي شخص.. هل تعلم.. لقد حاولت تناسي الأمر.. لكن ما قام بفعله بالأمر جعل دمي يغلي غضبًا.. أشعر بالكراهية الشديدة تجاهه رغمًا عني.. بسبب ما فعله هو!

ظهر الاندهاش على وجه آرسن، لربما بسبب أن ألكسندر قد أفصح عن شيء دار بينه وبين الملك لم يعلمه أي شخص.. ودخل ليام ليتجه له آرسن تاركًا ألكسندر مستلماً منه السيوف.. حيث قام برمي أحد السيوف أرضاً باتجاه ألكسندر وتحدث:

- أرنى مقدار قوتك التي تجعلك واثقًا من أنك ستكون نداءً له.

قرب المستعمرة

ألقي الآس نظرة من خلف الشجرة للحراس الكثر المتوزعين حول المكان، عاد ينظر لروديون الواقف مكتئبًا وهمس:

- فرصة الدخول أكثر مستحيلة.

تحدث روديون متذمراً:

- ما فائدة مجيئنا إذا؟

تحدث آلاس:

- للاستماع لأحاديثهم؟ بالتأكيد سيتحدثون عما يدور في الداخل.

ظل روديون ينظر له لثوان قبل أن يطل برأسه ناظراً لأماكن تواجدهم المتفرقة وتحدث:

- هل نفترق؟ وليذهب كل منا في جهة.

أوماً آلاس ليكمل روديون:

كن حذراً وتذكر.. لا تسمح لقلبك بالاهتزاز وإصدار الأوامر.. حتى لو استمعت لهم يتحدثون عن إيلان!

سأل آلاس بهدوء:

- نقطة الالتقاء؟

تحدث روديون:

- في مخزن القرية بعد غروب الشمس، وتأكد جيداً من عدم اتباع أي شخص لك.

رفع آلاس أكماله بحماس وتحدث:

- نحن بطلا القصة!

تمتم روديون ساخراً:

- لا تكن واثقاً.

قهقه آلاس قبل أن يسير منخفضاً متنقلاً بين الأشجار والشجيرات في عكس الطريق الذي سلكه روديون بذات طريقته، وجلس آلاس بجانب شجرة كانت كافية لتخبئة جسده خلفها شاعراً بالبربريين الذين جلسوا قريباً ليهمس مبسماً:

- ها نحن ذا يا مفلوتي الألسنة.

في القصر الملكي

مسح ألكسندر عرق وجهه بكم ملابسه لاهثاً ليتحدث آرسن بحدة:

- ارفع سيفك!

رفع ألكسندر فوراً كفه المسكة بالسيف بمساعدة كفه الأخرى بتعب بينما تحدث آرسن بياغته بسيفه:

- عدوك لن يراعي تعبك! سيستغل جميع نقاط ضعفك بأشع الطرق!

آخر هجمة وجهها آرسن كانت قوية، وبالكاد لم تصب ألكسندر الذي تحرك بسرعة من مكانه صاداً سيفه بسيفه ليتحدث ليام بقلق:

- آرسن!! ماذا دهاك!

وتلك المرة استهدف آرسن سيف ألكسندر بدلاً من ألكسندر نفسه.. وببساطة قام بانتشاله رامياً إياه بعيداً موجهاً حد سيفه لصدر ألكسندر الذي يرتفع وينخفض بسرعة بسبب أنفاسه المتسارعة، ولامس آرسن بحد سيفه صدر ألكسندر متحدثاً بهدوء:

- بهذه القوة.. أنت ميت.

ظل ألكسندر ينظر له لثوان قبل أن يستكمل حديثه مخفضاً سيفه:

- ألم تعلمك والدك استخدام السيف أبداً؟

أجاب ألكسندر:

- القوس فقط.

أوماً آرسن وتحدث:

- استرح لخمس دقائق.. ومن ثم سنكمل.

جلس ألكسندر على الأرض ممسداً جرح ذراعه الذي آلمه قليلاً من حركته ليقترّب منه ليّام سائلاً بقلق:

- أنت بخير؟

نظر له ألكسندر وأوماً زاماً شفّيته ليتحدّث ليّام:

- لا أعلم ما به! هو يعلم جيّداً بأنك لا تتقن استخدام السيوف!

تحدّث ألكسندر بهدوء:

- أنا من أثار هذا الغضب فيه.

نهض بهدوء متحرّكاً باتجاه سيفه ليلتقطه ناظراً لآرسن الذي كان يراقبه متحدّثاً بنبرة مسموعة ماسحاً جيبيه بكم ملابسه مجدداً:

- أنا مستعد.. لست في حاجة للراحة.

اقترّب منه آرسن مجدداً ليشهرا سيفيهما ضد بعضهما ليتحدّث آرسن:

- كن أكثر حذراً هذه المرة.. لن أتناهون معك أبداً ألكسندر.

أوماً ألكسندر بسرعة مركّزاً أكثر.. ولم ينتبه أي من الثلاثة لجوليان الذي كان يراقبهما من النافذة بغضب كبير، ولا حتى ليريّام الذي حضر تدريبهم منذ اللحظة الأولى من نافذة غرفته.

في المستعمرة

ظل إليان يجول الغرفة ذهاباً وإياباً بتوتر وخوف كبير فاركاً كفيه ببعضهما.. ها هو الليل قد حل وإيفان لم يعد بعد.. أرهقه التفكير بشأنه، ما الذي قصده حين أخبره بأنها ليست مرتّه الأولى؟ لم ينم منذ البارحة ولا يستطيع النوم الآن حتى يطمئن على إيفان.

تحدّث أحد الرجال الجالسين:

- يا فتى.. اجلس من فضلك أصبّتي بالدوار!

نظر له إليان ليكمل:

- سيعود في أي وقت الآن، هذا ما كان يحدث منذ أحضره هنا.

تحدث إليان سائلاً:

- ماذا عنك أيها السيد؟ هل أنت راضٍ عن هذا الوضع؟

استفهم الآخر بملامحه ليوضح إليان:

- هل صدقت بأنهم فريق سري من الجيش؟ وبأن الملك هو من أمر باحتجازكم؟ دعك من هذا.. ماذا عن سلب أرواح الأشخاص لكونهم وحيدين؟

نظر للسيدة التي يعرفها تتحدث بهدوء:

- لو كانوا صادقين في حديثهم؛ لماذا أخذوا ابنتي مني مجدداً؟ لا أستطيع التصديق مهما حاولت.

تحدث الرجل:

- وهل تريان بأننا في موقف يسمح لنا بالتصديق أو لا؟ لو لم نطاعهم فأين سينتهي بنا الحال؟ هذا وإن كانوا كاذبين كما تقولان!

تحدث إليان غاضباً:

- كل ما فعلوه يظهر كذبهم.. لماذا يقومون بضرب الأسرى لو كانت أرواحنا مهمة؟! هل الملك يأتي لنا ليأمرهم بضربهم فقط؟ هذا جنون! أزل غطاء الوهم عن عينيك فقط!

ظل الرجل ينظر له لثوان قبل أن يلف وجهه قاطعاً تواصلهما البصري مستأنفاً حديثه مع الجالس بجانبه كما عاد الجميع ليتحدث، ليزم إليان شفتيه بغضب أكبر.

وبعد فترة صمت الجميع حين انفتح الباب ليلتف إليان ناظرًا للبربري الذي أدخل إيفان دافعاً إياه ليتلقفه إليان قبل أن يسقط جالساً به برفق.. كفيه المقيدتين كانتا ترتجفان وكان لدمه نصيب من وجهه، بينما كان جسده مهدوماً للغاية لا يقوى على الحركة.

أراح إليان رأسه على صدره ماسحاً دماء وجهه بكم ملابسه برفق مصدوماً.. لم يقل إيفان كلمة واحدة منذ دخل، وهذا ما دفع إليان ليسأله:

- إيفان.. هل أنت في وعيك؟

همس إيفان بهدوء:

- أجل.

تحدث إليان بينما ضم رأسه لصدره أكثر وأمسك بكفيه يحاول فك قيده:

- أحمد الإله أنك ما زلت حيًا.

تحدث إيفان بصوته الضعيف:

- لماذا؟ ليس عليك فعل كل هذا لأجلي.

سأل إليان بعدما فك الحبل محرراً كفي إيفان:

- ما الذي أفعله يا إيفان؟

همس إيفان بنبرة محتقة:

- أرجوك.. دعني بمفردي الآن.

رفع إيفان رأسه عن صدر إليان بصعوبة قبل أن ينهض بصعوبة أكبر متجهًا للجدار جالسًا مستندًا عليه يظهره ضامًا ساقيه لصدره، بينما علم إليان بتلقيه لضرية في جنبه حين رآه يتحسس متألمًا، وهذا غير شرارة الجنون الواضحة في عينيه.. هل كانت حالته تصبح كذلك كلما أعادوه لهذا؟ أم أن هناك أمرًا آخر؟ إيفان هادئ للغاية كما لو أن شيئًا لم يحدث، لكن عينيه وشروده يظهران جحيم ما عاناه.

لم يشأ إليان الضغط عليه وإزعاجه.. واكتفى بالجلوس قريبًا منه يراقبه عن كثب غير عالم بأن إيفان كان يفعل المثل كلما تحرر من تفكيره عن عائلته متسائلًا عن اهتمامه الذي يستنكره هذا، وغير ذلك كيف كان هو السبب في إيجادهم لابن البارون ومن هو؟ وبعد مدة أدخل الحراس لهم أرغفة من الخبز، نهض إليان أخذًا ثلاثة أرغفة، أعطى واحدًا للسيدة واتجه لإيفان جالسًا بجانبه

بهدهوء بينما مد له أحد الرغيفين المتبقيان وتحدث:

- لن أسألك عن شيء أبداً.. كله.. سيمدك ببعض الطاقة.

مرر إيفان أصابعه في شعره كما لو كان يحاول نفى أفكاره آخذاً الرغيف من إيلان ليأكله وهمس:

- شكراً.

ابتسم إيلان وباشر أكل رغيفه، بينما شعر إيفان بالامتنان الكبير له.. وحاول شغل نفسه بالأكل حتى لا ييكي ولم يستطع، سرعان ما تجمعت الدموع بعينيه التي عانقت نظراتها الأرض، ورغم استئاع إيلان لبكاء إيفان الذي حاول كتمه وقت أكله؛ تصرف كما لو أنه لم يستمع، معطيًا إيفان مساحته حتى لو تواجد هو بهذه المساحة.

في القصر الملكي

أخذ ألكسندر نفساً عميقاً ناظرًا لنفسه في المرأة قبل أن يخرج من غرفته متجهًا مع ليام لقاعة الطعام، قرر الظهور في الساحة وأخيرًا، وها هو ذا قد دخل للقاعة يمسخها بناظريه أولاً محاولاً عدم إظهار أي تعابير مذهولة حول ما يراه من تحف ولوحات وغيرها، ونظر لجدته ليراهها تنظر له مبتسمة بسعادة ليستسم.. نظر له الجميع بتطلع باستثناء الملك الذي لم يتزحزح.. وسار جالسًا بجانب ليام لتسقط أنظار جوليان عليه وأخيرًا ليتوقف عن أكله ويلاحظه الجميع بمن فيهم ألكسندر الذي قرر الأكل باعتيادية دون أن يوليه اهتمامًا.

وشعر بارتياح عظيم كما البقية حين أكمل جوليان طعامه مقررًا تجاهل وجوده هو الآخر، حيث أنهى جوليان طعامه سريعًا ونهض خارجًا وحينها تحدثت والدته ليام:

- سعيدة بتواجدك معنا اليوم ألكسندر!

ابتسم ألكسندر، ونظر لسيلفان الذي وقف على كرسيه، تنحنح مقرّبًا قبضة كفه الصغيرة من فمه وتحدث بعدما أبعداها كما لو كان يلقي خطابًا:

- الأمير المفقود جاء ولم يعد مفقودًا، نرسل له تحتيتنا ونظهر سعادتنا بتواجده بيننا، متمنين بأنه هو الآخر سعيد بتواجده، يا شعب قصرنا العزيز حيوه..

ساد الصمت بينما علقت أنظار الجميع عليه وتحدث إيلاريون ناظرًا لوالدته:

- لا تقولي لي بأن بقاءه في غرفته طوال اليوم كان بسبب هذا الخطاب القصير؟

نظر لسيلفان القصير الذي ما زال واقفًا وأكمل:

- المبهـر.

ابتسم سيلفان بسعادة لمدح شقيقه الأكبر، بينما أفصحت والدته مقهقهة:

- منذ الأمس.

ابتسم ألكسندر ليتحدث سيلفان:

- استدع أحد تنانينك أرجوك، لنذهب في رحلة بين الغيوم؟

خفت ابتسامة ألكسندر بينما أفصح:

- تركتهم ليعيشوا بسعادة حيث كنت لأنه موطنهم.. لكنهم وعدوني بأنهم سيظهرون لمساعدتي وقت الخطر.

ظل سيلفان ينظر له مصدومًا قبل أن يصرخ بسعادة:

- رائع!

ضحك الجميع ليكمل ألكسندر:

- وبالنسبة للرحلة بين الغيوم ما رأيك لو حملتك على كتفي وركضت بك غدًا؟

بقي سيلفان ينظر له لثوان قبل أن يقفز نازلاً من على كرسيه راكضًا ناحيته معانقًا إياه وتحدث:

- سيل يجب الأمراء المفقودين لأنهم ودودون للغاية مثلك..

بدله ألكسندر العناق بينما حمله يجلسه على رجليه وهمس:

- ما رأيك في تناول وجبة عشاء مع أميرك المفقود؟
أوما سيلفان بسرعة عدة مرات ليتحدث إيلاريون ضاحكًا:

- ياه سيل!! هل تتخلى عني الآن؟

نظر له ألكسندر مبتسمًا موزعًا ناظريه عليهم جميعًا ليلمح آرسن الذي ابتسم بخفة محدقًا في الكرسى الفارغ المتواجد بجانب إيلاريون والذي توقع بكونه يخص إيلينا، وتوقع أيضًا بتواجد علاقة ما بينهما؟

تناولوا العشاء بينما ملأت ضحكاتهم المكان، ورغم انتهاء البعض إلا أنهم بقوا جالسين في أماكنهم بغير رغبة في ترك هذا الجو الذي أحبوه بشدة، حتى انتهى الجميع وانصرف كل منهم لغرفته، بعدما بقي سيلفان معانقًا ألكسندر حتى باب القاعة!

ودخل آرسن لجناحه ليرى ظرفًا موضوعًا على الأرض بجانب الباب وعلى ما يبدو قام أحدهم بتمريره من أسفل الباب.. فتح الظرف ناظرًا للرسالة المطوية ليخرجها.. وما أن فتحها قارئًا محتواها حتى توسعت عيناه مصدومًا، لم يستطع التعرف على صاحب الخط، فخرج سريعًا متجهًا ليرهام داخلًا لجناحه ومن ثم غرفته ليراه جالسًا يقرأ كتابًا، نظر له ليرهام بهدوء وكاد يسخر من طريقة دخوله لولا ملامح آرسن القلقة التي أفلقتة ليتقدم آرسن واضعًا الظرف على الطاولة أمامه ليسأل ليرهام:

- ما هذا؟

وأجاب آرسن موجزًا:

- تحذير.

فتح ليرهام الرسالة وقرأ بهدوء:

- هناك مؤامرة تقام ضدكم من شخص كبير وقريب، انتبهوا جيدًا يا أفراد الأسرة وأنقذوا شعب المملكة قبل فوات الأوان، وهذا التحذير ليس بمزحة ولا حتى استخفاف.

نظر ليرهام لآرسن الذي جلس مقابله، وتحدث آرسن:

- كان هذا متوقعًا.

في مخزن المحاصيل

دخل روديون للمخزن بهدوء، الشمس غربت منذ زمن لكنه لم يجد آلاس قد عاد بعد.. قرر انتظار عودته بنفاد صبر حتى انقلب صبره لقلق حين تأخر.. تنهد مغلغلاً أصابعه في شعره حين خشي انكشافه لأحد أولئك البربريين.. وحين نهض ناوياً الخروج والبحث عنه وجد آلاس قد دخل لاهثاً بوجه مصفر، بينما أغلق الباب خلفه والتف ناظرًا لروديون ليسأل روديون:

- هل كنت تركض؟

تنفس آلاس عميقًا بصوت مسموع قبل أن يفصح بنبرة محتقة:

- البارون هو من يرأسهم دون علم الملك لينقلبوا عليه..

نظر له روديون مصدومًا قبل أن يفصح:

- إيلان.. هو ابن البارون.

..

يتبع..